

هيا نرتقي

دعوة لبناء إنسان وصناعة حضارة

غادة عامر - هيا نرتقي ، دراسة اسلامية

ISBN : 978-977-798-082-1

رقم الإيداع : ٢٠١٧/١٧٥٤٦

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره ، وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار
ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت
إلا بموجب موافقة خطية من الناشر .



© دار الحلم للنشر والتوزيع

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Mob : 00201141824562

dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

هيا نرتقي

دراسة إسلامية

غادة عامر





إلى أبي الحبيب

الذي تعلمت منه الكثير

فقد كنت كريم الطباع .. جميل الأخلاق .. محبوباً من الجميع
أهديتني من قبل حباً وحناناً...وأهديك الآن بضعاً من الكلمات
فما أقل ما أهديك في بحر ما أهديتني .

لا أملك إلا أن أدعو الله ..أن يرزقك الفردوس الأعلى من الجنة
ومرافقة النبي ﷺ .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والحمد لله عدد خلقه في السماوات وعدد خلقه في الأرض وما بينهما، وعدد خلقه مما نعلم ومما لا نعلم.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، سبحانه لم يخلقنا عبثاً حاشاه ، ولم يخلقنا ويذرنا كما زعم بعض من ضل الطريق ، ولكنه هدانا هدىً من بعد هدىً من بعد هدىً فمن تعلق بأيماء هدىً فقد نجا .

أما بعد ...

لقد شغلني زمن ليس بالقصير التفكير والتأمل في ما آل إليه حال بلادنا من فوضى وتخبط وتراجع واضمحلال ، مازلنا نسير بسرعة السلحفاة بينما هناك من يسبقنا بمئات الأميال بل قل بمئات السنين، وكأننا نعيش في كوكب بينما يعيش الآخرون في كوكب آخر أو في زمن آخر ، الكل يهرول من حولنا ونحن نتعث في خطواتنا، العالم ينظر إلى المستقبل ونحن مازلنا نعيش في الماضي ، مضت علينا أزماناً ونحن نهيم على وجوهنا نتكفى في حفرة تلو الأخرى ..، ولذا مشكلة دين الآن :

متى تقوم لنا قائمة ؟

متى نلحق بقطار التقدم ؟

إلى متى سنظل في ذيل الأمم ؟

ما السبب وراء هذا التدهور والتراجع ؟ وأين هي المشكلة ؟

أهي مشكلة عقول أم مشكلة أموال أم إمكانيات أم هي نظرية المؤامرة أم قد تكون مشكلة دين أو تدين ؟

تلك هي القضية التي نناقشها.

ألا وهي البحث عن السبب الرئيسي الذي أدى إلى هذا التدهور، والحلول التي بها نعود إلى مصاف الدول المتقدمة ونرقى مرةً أخرى لأن نكون أمة يشار إليها بالبنان.

وقد كان نتاج هذا البحث والتأمل في هذا الأمر وجود عاملاً مشتركاً بين الحضارات يمثل قضية خطيرة والتي تتمثل خطورتها في تشكيلها الأساسي لشخصية الإنسان ورسم ملامح المجتمع، وكيف أنها الدعامة الرئيسية في رفع قيمة أمة والخط من قيمة أخرى، ولطالما كانت لدي قناعة بفكرة أن هذه القضية هي بداية الطريق الذي يصنع حضارة ، ويرتقي بأمة نحو الصدارة ، وأن مقياس التحضر والرقي لمجتمع ما هو إلا بمقدار ما يملكه من هذه القيمة ، ألا

وهي .. الأخلاق

ولذا فقد عكفت في هذا الكتاب على إثبات أن الأخلاق هي البداية الحقيقية لكي نهض بأممتنا من جديد ، وأن خطورة إهمال هذا الجانب ليس له نتاج إلا التردى من كبوة إلى كبوة والانزلاق من حفرة إلى حفرة .

وبالرغم من خوض بلادنا لغمار سياسية ملتعبة كثيرة ، إلا أن

الجُرح الأعماق مازال يؤلم بل مازال ينزف ولم يستطع أن يصل إليه مشرط الجراح بعد .

وإن كان هناك الكثير ممن هم أفضل مني ممن خاضوا في هذا المجال ، وقد تحدثوا في هذا الموضوع واستفاضوا فيه ، إلا أنني أحببت عرض هذا الموضوع من منظور آخر جديد أسلط فيه الضوء أكثر على أهميته وأبرزه في الإطار الذي يستحقه ، حيث أنه ليس مجرد موضوع جانبي نتحدث عنه على هامش آلاف المواضيع ، ولكنه الخطر الأكبر الذي يهددنا ونغرق فيه دون أن نشعر ، وهو سبب تقهقرنا وتراجعنا مئات السنين عمن سبقونا .

والسبب أن جل اهتماماتنا الآن منصبة على أعراض المرض ، بينما جذور المرض مازالت مستقرة في الجسد الآخذ في التآكل بسبب تمكن المرض منه بل واستفحاله أيضاً بصورة بشعة تنذر بالهلاك، فلم تعد تنفع معه المسكنات ولا العلاجات بسبب التشخيص الخاطئ لمرض الأمة، ألا وهو **فساد الأخلاق** .

وهذا الكتاب يناقش قضية الأخلاق من محاور عدة وهي:

- < أهمية الأخلاق وخطورة غيابها على الفرد والمجتمع.
- < كيف أن الأخلاق تُبنى بها حضارات وتُهدم بها حضارات .
- < ماهية الأخلاق وكيفية التعامل معها بحكمة حتى تعتدل كفتي الميزان حيث طبيعتها النسبية.
- < كيف استطاع الإسلام أن يخلق هذا التوازن الخلقي على المستوى الفردي والمجتمعي.

< كيفية تعلم الأخلاق واكتسابها بالوسائل العلمية والروحانية.

إن هذا الكتاب لا يناقش قضية الأخلاق من الناحية المجردة أو الناحية النقلية فقط ، ولكنه يقلب هذه الأخلاقيات من أوجه كثيرة، فتارةً ينظر إليها من زاوية فلسفية ، وتارةً ينظر إليها من زاوية نفسية ، وتارةً من زاوية طبية وعلمية ، وتارةً من زاوية روحانية ، وتارةً من زاوية تنموية وتربوية وذلك من خلال التنوع بين استخدام الأسلوب الأدبي والعلمي حتى لا يتسلل الملل إلى نفس القارئ من جهة، ومن جهة أخرى محاولة الوصول بالقارئ للاقتناع التام بقيمة وأهمية الأخلاق المفقودة ثم ربط ذلك كله بتعاليم الدين ووصاياه، وكيف أن الحقائق والتجارب والأبحاث العلمية أكدت ما جاء به القرآن والسنة ، وأن ما جرى على لسان سيد البشر في كلمات مبسطة وموجزة وحكيمة من آلاف السنين هو نفسه ما أكدته العلماء في عصرنا الحالي.

فيكون للمؤمن زاداً و يقيناً ، ولغير المؤمن شعاعاً من نور يضيء له الطريق علّه يكون له هدىً ونوراً .فما كان في هذا الكتاب من صواب فهو فضلٌ ومنّة من الله ، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان .

ولله الحمد من قبل ومن بعد.

تمهيد..

لقد أصبحنا الآن في عصر كثرت فيه الفتن، وكثرت فيه وسائل نشر الفتن، فلم تعد الفتنة قابضة في مكانها، بل أصبحت تنتشر بسرعة البرق، وتلتهم كل من يقف في طريقها كمثل النار تأكل في الهشيم، فذلة لسان تصبح سيفاً على رقبة صاحبها، وعِرض إنسان يصبح من الهوان بمكان حيث ينتهك وينهش حتى وإن كان بريئاً، ووسيلة اتصال كالإنترنت تصبح صندوق قمامة يلقي فيه كل من يريد ما تشمئز منه الفطرة السليمة من سباب وغيبة ونميمة وكذب وافتراء وقنوات فضائية وما تبشه من سموم وانعدام للأخلاق، وانعدام للمسئولية، والإباحية السافرة في كل شيء، من إثارة للغرائز بالفحش والعري إلى بذاءة اللسان والإباحية في الحوار ولهث البرامج التلفزيونية وراء الإثارة حتى ولو على حساب العفة والفضيلة، لقد أضحت وكأنها خطة محكمة ومنظمة لتدمير الأخلاقيات والقيم، بل واستبدالها بقيم أخرى شيطانية.

الفساد والظلم يعم كل مؤسسة وكل وظيفة، ولن تستطيع ثورة إصلاح ما فسد، ولا إعمار ما هُدم، إلا إذا ثرنا نحن على أنفسنا أولاً، ثورة حق، ثورة فطرة، ثورة صدق، واقتلنا الأخلاق الفاسدة من الجذور وأبدلناها بالحب والعطاء والإيثار، والرجوع إلى قيمنا وأخلاقنا الأصيلة مرة أخرى.

لن نهض إلا بعودة القيم والأخلاق التي تاهت عنا وتهنا عنها نحن المسلمين، لن ننجح في حياتنا إلا بالأخلاق، ولن نسود الأمم ونتقدمها إلا بالأخلاق، ولن يعود الإسلام قوياً إلا بالأخلاق، ولن ننشر ديننا إلا بالأخلاق، ولن نبني بلدنا إلا بالأخلاق ...

<< ابدأ بنفسك

شعار لابد أن نرفعه ونبدأ به أولى خطواتنا نحو التغيير.

أتذكر حين كنت أسير في الطريق ذات مرة أنا وأمي وقد كنت صغيرة آنذاك وقد ساءني سوء المنظر من القمامة والقاذورات الملقاة في كل مكان، فقلت لأمي: أترين يا أمي هذا الإهمال وعدم النظافة فقالت لي كلمة ظلت عالقة في ذاكرتي حتى الآن، قالت: «ابدأ بنفسك أولاً، وسيقلدك الآخرون.»

وبالفعل فإنه ليس بالاستياء والامتناع ستنتصلح الدنيا، ولكن بالعمل والإيجابية والخلق الحسن، ولذا .. فلنبداً بأنفسنا أولاً ... وهذا معنى من معاني حديث ﷺ:

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .مسلم

ووقوله عز وجل: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ }.

أن تضياء شمعة خير من أن تلعن الظلام...
فكن أنت الشمعة التي تضياء الظلام.

أتى شابان إلى الخليفة عمر بن الخطاب وهما يقودان رجلاً من البادية فأوقفوه أمامه ..

قال عمر: ما هذا

قالوا : يا أمير المؤمنين ، هذا قتل أبانا.

قال: أقتلت أباهم ؟

قال: نعم قتلته !

قال : كيف قتلته ؟

قال : دخل بجمله في أرضي ، فزجرته ، فلم ينزجر، فأرسلت عليه حجراً ، وقع على رأسه فمات...

قال عمر: القصص ...

قال الرجل : يا أمير المؤمنين : أسألك بالذي قامت به السماوات والأرض أن تتركني ليلة ، لأذهب إلى زوجتي وأطفالي في البادية ، فأخبرهم بأنك سوف تقتلني، ثم أعود إليك ، والله ليس لهم عائل إلا الله ثم أنا .

قال عمر: من يكفلك أن تذهب إلى البادية، ثم تعود إليّ؟

فسكت الناس جميعاً ، ونكس عمر رأسه، والتفت إلى الشابين : أتعفوان عنه ؟

قالا : لا ، من قتل أبانا لا بد أن يُقتل يا أمير المؤمنين..

قال عمر: من يكفل هذا أيها الناس !!؟

فقام أبو ذر الغفاري وقال: يا أمير المؤمنين ، أنا أكفله

قال عمر : هو قَتْل ، قال : ولو كان قاتلاً!

قال: أتعرفه ؟

قال: ما أعرفه، قال: كيف تكفله؟

قال: رأيت فيه سِمات المؤمنين ، فعلمت أنه لا يكذب ، وسيأتي إن شاء الله.

قال عمر : يا أبا ذرّ ، أظن أنه لو تأخر بعد ثلاث أني تاركك!

قال: الله المستعان يا أمير المؤمنين ...

فذهب الرجل ، وأعطاه عمر ثلاث ليالٍ ، يُهيئ فيها نفسه، ويودع أطفاله وأهله ، وينظر في أمرهم بعده ، ثم يأتي ، ليقص منه لأنه قتل

وبعد ثلاث ليالٍ... وفي الميعاد المحدد وفي العصر نوّدي في المدينة : الصلاة جامعة

فجاء الشبان ، واجتمع الناس ، وأتى أبو ذر وجلس أمام عمر

قال عمر: أين الرجل ؟

قال: ما أدري يا أمير المؤمنين!

وتلقّت أبو ذر إلى الشمس، وكأنها تمر سريعة على غير عاداتها ، وسكت الصحابة واجمين ، عليهم من التأثر مالا يعلمه إلا الله. وفي مكان دون مكان... وقبل الغروب بلحظات ، وإذا بالرجل يأتي ، فكبر عمر، وكبر المسلمون معه ..

فقال عمر : أيها الرجل أما إنك لو بقيت في باديتك ، ما شعرنا بك وما عرفنا مكانك !!

قال: يا أمير المؤمنين ، والله ما عليّ منك ولكن عليّ من الذي يعلم السرّ وأخفى !! ها أنا يا أمير المؤمنين ، تركت أطفالك كفراخ الطير لا ماء ولا شجر في البادية ، وجئت لأقتل... وخشيت أن يقال لقد ذهب الوفاء بالعهد من الناس.

فسأل عمر بن الخطاب لأبو ذر لماذا ضمنته ؟

فقال أبو ذر : خشيت أن يقال لقد ذهب الخير من الناس .

فوقف عمر وقال للشابين : ماذا تريان؟

قالا وهما يبكيان : عفونا عنه يا أمير المؤمنين لصدقه..
وقالوا نخشى أن يقال ذهب العفو من الناس!
قال عمر : الله أكبر ، ودموعه تسيل على لحيته .



الجزء الأول

الباب الأول

• نظرة علي واقعنا المعاصر

• أسباب انهيار حضارات ماضية و ازدهار حضارات قائمة

• منشأ الأخلاق

• الدين والأخلاق

• البشرى أننا الأقدر

• فلنجعل الهموم همماً واحداً

• ازرع قيمة

• حلم سيتحقق - إن شاء الله -

نظرة على واقعنا المعاصر

فوضى وعدم تحمل للمسئولية .

عدم إتقان وأناية.. والتملص منه.

إهدار للوقت

لامبالاة وأناية .

عدم التزام بأي مثل أو مبادئ والنظام..

فقدان لقيمة الجمال والنظافة والنظام .

إباحية متدرجة مساوئه فقط .

إباحية متدرجة في الإعلام أو الدراما

فقط أمة دهور في جميع المجالات ، فلا صحة ، لا تعليم ، لا صناعة ، لا

زراعة ، لا ابتكار ، لا اقتصاد ، لا فن ، لا إنتاج فقط أمة مستهلكة

لا تأكل من زرعها ، ولا تلبس من صنع يديها...

وإن كان الكلام في هذا الموضوع مؤلم وموجع ، إلا أنه من الضروري

بمكان أن نضع أيدينا على السبب الحقيقي بل والجذري لهذا التردى ،

فما عرضته سابقاً ما هو إلا نتائج بديهية لخلل ما أصابنا في الصميم

في قيمنا وأخلاقنا ، فلقد وصل بنا الحال لمستويات خلقية يندى

لها الجبين ، حيث أصبح الكذب من ضروريات الحياة ، وأصبحت

الأمانة عملة نادرة ، والرشوة أمر طبيعي لتسيير المصالح ، ناهيك

عن التملق والنفاق ، والغيرة والحسد والحقد والكراهية ، وظاهرة

عدم احترام الصغير للكبير ، والقسوة المبالغ فيها من الكبير للصغير

، وبذاعة اللسان والشتائم المتداولة هنا وهناك وخاصةً بين الشباب ، وكأنها بالشيء الطبيعي أن تسمعها في كل مكان، في الشارع، في النادي ، في البرامج الإعلامية والدراما التي تدخل كل بيت دون استئذان ، حتى في أرقى الأماكن وفي جميع الأوساط وكافة المستويات، ولذا فأنا هنا أريد التركيز على الأسباب ثم أتطرق للبحث عن الحلول .

وبدايةً ولنكن صرحاء مع أنفسنا ، ولنواجه الحقيقة ، فالحقيقة ليست أمر مما وصلنا إليه من أزمة حقيقية ليست في الأنظمة الفاسدة أو الحكومات غير المسؤولة فحسب، بل إن كان هناك فساد في النظام فإنما هو نتيجة طبيعية للخلل الأخلاقي السابق ، ولكن الأزمة الحقيقية هي في إلقاء المسؤولية .. نعم إلقاء مسؤولية كل واحد منا عن عاتقه إما على الآخر أو على الظروف أو على المدير أو على الحاكم أو...أو...أو.. حتى أصبحت عادات شعب وثقافة أمة

فلنقف لحظة صدق مع أنفسنا وليسأل كل واحدٍ منا نفسه ... ما الذي كان يجب أن أفعله ولم أفعله ؟ ماذا كان من واجبٍ مفروض عليّ ولم أقم به؟

قال النبي ﷺ : « كُلُّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثَغْرِ الْإِسْلَامِ ، اللَّهُ اللَّهُ لَا يُؤْتِي الْإِسْلَامَ مِنْ قَبْلِهِ. » اسناده مرسل

فماذا فعلت حتى تسد ثغرك ؟

لا شك أننا كلنا مخطئون أو مقصرون ، كلنا كنا سبباً في هذا القصور، فهناك دائماً الآخر الذي يرفع عنا الحرج فنحمله أخطاءنا وذنوبنا، وبدلاً من أن نعترف بالخطأ فضلنا أن نتقمص دور الضحية حتى نريح ضمائرنا ، وغيت قلوبنا ونكف أيدينا عن العمل .

أخطأنا إما بالسلوك الخطأ وإيجاد المبررات ، أو بالسكوت عن الخطأ والسلبية ...

ولكن تخلينا عن المسؤولية لم يكن يعفينا من العواقب ولا من العقاب ، فالعدل الرباني والقانون الكوني الذي يسري على الجميع بغض النظر عن الدين أو الجنسية أو البلد يقضي بأن «الجزء من جنس العمل» ، فعاقبة الخير هناء وسعادة ، وعاقبة الشر شقاء وتعاسة .

لقد ظلمنا أنفسنا وما ظلمنا من أحد ، فنحن خلقنا بأيدينا ذلك المجتمع المتهراوي المنهار الذي غُشيت ملامحه ، واهترأت أخلاقه وضاع فيه الضمير ، وغيبت فيه الأمانة .

لقد كنا مختبئين تحت عباءة فساد الحكام والمسؤولين، حتى إذا أزيح الستار تكشفنا وتعرينا أمام أنفسنا بينما لم يكن هؤلاء الحكام والمسؤولين إلا أداة عقاب ونتاج للانحلال الأخلاقي الذي غرقنا في ركابه منذ عقود. ولذلك فقد عوقبنا بهم وعوقبوا بنا .

ولقد حدد المؤرخ (ادوارد جيبون) مؤلف كتاب (انهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية) أن من أسباب انهيار وسقوط الأمم هو انهيار المسؤولية الفردية ، وإحساس الفرد بمسؤوليته تجاه المجتمع .

أسباب انهيار حضارات ماضية وتقدم وازدهار حضارات قائمة

على مر الزمان قامت حضارات عديدة كان أساسها الإنسان منها ما ولى واندثر ، ومنها ما قام واستمر ، و لكي نقيم حضارة وجب علينا أن نتعلم كيف تُصنع الحضارات ،ولكن دعونا نلقي الضوء أولاً على لمحات من أسباب انهيار حضارات سبقتنا على مر التاريخ ثم نقوم بجولة في بعض الدول المتقدمة لنعرف ما هو سر تقدمها!!

إن دراسة ومعرفة أسباب انهيار الأمم من المهم بمكان حيث أن هذا السؤال هو الوجه الآخر لمعرفة كيف تحيا الأمم وتنمو وتزدهر ونحن هنا بصدد عرض نقطتين هامتين وهما :

• ما هي أسباب انهيار أمم وحضارات عاشت وازدهرت ثم اختفت كالحضارة اليونانية والبابلية وغيرها؟

• ما سر تقدم دول مثل أمريكا وأوروبا واليابان ودول واعدة أخرى مثل ماليزيا وتركيا والبرازيل وغيرها وأسباب تفوقهم ؟

أولاً: أسباب انهيار أمم وحضارات عاشت وازدهرت ثم اختفت .

قدم المؤرخ البريطاني «توينبي» أعظم دراسة لتاريخ الأمم والحضارات وأسباب صعودها وسقوطها حيث كرس حياته لدراسة هذه القضية وقد قدم موسوعة ضخمة مكونة من ١٢ مجلداً بعد دراسة ٢٢ حضارة ، والذي خلص منها إلى نظرية سماها « نظرية التحدي والاستجابة» حيث مضمونها أن الحضارات تقوم استجابة لتحديات محددة سواء كانت هذه التحديات مادية او اجتماعية. وأن الحضارة عندما تصل الى مرحلة تعجز فيها عن الاستجابة للتحديات التي تواجهها ، فإنها تدخل في مرحلة الانهيار.

<< ولكن ما الذي يقود حضارة للعجز عن مواجهة التحديات التي تقابلها؟

استنتج توينبي من تحليله أن السبب الرئيسي لهذا العجز هو عندما تفقد الحضارة قوتها الأخلاقية والقيمية والروحية ، أي عندما تشهد انهياراً قيمياً وأخلاقياً ودينيّاً ، وفي تحليل توينبي أن هذا الانهيار يقود إلى الجمود ، والعجز عن الإبداع والابتكار والتجديد، ومن ثم العجز عن التحديات ، وعندما يحدث ذلك فإن هذه الأمة أو الحضارة يحدث لها بتعبير توينبي «شرح في الروح»، والذي يقود بدوره إلى السقوط والانهيار.

وبناءً على هذه النظرية فإن توينبي يقسم مراحل تطور الحضارات

إلى خمس مراحل هي :

- مرحلة الميلاد والنشأة.
- مرحلة الازدهار والتوسع السريع.
- مرحلة الجمود والعجز عن التطور والإبداع والتجديد .
- مرحلة الانحلال والتدهور الأخلاقي.
- مرحلة السقوط والانهيـار.

وخلص من نظريته إلى أن الأمم والحضارات تموت بسبب عوامل داخلية . وفي القلب من هذه العوامل انهيار القيم الأخلاقية ، ولخص دراساته هذه في عبارة بليغة وهي :

« إن الأمم لا تموت قتلاً ولكن تموت انتحاراً ».

وقد خلص المؤرخ الأمريكي «ويل ديورانت» من دراسته المتعمقة أيضاً للتاريخ لنفس النتيجة التي مضمونها كما قال : «الحضارات العظيمة لا تنهزم إلا عندما تدمر نفسها من داخلها».

ثانياً: ما السر وراء تقدم الدول ؟.

قبل الاستطراد في الحديث والبحث عن إجابة هذا السؤال فدعونا نشاهد لقطات سريعة من سلوكيات الغرب أولاً ، ثم نسقط نفس المشاهد على واقعنا الحالي في بلادنا .

• تأمل وقارن !

عندما تمرض أو تصاب بحادث فإنك فوراً تجد من يقلقك للمستشفى وهناك تجد فريقاً طبياً كاملاً يسرع لإنقاذك ، وبعد كل الفحوصات والإشاعات اللازمة ومن ثم العلاج والمداواة يأتي السؤال عن المال ، وهناك تأميناً صحياً لكل مواطن يغطي كافة نفقات العلاج ويلقى به كافة الرعاية الطبية مهما كانت التكلفة.

(أما هنا فأمامك خياران إما أن تنقل إلى المستشفى الحكومي المدعومة وتتقبل أدنى مستويات الرعاية الطبية والإهمال والا مبالاة ناهيك عن عدم النظافة وعدم توفر الأدوية والعلاجات.....!!، وإما أن تنقل إلى مستشفى خاص ، وهنا يجب أن تكون من الأغنياء والمقتدرين لأنك ستفاجأ بعبارة (الدفع أولاً) .

صورة أخرى وهي صورة ضابط يوقفك على الطريق لتنبيهك أنك اقترفت مخالفة ما ، فإنه ينبهك لخطئك أو يطلب منك الرخصة أو الغرامة بكل أدب وهدوء دون إهانة أو إيذاء ، فالقانون يطبق بكل حزم دون إهانة أو تجريح مادي أو معنوي حتى مع المجرمين العتاة .

(أما نفس الصورة عندنا فليس من المستغرب أن تقابل بالإهانات والألفاظ البذيئة ، أو تدفع رشوة للشرطي وأحياناً للضابط لتمر بسلام).

لقطة أخرى عند إشارة المرور ، فكل السيارات تنتظر حتى وإن لم يتواجد شرطي المرور ، والمشاة يلتزمون بالسير على خط المشاة حتى وإن كان في مكان مقطوع لا أحد فيه .

(أما عندنا فالمشهد مختلف ، فإذا كنت مستعجل أو حتى غير

مستعجل....! فيمكن أن تمشى أو تسير في الطريق المخالف ، أما طريق المشاة فمن ذا الذي سيذهب خطوات إضافية ليعبر الطريق المخصص للمشاة؟).

يحكي الدكتور شريف وهو ملحق ثقافي في السفارة المصرية بباريس أنه عندما كان حديث العهد بعمله في السفارة ، وكان قد استلم سيارته حديثاً ، أنه في ذات يوم أخذ أطفاله وخرج بالسيارة، وفجأة ظهرت سيارة شرطة استوقفته ، ونزل منها ضابطة شرطة واقتربت منه ونقرت نقراً خفيفاً على زجاج السيارة حتى يفتح وتكلمه وقالت له : (من فضلك أنت ارتكبت مخالفة لأنك تقف في مكان ممنوع...والأطفال لا يضعون حزام الأمان ، فقل لي : ما رأيك في هذا ؟ فقال لها : أنا آسف ، فأنا حديث العهد بهذه البلد وبقوانينها فقالت له : حسناً.. من أجل الأطفال سوف أتغاضى عن هذا وكأني لم أرى شيئاً ، ولكن أرجو أن لا تكررهما مرة أخرى) .

أما نجلاء فقد ذهبت مع زوجها للعمل بأمريكا وهناك انبهرت بأخلاقهم الرائعة ، فهي تحكي أن الناس هناك ودودون بشوشون ، تحكي أنها عندما تعثرت ولادتها في ابنها الذي ولدته وهي في شهرها السادس أنهم حولوها إلى أكبر مستشفى متخصصة للولادة بنيويورك، وهناك وجدت الرعاية الطبية الفائقة ، والاهتمام الرهيب سواء من الأطباء أو الممرضات ، وبالرغم من أن أمها كانت تخشى عليها أنها وحيدة في الغربة إلا أن نجلاء قالت لها : لقد وجدت منهم رعاية واهتماماً لم أكن لأجدها حتى وأنا مع أهلي .

أما المشهد التالي فترى فيه صورة رائعة للشعب الياباني عندما حدثت كارثة الزلزال المدمر عام ٢٠١١ ، وبالرغم من هذه الفاجعة الكبيرة التي هزت اليابان ، إلا أن قيم الشعب الياباني لم تهتز

فظل محافظاً على الأمانة والنظام حتى في طوابير توزيع الطعام على الذين تضرروا.

لقد كانت هذه لقطات سريعة ومقارنات تستطيع من خلالها أن تتلمس إجابة هذا السؤال ...

ما هو الشيء الموجود عندهم وليس موجود عندنا !!؟

ما السر الذي قادهم للتقدم ونحن مازلنا ننظر خلفنا !!؟

فالبعض يقول إنهم يمتلكون المال والإمكانيات ، والبعض يقول إنهم يمتلكون العلم والتكنولوجيا، وهناك من يقول أنهم تقدموا بالصناعة، وآخرون يعتقدون أنهم تقدموا عندما فصلوا الدين عن الدنيا...

فهل هذه هي فعلاً الأسباب الحقيقية لتقدمهم ؟

إن السبب الحقيقي وراء تقدم الغرب أنهم أدركوا (قيمة الإنسان) وترتب على هذا الإدراك أن تمحورت قيمهم وأنظمتهم وقوانينهم كلها حول كيفية الارتقاء بهذه القيمة والمحافظة عليها، فوضعوا الاعتبارات الإنسانية أساساً في تعاملاتهم، أما عندنا نحن (فالإنسان) لا قيمة له .

والسبب الآخر هو أنهم وضعوا لأنفسهم قيماً وأخلاقيات ومبادئ اعتبروها سلوكيات جماعية يطبقها الفرد والمجتمع ، وتقوم عليها الدولة ، ويحاسب عليها القانون ، وينشأ عليها الأطفال ، أي أن هذه الأخلاقيات بمثابة قوانين لا أحد يجزؤ على مخالفتها .

وكثيراً ما نسمع عن أناس نزحوا عن بلدانهم إلى بلدان أخرى أكثر تقدماً ، فكان أكثر ما بهرهم من البنيان والعمران هو التعاملات والسلوكيات التي يتعاملون بها، واحترام آدمية البشر، وارتفاع قيمة الإنسان.

وكأمثلة لبعض هذه القيم والأخلاقيات التي صعدت بهم إلى قمة

الهرم التقدمي :

- العدل والمساواة. • الحاكم والمحكوم سواء تحت سيادة القانون.
- الصدق والأمانة • احترام وتقدير قيمة الإنسان
- تعظيم قيمة الوقت • تعظيم قيمة العمل
- الإتقان في العمل • التعاون
- التواضع • الرقي في التعاملات بين الناس
- احترام الرأي والرأي الآخر • النظافة والنظام

ولقد كان أوقع تعبير ذاك الذي عبر به «الإمام محمد عبده» عن حالنا وحالهم حين قال: «هناك رأيت إسلام بلا مسلمين و هنا رأيت مسلمون بلا إسلام»!

ومن هذا التحليل السريع نخلص بأن صعود الأخلاق وانهايارها كان العامل المشترك بين تقدم الأمم وانهايارها .

ولكن قد يقول قائل بعد هذا التحليلإذا نحن نحتاج إلى صياغة الأخلاق من جديد حتى نرتقي ونتقدم ، وليس من المهم الدعوة إلى التمسك بدين أو تدين ، ولندع كل ومعتقداته ومستوى تدينه لنفسه ولا يعيننا من ذلك إلا أخلاقه ؟..بدليل أننا لدينا العقيدة والدين وبالرغم من ذلك متأخرين في كل شيء !!

فهل هذا الكلام صحيح ؟...

قبل مناقشة هذا التساؤل فدعونا نستعرض تجربة ماليزيا أولاً ، ثم نتطرق بعد ذلك لمناقشة جذور الأخلاق ومنشأها منذ بداية

الخليلة.....

«علمت شعبي معنى الإسلام و التسامح ونبذ العصبية وحب العمل
و الإتقان»

هكذا قال مهاتير محمد (رئيس وزراء ماليزيا السابق) عندما سئل
عن سر تقدم ماليزيا ، فقد أسس لهم منظومة تعليمية راقية وقوية
لتعلمهم معنى الأخلاق والقيم والانتماء والذي قفز بهم نحو التقدم
واللحاق بمصاف الدول المتقدمة.

الشعب الماليزي يشهد له كل من زار هذا البلد بأنه شعب
هادئ ومنظم ويحترم الآخر، وبالرغم من تعدد الأطياف والأديان في
هذا البلد إلا أنه تسوده روح التكاتف والتعاون والتكيف لا الاختلاف
والفرقة .

ففي ماليزيا يقولون : (اختلاف أصولنا وعقائدنا واحترامنا لبعضنا هو
سر تطور بلادنا)، ورغم أن الأغلبية العظمى في ماليزيا من المسلمين
بيد أن الإسلام في ماليزيا هو دين حضارة وتسامح وتطبيق وليس
دين ظاهري وإرهاب وتضليل.

لقد أصبحت ماليزيا الآن تضاهي أكبر الدول الصناعية تقدماً ، فمعدل
نموها الاقتصادي يفوق ٤٪ ، ويبلغ الناتج الداخلي الخام للفرد الواحد
بها ٣٤٠٠ دولار ، وبذلك فهي تحتل المرتبة الثالثة في قارة آسيا بعد
سنغافورة وبروناي .

ومن هذا نستخلص أن الدين وروحه خير معين على التقدم والتطور
وليس العكس إذا طبقت مبادئه الصحيحة.

الدين والأخلاق

«إن الرسائل السماوية تعمل من الداخل إلى الخارج، والعالم يعمل من الخارج إلى الداخل . والعالم يخرج الناس من الرذائل ، والرسالات السماوية تخرج الرذائل من الناس ، وبعد ذلك يخرجون هم أنفسهم من الرذائل .

والعالم يشكل الرجال بتغيير بيئتهم ، والرسالات السماوية تغير الرجال والذين يغيرون بيئتهم بعد ذلك، ويشكل العالم سلوك الناس، ولكن الرسائل السماوية تغير طبيعة البشر» .

عزرا تافت بنسون

والآن دعونا نطرح السؤال من جديد...إذا كانت الأخلاق هي السبب وراء قيام حضارة ... فهل هذا يكفي دون النظر إلى الدين ؟
إجابة هذا السؤال تتوقف على إجابة هذين السؤالين أولاً...

• كم ستدوم حضارة قائمة على أخلاق بلا دين ؟

• هل فهمنا ديننا نحن المسلمون كما أنزله الله تعالى وطبقنا تعاليمه؟

إن التمسك بالأخلاق الفاضلة يقودنا لصناعة حضارة بلا شك، حتى وإن لم تقم هذه الأخلاق على أساس الدين وهذه حقيقة لأن الله تعالى قد وضع قانون واحد وعادل للكون كله، ألا وهو قانون الأخذ بالأسباب .

ولذا قال ابن القيم : (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة)

« ويقودنا ذلك إلى حقيقة أن من يأخذ بأسباب الدنيا يمتلكها ولو لم يكن مؤمناً بالله، وقد قيل: الدنيا تصلح بالكفر والعدل، ولا تصلح بالظلم والإيمان. فالله تعالى عدل يعطي الدنيا لمن يأخذ بأسبابها مؤمن كان أو غير مؤمن، ولا يعطي الآخرة إلا للمؤمن المستقيم فقط.

الشيخ محمد راتب النابلسي

ولكن ...

السؤال هنا ...

• كم سيكون عمر هذه الحضارة ؟ وكم ستدوم؟

إن الأخلاق لابد لها أن تقوم على أساس، فإن لم تقم على أساس الدين فعلى ماذا تقوم إذا ؟

إن حضارة عظمى كحضارة أوروبا الآن عانت في العصور الوسطى من الظلم والاضطهاد والجهل والفساد الأخلاقي حتى عرفت هذه العصور بالعصور المظلمة ، ثم قامت الثورة الفرنسية التي قلبت موازين أوروبا ، فصلت الدين عن الدنيا والعلم ، فالكنيسة آنذاك كانت تشكل عائقاً أمام أي تقدم ، وكانت تتدخل في كافة الشؤون، فكانت ترفض أي جديد، وتحارب أي فكر، فقد كانت تنبذ العلم وتحرق العلماء.

والأمر الآخر أنها قامت بثورة صناعية كبرى ، ومن خلال هذه الثورة تعلمت أوروبا قيماً وأخلاقيات جديدة نبذت من خلالها أخلاقيات الظلم والفساد القديمة التي قادتهم إلى الجهل والتخلف ، وقامت هذه الأخلاق الجديدة على كل ما يدفعهم إلى النجاح والتقدم ، ولذلك فقد قادتهم عقولهم إلى أن الرقي والتقدم يساوي أخلاقاً راقية ، ولذا فهي أخلاقيات نفعية بالدرجة الأولى أو ما يمكن أن نسميه الآن بأخلاق المصالح .

أما حضارة كأمريكا وروسيا وغيرها فقد بدأت مما انتهى إليه الآخرون، وقامت على نفس المبادئ ونفس الأفكار ونفس لغة المصالح التي تقود للنجاح .

ولكن العيب في هذا النوع من الأخلاق أنه يظهر الوجه الحسن حيث المنفعة ، بينما يبرز الوجه القبيح عند تعارض المصالح مع الأخلاق ، فهي ليست أخلاقيات حقيقية نابعة من الإيمان بالقيم العليا، ولكنها أخلاقيات نفعية تمارس بقدر ما تجلبه من منافع ، ولكنها تتهاوى مع تعارض المصلحة.

وهذه الصورة القبيحة التي تظهرها السياسات العليا مع الدول الأدنى في المستوى مثلما حدث في العراق أو في أفغانستان أو في فلسطين، فعند هذا الحد ازدوج القيم والمبادئ ليظهر وجه الأسد الحقيقي متجرداً من أية أخلاقيات نزيهة مع تقديم مبررات واهية تبيح لصاحبها الظلم والطغيان .

ولأن حضارة كهذه تقوم على أساسٍ هش فاحتمال انهيارها في أي وقت يكون كبيراً .

وهذا أيضاً يقودنا إلى سؤال آخر وهو ... أليس هذا الانهيار هو أيضاً ما أصاب أمتنا بالرغم من وجود الدين والعقيدة ؟ سؤال كهذا هو نفسه الدليل والتقرير على ما نريد إثباته ، حيث لا تقوم أمة أبداً تخلت عن القيم والأخلاق والمثل العليا حتى ولو كانت أمة الإسلام نفسها.

على أن إجابة هذا السؤال أيضاً تتضمن الإجابة على السؤال المتقدم

• هل فهمنا نحن المسلمين الدين الذي ندين به كما أنزله الله تعالى وطبقنا تعاليمه حتى نستحق أن نصبح في الصدارة ؟

إن سبب تخلفنا وتراجعنا هو تخلينا عن قيمنا ومبادئنا، وسبب

تحللنا من قيمنا وأخلاقنا هو أننا فقدنا الروح التي كانت تحي فينا هذه الفضائل ، فجعلنا نفقدها قيمة وراء قيمة وفضيلة وراء فضيلة. وإن ظل في جعبتنا بعض الفضائل التي أضحت عادات وأعراف إما باسم الدين أو بقايا للفطرة الإنسانية. والدليل على ذلك أننا نتمسك بالمظهر دون الجوهر، والمسائل المثارة والتي تشغل بال المسلمين الآن هي المسائل الشكلية دون المضمون. فانحصرت كل هموم المسلمين في مشارات الخلاف بين الفقهاء. تركنا أصل وجوهر الدين وتعلقنا بالفروع . أما الحديث عن فضائل وأخلاقيات الدين فإن أثرت فالحديث عنها يوحى بأنها مظاهر جمالية وليست عبادات يعاقب تاركها .

إن ديننا الحنيف لم يترك صغيرة أو كبيرة تقوم عليها الحياة إلا وتحدث عنها ووفقاً حقها، ولكن أرايت كم الآيات في القرآن الكريم ، وكم الأحاديث الشريفة التي تحدثت واستفاضت عن الأخلاق والفضائل بالنسبة للحديث عن المظهر والمسائل الشكلية ؟.

• فإذا كنا نرتضي دين الإسلام عقيدةً لنا، فلماذا لا نزن الأمور بموازين هذا الدين ؟.

إن الدين هو القوة التي تحكم قبضتها على هذه الأخلاق، وبما أن الدين هو عقيدة وإيمان ، فنحن مازلنا نتمسك بالعقيدة نقاتل دونها ، ولكن الإيمان هو ما أخذ يتسرب من قلوبنا شيئاً فشيئاً ، ولأن الإيمان هو روح الفضيلة والأخلاق ، فقد أخذت الفضيلة تتسرب من سلوكياتنا شيئاً فشيئاً .

ولذا فهناك علاقة طردية بين الإيمان والأخلاق في ديننا .

فالإيمان كما قال النبي ﷺ الكريم صلي الله عليه وسلم :
«ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل». البخاري مرفوعاً عن أنس.

وقد قال ابن القيم : (الإيمان هو الخلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان).
وتداع الأخلاق أيضاً دليل على ضعف الإيمان فقد قال النبي ﷺ
عن ابن عمر :
« الحياء والإيمان قرناء جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر». الحاكم
على شرط الشيخين
وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال:
« والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن قيل : من يا رسول الله ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه ». متفق عليه
وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :
« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ».
متفق عليه

فالمشكلة هي أننا أصبحنا مسلمين إسماءً فقط دون مضمون الإسلام الحقيقي ، وانقسمنا إما مسلمون بالمظهر فقط دون الجوهر ، وإما مسلمون بلا مظهر ولا جوهر.
إننا في الوقت الذي تحللنا فيه من أخلاقنا وقيمنا وتعاملنا معها على أنها مظاهر كمالية جمالية لا عبادات يحاسب عليها الشرع ، اعتبرها الغرب قوانيناً وقواعداً يعاقب كل من يخالفها باسم القانون.

ولذلك فقد أخطأنا عندما اعتبرنا هذه الأخلاق بأنها كماليات

تتغنى بها الشعوب المرفهة فقط أما نحن فلا نستحقها ، فهذا تبرير مخادع لتخلينا عن هذه المبادئ والقيم ، أو قل عذر أقبح من ذنب لن يعفينا من حساب الله لنا لا في الدنيا ولا في الآخرة ، ولذلك فنحن نحتاج لمراجعة أنفسنا وتربيتها من جديد .

ولكن...إن كان ما يحدث في أمتنا الآن من تراجع يجعل حجة ادعاء أن التقدم لن يتسنى لنا إلا إذا فصلنا الدين عن الدنيا مثلما فعل الغرب وطبقنا أخلاقياتهم وكفى مازالت قائمة فلنجري هذه المقارنة لنزيح بها عن أنفسنا الشكوك . ثم نأتي بالدليل القاطع على زيف هذه المقولة

• الفرق بين تطبيق الأخلاقيات مجردة من الدين وتطبيقها على أساس الدين ؟

إن الدين والإيمان يوجد سبباً أقوى وأرقى لفكرة التمسك بالأخلاق وهو الربط بينها وبين رضا الله تعالى أو سخطه ، ويربط بينها وبين فكرة الثواب والعقاب ، ولذلك فالدين يرسخ جذور الأخلاق الفاضلة في النفس .

الأخلاق النابعة من الدين تتمثل في أرقى صورها وأرفع مستوياتها عندما يتمكن الإيمان من القلب ، حتى أن هذا الإيمان قد يدخل بها دروب الخيال ويصنع المعجزات لأنها ستصبح آنذاك تعامل مع الخالق مباشرةً وليس تعامل مع البشر .

أخلاق الدين والإيمان متجردة من أي هوى ، وهذا ما يجعلها مثالية وكاملة ، بينما الأخلاق المتجردة من الدين في أحيان كثيرة تكون

متحيزة لتغليب المصالح .

أخلاق الدين شاملة ، فهي ارتقاء بكل نواحي الحياة ،بينما الأخلاق المتجردة من الدين ترتقي بجوانب وتتجاهل جوانب أخرى .

الأخلاق المتجردة من الدين يسيطر عليها الجانب المادي أكثر ، بينما أخلاق الدين يسيطر عليها الجانب الروحاني .

إن أخلاق وقيم الدين ليست كماليات جمالية ، ولكنها ثوابت في العقيدة بصلاحتها تصح العقيدة ، وبفسادها تفسد العقيدة ،وهنا يكمن الفرق بين المطالبة بسلوك ما على أنه خلق عام، وبين التكليف به على أنه دين كسائر العبادات المفروضة في هذا الدين. وأخيراً... بل وأهم نقطة هو أن أخلاق الدين يكون الباعث عليها الضمير الحي في قلب الإنسان المؤمن المتمثل في مراقبة الله تعالى والخوف منه فيكون بمثابة دافع داخلي له فلا يحتاج لمن يراقبه أو يفرض عليه قانون من الخارج للامتثال للأخلاقيات والمبادئ المثلى، بينما أخلاق غير قائمة على الدين فتحتاج لدوافع خارجية تلزم على تطبيقها كالقانون مثلاً أو دافع المنفعة أو غير ذلك من العوامل الخارجية .

• ولكن هل معنى ذلك أن كل الأخلاق القائمة على أساس غير ديني هي أخلاق نفعية ؟

طبعاً لا... .. وذلك من رحمة الله بالبشر ، فهناك من ليسوا على دين أصلاً وبالرغم من ذلك فهم يتحلون بالأخلاق الكريمة ،فهؤلاء

استجابوا لنداء الفطرة ، وخلقوا لأنفسهم نوع من التوازن النفسي بدافع من الضمير الإنساني .

والخلاصة

إن أي نفس خلقها الله خلق فيها الفطرة التي تبحث وتسعى لتحقيق الكمال الإنساني، وزرع فيها حب الفضائل والقيم السامية بغض النظر عن الدين أو الجنسية أو اللغة أو لون البشرة، فلا تجد أحداً يحب الكذب لذاته وإن كان يكذب، ولا أحد يحب الخيانة لذاتها وإن كان يخون ، وذلك لأن الله سبحانه ركب في النفس حب الخير ومقت الشر وخلق فيها الدوافع الداعمة لذلك وهي الرغبة في : تحقيق الكمال..

احترام وتقدير الذات ..

اكتساب احترام الآخرين وحب الناس وتقديرهم ..
تحقيق الطمأنينة والسلام النفسي .

ولذلك تجد أن كل من يخالف هذه الفطرة يعاني من الاضطراب والقلق والتوتر ويعيش نوع من الفصام النفسي مع ذاته سواء كان متديناً أم لا.

فإذا لبى المرء نداء الفطرة والإيمان معاً تحققت أقصى درجات التوافق والسلام النفسي لأنه بذلك يحلق في عالم رائع فوق مستوى البشرية، فهو بذلك لا يلبي نداء الفطرة فحسب، بل إنه يلبي النداء الأعلى والدافع الأسمى وهو رضا الخالق و ينتظر الجزاء والمكافأة الأعلى في الآخرة فضلاً عن المكافأة في الدنيا.

قال تعالى: (من عمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون) النحل ٩٧
أما تلبية نداء الفطرة فقط فجزاؤه في الدنيا السلام والطمأنينة مع النفس ومع الكون ولكن ما له في الآخرة من خلاق.

تعالوا نرى ماذا لو طبقنا القيم والأخلاق وتمسكنا بها على أساس الدين ، أو بمعنى آخر ماذا لو طبقنا دين الإسلام كما أنزله الله تعالى . والتزمنا بتعاليمه وتجنبنا نواهيه ...ماذا سيحدث ؟

إذا كان السؤال يقتضي الإجابة في المستقبل بيد أن الجواب سيكون من الماضي حيث سادت أمة من أعظم الأمم أكثر من ثمانية قرون وهي أمة الإسلام ، حيث قدمت للعالم كله أكبر مثال على التقدم والرقي والحضارة في كافة المجالات من طب وعمارة وفنون وأدب وغير ذلك الكثير مما كانت لها الريادة فيه في الوقت الذي كانت تعيش فيه أوروبا فيما يسمى بالعصور المظلمة ، وما توصل إليه الغرب الآن من علم وتقدم هو في الأساس نتيجة تأثيرهم بالحضارة الإسلامية في جميع المجالات ، ويشهد على ذلك ابن سينا والإدريسي وابن خلدون والكثير من علماء المسلمين الذين كان لعلمهم ومؤلفاتهم الفضل في تأسيس الحضارة الأوروبية .

لقد كانت الأمة الإسلامية في عصورها الأولى تجسيدا حياً لكل الأخلاق والقيم التي دعا لها الإسلام ، وذلك لفهمهم العميق بأن الأخلاقيات والقيم لا تنفصل عن العقيدة أبداً، إنما هي جزء منها ، وقد كانوا يتعاملون معها من خلال منطق أنها ليست مجرد أخلاق فاضلة يثاب فاعلها ، ولكن على أنها عبادات مثلها مثل الصلاة

والصيام والعبادات الشعائرية الأخرى، بيد أنها تشمل مجالات الحياة كلها، ويؤمنون بأن أي نقص فيها، هو انتقاص من العقيدة نفسها وخلل في الإيمان. فقد كان المسلمون الأوائل تطبيقاً حياً لدين الإسلام الحق.

إن الحضارة التي وصل لها المسلمون آنذاك وارتفعت بهم إلى قمة الحضارات كان الفضل فيها يرجع لتمسكهم بالقيم والأخلاق التي دعا لها الإسلام، فعندما طبقوها كما أنزل الله تحقق فيهم عدل الله تعالى وأقيمت دولة الإسلام، وما تراجعت هذه الحضارة إلا عندما تراجعت هذه الأخلاق.

لقد كان لنا السبق في هذا المضمار نحن المسلمون بحضارة لم يكن لها مثيل حتى الآن حين ضرب المسلمون أروع الأمثلة على الرقي في المعاملات والتمسك بالفضائل والأخلاق التي بلغت قمته وذلك لربطها بأسمى الغايات، وهي التقرب إلى الله وإرضاءه وطلب المثوبة منه وتجنب سخطه، ولم تتراجع هذه الحضارة إلا عندما تهاون المسلمون بهذه الأخلاق، وتناسوا هذه الغاية.

ولنستعرض قطرة من بحر المشاهد الأخلاقية التي كانت هي الأصل في تعاملات المسلمين في العهد الأول:

هكذا كانت أخلاقهم !!

حين فتح أبو عبيدة بن الجراح بلاد الشام ، واشترط أهلها عليه أن يحميهم من الروم مقابل دفع الجزية ، ثم جهز هرقل جيشاً ضخماً لاسترداد بلاد الشام من المسلمين ، رد أبو عبيدة الجزية لأهل الشام وقال لهم : لقد اشتترطتم علينا أن نمنعكم وقد سمعتم بما يجهز لنا ، وإنا لا نقدر على ذلك (أي على حمايتكم من الروم) ونحن لكم على الشرط إن نصرنا الله عليهم .

وقد أدب عمر بن الخطاب ابن عمرو بن العاص لأنه ضرب الشاب القبطي الذي فاز عليه في السباق ، وقال لعمرو : يا عمرو ! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .

وسُرقت من علي درع فوجدها عند يهودي فقاضاه إلى قاضيه شريح .. ولي يومئذ هو أمير المؤمنين ، فنادى شريح أمير المؤمنين بكنيته : يا أبا الحسن ! ولم يكن الرجل اليهودي ، فغضب علي ، وقال للقاضي : إما أن تُكني الخصمين معاً ، أو تدع تكنيتهما معاً ..

ثم سأل شريح علي عن قضيته : فقال : الدرع درعي ، ولم أهب ولم أبع .

فسأل شريح اليهودي : ماذا تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ فرد متلاعباً : الدرع درعي ، وأمير المؤمنين عندي ليس بكاذب !

فقال شريح لأمير المؤمنين : يا أمير المؤمنين ، هل من بينة ؟!

قال : صدق شريح ! مالي من بينة

فحكم شريح بالدرع لليهودي .

فأخذ الرجل الدرع ومضى وهو لا يكاد يصدق !

ثم عاد بعد خطوات ليقول:

أمير المؤمنين يقاضيني إلى قاضيه فيقضي عليه ؟!

إن هذه أخلاق أنبياء !

أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً النبي ﷺ !

الدرع درعك يا أمير المؤمنين ، خرجت من بعيرك الأورق فاتبعتها
فأخذتها ..

فيقول علي : أما إذ أسلمت فهي لك !!

والفطرة كل من يخالف أخلاق الإسلام آنذاك يصبح غريباً منبوذاً لا
مكان له في مجتمع الإيمان إلى أن يرجع. وعلى هكذا أخلاق قامت
عليها حضارة عظيمة هي حضارة الإسلام.

الأخلاق فطرة .. وعقل .. وبصيرة

لقد كرم الله الإنسان وفضله على سائر مخلوقاته ، فقد أعطى له مزية الاختيار بعد أن سخر له الكون، وأضاء له الطريق وعلمه كيف يختار دون قسر أو إجبار ، وألهمه الطريقين طريق الخير وطريق الشر ، فمن سار على طريق الخير أفلح ونجا ، ومن سلك طريق الشر فقد ضل وهلك ، وقد وضع الله في طريقه الإشارات المضيئة التي إذا تبعها تحققت له السعادة في الدنيا والآخرة ، أما إذا تغافل عنها وتجاهلها فقد اختار أن يسير في متاهات لا نهاية لها وانتظار جزاء اختياره في الآخرة . ولقد جعل الله تلك الإشارات منها ما أودعه الله تعالى فينا بالفطرة ، ومنها ما كان دافعاً ومحفزاً لنا من الخارج عن طريق الرسل والأنبياء والمصلحين ، ثم وهبنا العقل الذي يقرن بين الإشارات ، ويوازن بين الداخل والخارج ثم يقوم بتشكيل الإنسان الذي نحن عليه . وبلحمة سريعة نستعرض تلك الإشارات :

الفطرة :

الفطرة هي أكبر دليل على نقاء الإنسان الأصيل فينا ، فلقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بفطرته يحب ويميل إلى الخير ، ويبغض وينفر من الشر فكانت هذه هداية الله الأولى له ، فأما ما طرأ عليه بعد ذلك من تغيير للطباع والسلوكيات فهو نتيجة لعوامل أخرى كالتربية والبيئة والظروف المحيطة ، والاحتكاك بالآخرين ومسايرة

الأقران وغيره...، والفطرة هي التي تجعل الإنسان طالما كان في صراع دائم واختبار صارم للاختيار بين الحق والباطل. وهي أيضاً التي غالباً ما ترده كلما انجرف مع الهوى في صورة الضمير، ولذا فالخير فيه أصيل، والشر عليه دخيل .

قال تعالى : { **وَهْدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** } البلد ١٠. أي الطريقين الخير والشر.

وقال تعالى أيضاً (**فَطَرَنَاهُ اللَّهُ التَّيَّ فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**) سورة الروم : ٣٠ .:

وفي قول النبي ﷺ عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن قال: « **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبْوَاهُ يَهُودِيَّةً ، أَوْ يَنْصَرَانِيَّةً ، أَوْ يَمَجْسَانِيَّةً** » . رواه البخاري

العقل :

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون الشاسع الأرجاء المتنوع المخلوقات وحث الإنسان على التأمل والتفكير في خلقه فالكون هو أكبر معلم ، بل هو المعلم الصامت الحكيم، فالطبيعة الرائعة التي خلقها الله تعالى تكاد أن تنطق بكل ما هو جميل ورائع، علَّك تدرك سر الخلق والوجود ، وتعني ما خلقك الله من أجله ، فالطبيعة التي خلقها الله تعالى متناغمة ومتناسقة مع بعضها البعض ، ولأن الإنسان جزء من هذه الطبيعة ومخلوق من مخلوقات فلن يستطيع أن يتناغم معها إلا إذا عاش بقوانينها المسالمة النقية ، فإن هادنها فاضت عليه بروعتها ، وإن خالفها تمردت عليه وأردته أشد العقاب . ورسائل الطبيعة لمن يعي ويتفكر تحيط بالإنسان في كل

مكان ، وما عليك إلا أن تستقبلها وتستقرئ ما فيها من معاني وكلمات .

قال تعالى : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} آل عمران: ١٩٠.
{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ
شَيْءٍ وَأَنْ يَخْسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَفْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ
يُؤْمِنُونَ} الأعراف: ١٨٥.

فمثلاً الجبال توحى إليك بالشموخ والصمود والاستقرار
فتتعلم منها الصبر والجلد ، الأنهار ... الهدوء والسكينة التي يمكن أن
تتعلم منها الحلم والأناة ، البحر... التأمل والتفكير ، النبات والخضرة..
الصفاء والنقاء الذي يوحي إليك بالتسامح والعفو.
وفي عالم الحيوان تجد ما يلهمك ... فتتعلم من الخيل العزة
والإباء ، فمن يتعامل مع الخيل يكتسب أخلاق الفروسية والنبيل .
الكلاب وقصص الصدق والوفاء مع أصحابها التي تفوق الخيال ،
والنمل أصغر كائن تراه الأعين المجردة مضرب المثل في الصبر والمثابرة ،
والنحل الذي هو منظومة متكاملة من العمل والنظام والإتقان ،
الأسد ... والشجاعة ، الثعلب والمكر والدهاء.

ثم فهم القدماء المصريون هذه الإشارات ، فأشاروا لهذه المعاني
في رسمهم ونحتهم ، فاستخدموا الصقر مثلاً رمزاً للملك ، والحية
في تيجانهم رمزاً للقوة ، وأيضاً حضارة اليونان واستخدام الطبيعة
والحيوانات كرموز لأشياء معنوية كالبومة مثلاً التي كانت ترمز
عندهم للحكمة.

البصيرة:

وإن كان البصر هو رؤية العين ، فالبصيرة هي رؤية القلب والتي تمثلت في بعث الأنبياء والرسل بالرسالات السماوية لهداية البشر ودعوتهم للفضائل والأخلاق الحميدة ولينهاهم عن قبيح الأفعال والخصال .، ثم أنهم كانوا هم القدوة المجسدة لهذه الأخلاق حتى بعث النبي ﷺ بالرسالة الخاتمة لیتمم هذه الأخلاق .

فقد قال النبي ﷺ : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين ﷺ » ين . البخاري

ومعنى موضع اللبنة هنا ليس الموضع الكمي أو المكاني الذي يكمل به العدد الناقص ، ولكن المعنى المقصود هنا هو كيف وليس الكم حيث المعنى العميق للوصف وليس المعنى السطحي، فالمقصود المعنوي لموضع اللبنة هنا يحمل معنى رائع في طياته، حيث أن الله أرسل الرسل والأنبياء بكل الأخلاق والقيم الحميدة التي لا يختلف عليها اثنان، وبذلك فقد أكمل وأجمل البناء فأصبح من الحسن والجمال بحيث يتعجب الناس من جماله وإتقانه وإبداعه ، غير أنه مازال هناك ثغرة في البناء ، ألا وهي تحقيق معنى وحدانية الله عز وجل في الوجود كله ، من خلال النبي ﷺ ،

فكون واحد ... له نبي واحد ... يدعو إلى رب واحد وكتاب واحد... ومنهج واحد ..الذي لن يتسنى الوصول إليه إلا من خلال طريق واحد ألا وهو..... طريق الفضيلة.

ولقد جاء كل نبي لقوم بعينهم يعلمهم ويهديهم للخير، بينما النبي ﷺ محمد أرسل للناس كافة. ولقد أدخل على كل كتاب ما أدخل، وحرف منه ما حرف، إلا الكتاب الذي أنزل على النبي ﷺ فقد تعهد الله بحفظه إلى يوم القيامة.

وقال تعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** } {الأنبياء} فجاء ومعه الهدى والحكمة والرحمة لكل البشر، ولكل زمان، ولكل مكان.

جاء الإسلام ليدعو إلى مكارم الأخلاق والتأكيد على مكانة حسن الخلق في الإسلام وإبراز معالم الفضيلة وإحيائها في القلوب ولذا قال النبي ﷺ : « **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ** ». أحمد

هذه المقولة التي جاء بها النبي ﷺ ليحقق خير البشرية كلها، ويبين بها أن غاية الإسلام بعد توحيد الله تعالى هي تحقيق وإتمام مكارم الأخلاق، وهذا ما سنوضحه في هذا الكتاب إن شاء الله...

(ليس للإنسان علم غريزي بالخير ولكن حاملا يكشفه عقله، ويدفعه ضميره إلى محبته... لقد تخلصنا من كل هذه الأداة الفلسفية الهائلة، إننا نستطيع أن نكون بشرا من غير أن نكون علماء لقد أعفينا من هدر أيام حياتنا في درس الأخلاق لأن لنا دليل هادي يهديننا مجانا لكن لا يكفي أن يكون لنا دليلا بل علينا أن نعرفه ونتبعه).

جان جاك روسو

البُشرى ...إننا الأقدر

بالرغم من كل هذا الظلام ، وكل هذا الغمام الذي يغطي سماء أمتنا، ويبعث في النفس الألم والحسرة إلا أنني أقود لكم تلك البُشرى ... وهي أننا مازلنا نحن الأقدر على صنع حضارة ، بل حضارة تفوق كل هذه الحضارات ،ولقد أثبت التاريخ ذلك ، وسيثبت المستقبل ذلك أيضاً عما قريب إن شاء الله ، فإذا كانت الأخلاق وحدها قادرة على صنع حضارة ، فالأخلاق التي يقودها الإيمان قادرة على صنع حضارة تفوق كل الحضارات العظمى ،نحن الأقدر لأننا نمتلك من الرصيد الأخلاقي أضعاف ما يملكونه ، فقط كل ما نحتاجه هو غريزة ذلك الكنز الأخلاقي الرباني وتطبيقه على أرض الواقع وتوثيق عراه بالإيمان ، وسنذهل العالم كله بالنتائج إن شاء الله .

فالدين عندنا لا يعارض الدنيا بل ينظم حركتنا في الحياة، ولا يعارض العلم بل إن العلم في ديننا فريضة بيد أنه يقوم أخلاق العلم والعلماء.

إننا نحتاج فقط لروح الإيمان التي تبعث الحياة إلى النفوس من جديد ، وتحى فينا الأخلاقيات والقيم التي هي جوهر الدين ، نحتاج إلى الإيمان الذي يذل عقبات الطريق ، ويفجر طاقات الإبداع ، ويدفع الهمم إلى العمل.

البشرى أن أخلاقنا هي أخلاق قائمة على الدين، وأخلاق الدين قانون صارم في قلب كل مسلم، ومحاكمات هذا القانون أشد ضراوة من أى محاكمة من الخارج . إن الدين لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا شملها ووضع لها قوانين ومنهج ، فلن تجد ثغرة إلا ويقابلها قانون إيماني يهذبها وينظمها.

وصدق النبي ﷺ الكريم حين قال: « **لقد تركتكم على المحبة البیضاء لیلها کنهارها** ». البخاري وأحمد

إن ما يحدث الآن هو غمامة وستنقضي و ستزول بإذن الله تعالى ، فمازلنا موجودين لم نلفظ أنفاسنا الأخيرة بعد ولن نلفظها أبداً ، فما زالت الروح فينا تقاوم لتحيا من جديد ، ولن نفتأ نبحث عن هويتنا الأصيلة التي نسترد بها كرامتنا وعزتنا ، وسنظهر للعالم كله بوجه جديد ، وبشكلٍ جديد ، وسيعود الإسلام شكلاً ومضموناً بل سيعود إسلاماً ومسلمين ، فهلم أيها المسلمون ، هلم لنري العالم أجمع الأخلاق الحقة ، والإسلام الحق الذي يقود لأعلى مستويات التقدم والرقي ، إن الإسلام سيعود وينتصر ويشع على العالم كله بنوره ، فلنجعل ذلك على أيدينا، ولنثبت أننا نستحق .

فحي على العمل ... وحي على النجاح ... وحي على الفلاح.

فلنبعل الهموم همأً واحدا

لك أن تتخيل غرفة يشترك فيها مجموعة من الأفراد ، لكل منهم سرير ودولاب ، وبالرغم من ذلك فكل منهم يخلع ملابسه ليلقيها في أي مكان في الغرفة ، حتى إذا عمت الفوضى المكان كانت الحجة أنا لست وحدي في الغرفة ...الآخرون هم من يحدثون الفوضى ، هذا هو بالضبط حالنا وهو تجاهل أخطاؤنا والقاؤها على الآخرين.

أما أن الأوان لنا أن ننضج فنتحمل المسؤولية، نحن دائماً ما نتكلم عن الإصلاح ونتجاهل المشكلة الرئيسية ، فكأننا نريد أن نقوم بالبناء ونجمله ونزينه ونتجاهل الشرخ الكبير الذي يكاد أن يهوي بالبناء بأكمله .

نحن نعيش فترة حرجة الآن ، بل من أصعب الفترات التي مرت علينا على الإطلاق فنحن نعيش حالة من التششت والارتباك والتشويش تجعل الهدف المنشود المنال، نال، ونهاية الطريق غير واضحة المعالم.

ولقد كثر الكلام وتعددت الآراء حول كيفية النهوض ببلادنا ولملمة شتاتها، فهناك من ينادي بالنهوض بالتعليم ، وهناك من ينادي بالإصلاح الاقتصادي، وآخرون يتحدثون عن الإصلاح السياسي،و...إلخ.

الأفكار كثيرة وجميلة والتطلعات مشرقة ورائعة، وتنفس الحرية يزيد هذه الرؤى إشراقاً وبريقاً، فنسيم الحرية يوقظ الإبداع ويستنهض الأمل .

إن التعليم ، الصناعة ، التجارة ، الزراعة ، الصحة إلى غير ذلك... كلها مجالات تحتاج للنهوض بها .

نعم....صحيح فنحن أمة مستهلكة بل مدمرة تماماً ، تحتاج لإعادة هيكلة في كل شيء من جديد حتى تنهض ولكن ..

المفاجأة ... إن كل ذلك لن يخلق حضارةً ولا تقدماً.... أتدرون لماذا؟

لأننا نحاول أن ننشئ صرحاً بلا أساسات ، ونبنى بناءً بلا أعمدة ، ولذلك فإن استطعنا أن نقيم البناء بالرغم من كل الظروف ، فإنه مع أول ريحٍ سيتهاوى ، والسبب في ذلك أنه سيكون أمام كل باني مئات يهدمون ، وأمام كل مصلح مئات يدمرون ، وأمام كل صانع مئات يخربون ، وأمام كل مبدع مئات يحبطون ، ومقابل كل طريق وشارع نظيف ستجد مئات يرمون القاذورات في كل مكان ، ستبنى المنشآت والمؤسسات ولن تجد العامل الأمين ، وداخل كل مؤسسة تبني ستجد مئات يرتشون ويفسدون ، وأمام كل قانون يوضع ستجد مئات ممن يتحايلون على القانون ،....وخلاصة الأمر أنك ستفاجأ أنه كلما صنعنا شيئاً جميلاً سيكون هناك دائماً من يشوه صورة هذا الجمال ، وذلك لأننا مازلنا نجهل قيمة الجمال ...وما زلنا نؤمن بأننا لا نستحق هذا الجمال .

نحن نعاني أزمة حقيقة فعلاً إما لأننا غافلون عنها فعلاً وإما لأننا نتغافلها عن عمد ، إن أزمنا الحقيقية هي أزمة انهيار الأساسات، إن أزمنا الحقيقية هي أزمة أخلاق .

لقد قال النبي ﷺ في الحديث الشريف : « **إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** » .متفق عليه

فإن كانت مضغة الجسد هي القلب فإن مضغة المجتمع هي الأخلاق ، فإذا صلحت الأخلاق صلح المجتمع كله ، وإذا فسدت الأخلاق فسد المجتمع كله .

فإن استطعنا أن نحرر أنفسنا من عبودية الحكام والسلطين، فالأولى أن نحرر أنفسنا من قيودها، قيود الغضب والشهوة والحقد والحسد والكراهية والأنانية والأثرة والغش والخيانة، نحتاج أن نحرر أنفسنا من قيود عبودية النفس وعبودية الأشياء وعبودية الأهواء ونخضع لعبودية واحدة فقط وهي عبودية الله الواحد الأحد، وعندما نستشعر حلاوة هذه العبودية، فإننا عندها فقط سنكون وصلنا لقمّة الحرية.

نحن نحتاج الآن أن نجعل الهموم همّاً واحداً ، ونوحد الدروب في درباً واحداً، ونركز الشتات على أمراً واحداً ألا وهو» صناعة الإنسان «ونجعل شعارنا في هذه المرحلة الخطيرة « هيا بنني أنفسنا أولاً »، ثم بعد ذلك ننطلق في كل الدروب ، ونوزع أنفسنا على كل الطرق دون خوف أو ريبية ومن ثم ننطلق لبنني ونعمر ونصنع ونزرع ونتقدم وننافس ونعقد العزم على أننا سنصل لقمّة الهرم الحضاري في بناء الإنسان وبناء البنيان ونحن واثقي الخطى ومطمئنين.

إن النبي ﷺ بعد أن أقام أصحابه على كلمة التوحيد كان همه الأكبر بعد ذلك هو صياغة الإنسان ، وتأصيل القيم والفضائل بداخله وقد ظل النبي ﷺ يغرس هذه الفضائل ويتعهد بها ويربطها برباط الإيمان ويشد عليها .

لقد كان هدف النبي ﷺ وهو بصدد إقامة دولة الإسلام هو ترسيخ جذور القيم والأخلاق وإعلاء القيم الروحية والإيمانية والخلقية في النفوس ، حتى نجح في صناعة قمم أخلاقية عظيمة كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعمر بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهم من الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - وقد كانت هذه المثل الحية بمثابة الأساسات القوية والمتينة لبناء دولة الإسلام بعد ذلك.

لقد كان تركيز النبي ﷺ في البداية أن يربي مجتمع القيم والأخلاق أولاً ، ويبني مجتمعاً وحدوياً متماسكاً ونقياً .
ولذلك فقد كان أول عمل قام به النبي ﷺ عندما قدم إلى المدينة التي كانت أول محضن للإسلام هو أن آخى بين المهاجرين والأنصار ، وكانت فترة حياته ودعوته بعد ذلك متركزة حول الشحن الروحي والإيماني والقيم الذي من خلاله انطلقت الفتوحات والانتصارات الإسلامية بعد ذلك التي رجت أرجاء الكون، ومن ثم بعدها انطلقت النهضة الإسلامية الشاملة من خلال هذه الكوادر الأخلاقية الأولى والتي استطاعت أن تنقل هذه الأخلاق العالية للمجتمع الإسلامي كله ، بل إنها تعدت المجتمع الإسلامي وأثرت بقيمها على مجتمعات أخرى كانت سبباً في تقدمها أيضاً كالمجتمع الأوروبي وشرق آسيا.

ازرع قيمة

إن هذا بالضبط ما أرمي إليه وهو خلق مجتمع قيمى أولاً ثم الاتجاه نحو العمارة والبناء بعد ذلك أي بناء الإنسان الذي سيبنى أولاً ، وذلك إنما سيتأتى من خلال مجهود جماعى ومجتمعى شامل .

إن ما أطرحه هو مشروع نهضة ، أو هو الأساس الذي سيقوم عليه مشروع النهضة ، هذا المشروع هو أن نتفق على هدف قومى يشارك فيه المجتمع كله أفراداً ومؤسسات، هذا الهدف هو نشر الفضيلة والقيم والأخلاق، والارتقاء بأخلاقيات المجتمع وتنقية المجتمع نفسه بنفسه .

وسيكون شعار هذا المشروع (إزرع قيمة) .

أما ملامحه فستكون بطرح أفكار إبداعية لكيفية نشر الأخلاق الفاضلة في مجتمعاتنا وذلك من خلال تسخير كل أجهزة الدولة ومؤسساتها بجانب عملها لزرع القيم المجتمعية ونشر الفضيلة في المجتمع كله ، وأيضاً بمشاركة المجهودات الفردية .

وما سأطرحه هو مجرد أمثلة ، بينما هذا المشروع يحتاج لأفكار إبداعية ، وتخيلات ابتكارية كثيرة لينمو وينجح ويتحقق على يديه الخير لبلادنا إن شاء الله .

الدعاة :

ومن البديهي أن نبدأ بالدعاة والشيوخ وعلماء الدين ، حيث أنهم رموز الفضيلة في المجتمع ويتحملون العبء الأكبر في ذلك لما حباهم الله من علمٍ وفقه ، فيفترض أن يكون جل تركيزهم في هذه الفترة الحرجة على الجانب الأخلاقي ، وتوعية الناس بأهمية ومكانة مكارم الأخلاق التي دعا إليها الدين وأنها جزء لا يتجزأ منه لا يستقيم بدونه ، وأن الله لا يتقبل عبادة بدون أخلاق ، ولتنطلق الدعوة من خلال المساجد وخطب الجمعة ، و من خلال الإذاعة والتلفزيون والصحف ومواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت و غيرها.

المدارس :

وهي أحوج المؤسسات لتفعيل منهج الأخلاق والتركيز عليه ، وهي أكثر المؤسسات تهيئةً للإبداع في هذا المجال ، حيث البدء بتقويم أخلاقيات المعلم وتعليمه كيف يكون القدوة الحسنة ، فالمعلم له نصيب كبير في تشكيل شخصية النشء والتأثير عليه ، ومن الأفكار التي يمكن أن نزرع بها القيم في المدارس أن يجعل معلم الفصل شعار لكل أسبوع بطرح قيمة ما من خلال حكمة أو حديث أو مقولة مثل (الصدق منجاة) ، أو (الوقت من ذهب) أو (الحلم سيد الأخلاق) ثم يتعهد هذه القيمة طيلة الأسبوع بذكرها في بداية كل حصة ، وسؤال التلاميذ عن قصص واقعية أو خيالية تتضمن هذه القيمة ، ومن يأتي بأحسن قصة أو أحسن بحث عنها فإنه يكافأ مكافأة أو تضاف له درجات على ذلك ، ويتعهد مع التلاميذ التزام هذه القيمة طيلة الأسبوع ، وأيضاً يمكن خلق المنافسة بين الأطفال لتقديم أحسن ما عندهم من أخلاق فيمكن أن يطلب المدرس أن

يقدم كل تلميذ في فصله في نهاية كل أسبوع عمل خلقي قام به ، على أن يكافئ أفضل واحد أو أفضل اثنان قاما بذلك ، وبذلك يخلق بينهم المنافسة وحب القيم والأخلاق في آنٍ واحد ، وفي نفس الوقت نوصل الأخلاق في أذهانهم وقلوبهم بالتطبيق العملي وتعليمهم أنه منهج حياة..

ويجب أن يحتوي جدول الحصص على حصص أخلاقية يعلم فيها الأطفال المبادئ والقيم والتدريب عليها ، وجعلهم جزء من منظومة زرع هذه الأخلاق بحثهم على ابتكار أفكار لزرع هذه القيم والمشاركة في نشرها إما بقصة ، وإما بشعار ، وإما بفكرة ، أو لوحة أو بحث وأيضاً يمكن أن تقام مسابقة بين المدارس حول أفضل سلوكيات وأخلاقيات أفرادها سواء من التلاميذ أو المدرسين أو الإداريين ، فقيمة مثل قيمة النظافة والنظام وأيضاً التواضع استطاعت اليابان زرعها في أطفالهم عن طريق حثهم على تنظيف فصولهم كل يوم بأنفسهم قبل بدء كل يوم دراسي.

وفي دولة الإمارات حيث وضعت التربية الأخلاقية كمنهج يدرس في مناهج التعليم ليتعلم أبناؤهم التسامح ولغة الحوار وقبول الآخر وغيرها من القيم السامية.

إن الاهتمام بالتربية الأخلاقية وزرعها في النشء الصغير منذ نعومة أظفارهم يجعلهم قادرين على مواجهة أي محاولات للزيغ بهم نحو الانحراف في ظل الانفتاح الشديد ، وموجات الأفكار الشرسة التي تأتيهم عبر وسائل الاتصالات الحديثة وتحمل بين طياتها كافة أنواع الرسائل ، والتي من العيث بل من درب المستحيل محاولة

منعها ، فبين أفكار التشدد والغلو والإرهاب ، وبين السلبية واللامبالاة والتهيه في متاهات الانترنت سواء بالاستغراق في التفاهات أو الانجراف نحو المواقع الإباحية السافرة ، أو التعرض لأفكار غريبة وخطيرة تتقاذفهم هنا وهناك.

وليس الحل في ذلك الانغلاق والتضييق وتقييد الحريات ، ولكن على العكس الانفتاح على كل الثقافات مع بناء أرضية أخلاقية صلبة في نفوس النشأ والشباب من البداية تجعلهم يصدون أي محاولة للاعوجاج بهم عن الطريق المستقيم ، وهدم بناء الأمة عن طريقهم.

وقد كانت المقولة الحكيمة للمهاتما غاندي ذات مغزى بليغ حين قال : (يجب أن أفتح نوافذ بيتي لكي تهب عليه رياح كل الثقافات بشرط ألا تقتليني من جذوري).

الإعلام :

وهو أقوى المؤسسات التي تساعد على نشر الفضيلة أو الرذيلة ، وهو أهم وأخطر الوسائل في تحقيق هدفنا المنشود فلما لا نسخر هذه الوسيلة لنشر القيم والأخلاقيات التي نفتقدها ، والتي نريدها في مجتمعنا ، و نجعل من ذلك منافسة وتحدي .

إن الناس ينصرفون لقنوات وبرامج معينة إما لما تحويه من عنصر التشويق والإثارة ، وإما لعدم وجود بديل جيد ، ولذلك نستطيع أن نحقق الهدف وهو نشر الفضيلة باستخدام هذان العنصران أيضاً .

فلنطرح العرض أولاً ، وغد أيدينا لكل من يريد أن يشارك في هذا المشروع أو هذه الحملة « حملة القيم » سواءً كانت كيانات كقناة فضائية أو صحيفة أو مؤسسة إعلانات ، أو كانوا أفراداً ككتاب أو ممثلين أو صحفيين أو مخرجين أو غير ذلك .

نستطيع أن ننتج أفلاماً ومسلسلات تحمل قيماً وأخلاقيات لمن يشاهدها ، نستطيع أن نستخدم كل إعلان عن منتج ما يحمل بين طياته قيمة أو خلق يريد أن يوصله مع المنتج ، أو تخصيص إعلانات لزراع القيم في المجتمع ، ولقد كان الإعلام أحياناً يسخر لنشر أهداف معينة في السابق عن طريق حملات توعية وكانت تؤتي ثمارها كحملة تنظيم النسل أو مكافحة التدخين أو المخدرات ، فلماذا لا نستخدم حملات التوعية هذه في ترسيخ القيم في المجتمع .

وأيضاً ليس لأننا نريد أن ننشر فضيلة نقدمها في قالب جامد أو من خلال صور رتيبة ، ولكن من خلال أسلوب التشويق والجذب وابتكار الأفكار الإبداعية ، فالأولى أن نستخدم الإبداع في تقديم الفضيلة بدلاً من استخدامه في نشر الأشياء المبتذلة.

فيمكن أن نقدم فيلم إبداعي يقدم قيماً وسلوكيات جميلة دون التلويح بإثارة الغرائز، وينجح هذا الفيلم ويحقق أرباحاً عندما يستخدم الإبداع في خدمة الخير.

ويمكن أن ينجح برنامج تلفزيوني نجاحاً كبيراً من خلال تقديم نماذج أخلاقية ناجحة ، أو قائم على مواقف لأناس فضلوا مبادئهم عن أي مكاسب أخرى .

تستطيع برامج التوك شو مثلاً أن تحقق أكبر نسب للمشاهدة من دون أن تقوم على أنقاض علاقات متهدمة ، أو التفنن في خلق الفتن والتكيز على الشائعات أو السلبيات ، وذلك بعرض كل ما يُقوم المجتمع ويساعد على بنائه وعرض النماذج المشرقة والمشرقة الناجحة في الداخل والخارج .

وقد استطاع برنامج تلفزيوني مثل برنامج «خواطر» الذي يقدمه أحمد الشقيري أن ينجح ويحقق شهرة كبيرة على مر سنوات من خلال عرضه لأفكار مبتكرة كل عام كعرضه لقيم شعوب متقدمة ، ومقارنة سلبياتنا بإيجابياتهم ، فبرنامج كهذا مثلاً يجعل الماء الراكد يجري من جديد ، بل يجعل دماءً جديدة تجري في العروق.

واستطاعت جمعية خيرية كجمعية غراس أن تقوم بحملة إعلامية لنشر قيم الدين عن طريق كليات إعلانية صغيرة لإيصال قيمة معينة كمساعدة الفقراء أو التعاون أو نبذ الإرهاب ، ثم بغد ذلك يأتي دور

مؤسسة القانون :

المتمثل في سن تشريعات وقواعد وقوانين صارمة تشمل جميع المخالفات الأخلاقية ، فالنفس بطبيعتها تميل للتفلت من القيود ، فإن لم يكن هناك ضوابط وقوانين تسن فسرعان ما تميل النفوس للمخالفة والتحرر من أي قيود ، فإن لم يكن الوازع الديني هو الرادع فها هنا يأتي دور مؤسسة القانون ، وذلك مع التنبيه الشديد على أن هذه

القوانين ستطبق على كل فرد في المجتمع دون محاباة أو محسوبية من أول رئيس الجمهورية حتى أقل فرد في المجتمع ، وما تقدمت الدول الغربية إلا عندما طبقت مبدأ سيادة القانون، ونحتاج أيضاً قوانين شاملة لا تستثني شيئاً، فمثلاً لا يوجد عندنا قانون يجرم إلقاء المخلفات في الطريق ، أو قانون يدين الكذب، أو قوانين تفرض على إهدار الوقت أو عدم الإتقان في العمل ، ولتفرض غرامات على كل من يخالف أو عقوبات مناسبة لكل مخالفة .

أما الشرطة :

فهي واجهة حضارية لأي مجتمع ، وأداة لتطبيق العدل واليدين الصارمة لتطبيق وتنفيذ القانون ، فكيان جهاز الشرطة قائم على هدفين لا خلاف عليهما هما مساعدة الناس وخدمتهم ، وتطبيق القانون على المخالفين ، ولكن الجدل حول كيفية تطبيقهما ، ولذا فهي تحتاج أن تضرب مثلاً أعلى لحسن الخلق من خلال تطبيق منهج تعاملات جهاز الشرطة مع الناس ، فبدايةً يجب على الضباط والشرطيين إتقان ضبط النفس ، واستخدام الأسلوب المهذب والحازم في نفس الوقت حتى مع المخالفين للقانون، وليوضع في الاعتبار دائماً احترام آدمية الإنسان ، وفي نفس الوقت الحزم في تطبيق القانون دون محاباة والترفع عن أي رشاي أو إغراءات ، والتواجد الدائم والسريع لملاحقة أي مخالفة .

ولقد لاحظت عندما ذهبت للمملكة العربية السعودية انتظام حركة المرور بالرغم من الزحام الشديد في الحج والعمرة ، والتزام الجميع بالقواعد المرورية ، ثم علمت أن سبب ذلك هو

التواجد السريع عند أي مخالفة مرورية كزيادة السرعة أو مخالفة الطريق أو الإشارات.

ففي ذات مرة استقلت أنا وزوجي الحافلة التي كانت تقطع الطريق من مكة إلى المدينة ، وكان السائق يسير على سرعة ٦٠ بالرغم من عدم وجود سيارات أمامه ، فاستغرب زوجي ذلك البطء فقال له: لماذا لا تسرع قليلاً والطريق خال .

فقال له : لا أستطيع ، فقد فعلتها مرة قبل ذلك ، وفي لمح البصر ظهرت سيارة شرطة لا أعلم من أين واستوقفتني وأخذت مني الرخصة وغرامة كبيرة ، فلا أستطيع أن أغامر بهذا مرة أخرى .ورقي جهاز الشرطة هو أول ما تستطيع أن تلمسه في أي دولة متحضرة . كذلك نستطيع بث الأخلاق التي نريدها من خلال باقي مؤسسات الدولة كالمستشفيات و المصالح الحكومية والبنوك وغيرها ، فيجب أن تضع كل مؤسسة أو شركة أو مصلحة حكومية وثيقة أخلاقيات عمل تكون بمثابة قواعد ومبادئ يحاسب عليها ، توضع في يد كل فرد في المؤسسة أو كل موظف وتفعّل تفعيلاً كاملاً ، وأقل ما يمكن عمله نشر الافتات التي تحث على القيم والأخلاق في كل مكان، وإقامة الندوات والمحاضرات بل والدورات التي تحث على أهميتها وضرورة التمسك بها .

وإن كان دور الحكومات والمؤسسات في هذا المضمار سيأخذ وقتاً لتفعيل هذه المنظومة الأخلاقية ، فهنا يأتي دورنا نحن الأفراد ، وهذه ستكون العجلة التي تحرك المجتمع كله ، أو الرياح التي ستحرك الماء الراكد ، فلنطرح العرض إذاً ومن ثم نبحث عمن يتبنى الفكرة . وبداية الفكرة ستكون قائمة على النشر وليس الحظر ، أي العمل على

نشر القيم والأخلاقيات الغائبة عن المجتمع بحامل، تخدام كل وسيلة ممكنة، وليس الهدف فرض الحظر على أخلاقاً معينة، أو قنوات معينة تقدم الفساد، أو المحاسبة من أي نوع، فنشر الدعايات للقيم والمبادئ والتركيز عليها، ستخلق تدريجياً بيئة جديدة ترفض كل ما هو مشين، فالتكرار والترديد للمثل والتذكير الدائم بها يرسخها في الأذهان حتى تصبح هي الأصل، ومن قبيل التركيز على شيء يجذب إليه الأشياء من نفس النوع فتتسع دائرة الخير شيئاً فشيئاً، وتنزوي دائرة الشر والفساد حتى تصبح غريبة في المجتمع.

فمثلاً عندما يلقن طفل في البيت سلوكيات وأخلاقيات معينة، ثم يذهب إلى المدرسة فيدرس له نفس هذه السلوكيات، ثم يسير في الشارع فيرى الافتات التي تحث عليها في كل مكان بالشارع، وعندما يشاهد التلفاز يتعايش معها من خلال قصة فيلم أو مسلسل أو حتى من خلال الإعلانات، فكيف بعد كل ذلك ولا تتسخ لديه القنوات باتباع هذه الأخلاقيات والسلوكيات وتصبح عقيدة بداخله ترفض أي كلمة أو سلوك غير ذلك، كذلك ما سيكون عليه المجتمع كله.

فليطرح كل واحد ما عنده من أفكار، وليتبني كل واحد ما يستطيع من مشروعات للتنفيذ، فهذه قيم أمة نبينها من جديد ولذا فهي تحتاج لكل عقل ولكل يد، ستحتاج لكل فرد في المجتمع صغيراً كان أو كبيراً، غنياً أكان أو فقيراً، ستحتاج لكل من يحب بلده، ولكل من يحب أمته، ولكل من يحب دينه، ستحتاج لكل دون شروط إلا من شرط واحد فقط ألا وهو الإخلاص.

إن التحدي الأكبر الذي أمامنا الآن هو كيف نقنع كل فرد في المجتمع أن يرفع معنا تلكم الرؤية، ويحمل معنا ذلك الحمل ، بل كيف نشعره بأن كل فرد عليه جزء من المسؤولية يجب أن يتحمله .

إن ما جعل الله: تشر هو أن وجد رؤية له ترفع فالتف حولها الكثيرون، وصوتاً له يسمع فجذب إليه التائهين والشاردين، وفي المقابل أن تراخت دعاوى الخير ، وخفت صوتهما فكان المآل إلى ذاك المصير الأليم اليوم، ولذلك فإن ما نحتاج إليه الآن هو رؤية للخير ترفع ، وتوكل حقيقي على الله ثم يأتي بعد ذلك نصر الله تعالى و تثبيته .

وقد قال تعالى : { **إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** } .
محمد

نحتاج فقط لمن يخطو الخطوة الأولى وستتالخطوات، الخطوات ، ومن يرفع الرؤية التي ستستنهض الهمم .

ولأننا جالنبى ﷺ: مركب واحوبلادنا، جميعنا أن تصل هذه المركب لبر الأمان، ونرمي جميعنا إلى نفس المرمى وهو أن نعلو ونرتقي بأمتنا وبلادنا ، ولذلك سيتلاقى المخلصون على هذا الهدف وسيقدمون كل وسيلة لتحقيقه عند وعيهم بالطريق الموصل لذلك الهدف.

وستزيد الحماسة وتشعل الإرادة عندما تكون نية الإصلاح لله تعالى ، وانتظار المكافأة والثواب فقط منه ، فكل من سيشارك في هذه الحملة بنية خالصة لله تعالى فهو بذلك يبني جبلاً من الحسنات

دون أن يدري بكل من تبعه وسار على دربه وكانت مساهمته سبباً في هدايته إلى يوم الدين .

فقد قال النبي ﷺ : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيء» ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». حلمٌ سيتحقق

حلمٌ سيتحقق - إن شاء الله -

أتخيل بلادي التي أحب جميلة نظيفة، لا مكان فيها للعشوائيات أو المناطق المهملة، أَدناها مثل أقصاها في النظام والنظافة، إذا تجولت في مدنها وضواحيها بهرتك أبراجها الشامخة ومبانيها الرائعة المعمار ولتعجب من ملامح التقدم والتكنولوجيا التي تحيط بك في كل مكان.

التعليم في بلادي على أعلى مستوى من التقنية وبأحدث الوسائل والأساليب التربوية، لا يوجد مدارس حكومية ومدارس خاصة ، بل كل المدارس في بلادي على نفس الدرجة من الرقي والنظافة واتباع أحدث الأساليب ، أستطيع أن أرى المبدعين من أبنائها يتخرجون من مدارسها وجامعاتها أفواجاً ليبهروا العالم باختراعاتهم وإنجازاتهم .

أرى في بلادي قيمة الإنسان عالية ، وكرامته غالية ، فهو يعالج في أحسن المستشفيات ، ولما لا؟ فكل المشافي في بلادي على أعلى مستوى من التكنولوجيا والخبرة والرعاية الطبية، وله الحق في أن يتعلم في أحسن المدارس ولما لا؟ فكل المدارس في بلادي راقية ، وكل فرد له الحق في أن تقضى مصالحه بيسر وسهولة واحترام .

أرى المرور في بلادي يسير في نظام وانضباط ، دون زحام أو ضوضاء ، ولما لا؟ فشرطي المرور يقوم بواجبه ، والناس في الشارع يلتزمون بقواعد المرور .

أرى الصناعة في بلادي في تقدم مستمر فقد أصبحنا نخترع ومنتج ونصدر ، بل ان منتجاتنا تحتل الصدارة في السوق العالمي ، فلا يستطيع منتج أجنبي أن ينافسها في الجودة ولذا يتهافت عليها الناس في كل مكان بالعالم.

أرى الزراعة في بلادي تزيد وتزدهر، ومساحات الأراضي الزراعية لدينا تعظم وتتسع ، نزرع فيها جميع أنواع الخضراوات والفاكهة والحبوب فنحن الآن نأكل من زرعنا ونلبس من صنع أيدينا .

أرى صحراء بلادي وقد تحولت إلى جنان وزروع وأشجار وعمران .

لا أرى شخص في بلادي بلا عمل بل كل فرد في بلادي يعمل بجد وبإخلاص وإتقان ويتمنى أن يكون يوم إجازته أيضاً عمل ، ولم لا؟ فكل شخص يعمل في المجال الذي يحبه ويهواه ، وأصبح العمل بالنسبة له هو لحظات المتعة والمنافسة والإبداع .

أرى بلادي العربية والإسلامية وقد صارت وحدة واحدة ووطن واحد وعلى قلب واحد ليس بين بلدانها تأشيرات أو حواجز، لها سوقٌ مشتركة، وعملة واحدة ، وقطارات تربط بين أرجائها ،

وأصبحت الدول الإسلامية وكأنها بلدان صغيرة في دولة كبيرة.

وتخيل أن هذا الجمال المادي لن يتأق إلا بعد تحقيق الجمال الأروعي ألا وهو الجمال المعنوي والمتمثل في جمال الأخلاق، فجمال الأماكن ما هو إلا مجرد انعكاس لجمال النفوس، وصفاء القلوب .

فهذا الجمال وهذا التقدم وهذه الأحلام الجميلة لن تتحقق إلا إذا برزت القيم على السطح أولاً، فالالتزام و الأمانة والصدق في التعاملات بين الناس، وتقدير قيمة الوقت واحترام العمل، واحترام الآخر أساساً للبناء،

و الحب والود والرحمة والعفو والتسامح والتواضع هو روح وقلب هذا البناء، أما التعاون والتآخي وروح الفريق فهي اليد القوية للبناء.



الباب الثاني

• الفصل الأول

<< تعريف الخلق

<< تعريف حسن الخلق

<< فضل ومكانة حسن الأخلاق في القرآن
والسنة

• الفصل الثاني

<< ماهية الأخلاق

<< هل الأخلاق غاية .. أم وسيلة ؟

أم الاثنين معاً؟

<< متى تكون الأخلاق فضيلة؟!

ما هو الخلق..؟

الخلق هو السجية البخل وهو قي نشأ عليها الإنسان أو اكتسبها من تربيته وبيئته ونشأته ، والخلق إما يوصف بالحسن أو السوء من خلال التعاملات والمواقف والظروف .
ولقد ذكرت تعاريف كثيرة للخلق ولعل من أفضلها :

تعريف الجرجاني :

الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة ، سميت الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة ، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً . وإنما قلنا : إنه هيئة راسخة ، لأن من يصدر منه بذل المال على الدور بحالة عارضة ، لا يقال : خلقه السخاء ، مالم يثبت ذلك في نفسه ، وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال خلقه الحلم .

وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد مال، أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء.

لقد علق الجرجاني تعريفه للخلق على النية والصفات المستقرة والمغروسة في نفس الإنسان.

تعريف مصطفى لطفي المنفلوطي :

الخلق هو شعور المرء بأنه مسئول أمام ضميره عما يجب أن يفعل ، لذلك لا أسمى الكريم كريماً حتى تستوي عنده صدقة السر وصدقة العلانية ، ولا الرحيم رحيماً حتى يبكي قلبه قبل أن تبكي عيناه ، ولا العادل عادلاً حتى يقضي على نفسه قضاؤه على غيره ، ولا الصادق صادقاً حتى يصدق في أفعاله صدقه في أقواله .

لا ينفع المرء أن يكون زاجره عن الشر خوفه من عذاب النار ، أو خوفه من القانون ، وإنما ينفعه أن يكون ضميره قائده الذي يهتدي به ، ومناره الذي يستنير بنوره في طريق حياته .

الخلق هو الدمعة التي تترقرق في عيون الرحيم كلما وقعت عينه على منظر من مناظر البؤس.

الخلق .. هو الصرخة التي يصرخها الشجاع في وجه من يجترئ على إهانة وطنه ، أو العبث بكرامة قومه . وجملة القول : الخلق هو أداء الواجب لذاته ، بقطع النظر عما يترتب عليه من النتائج ، فمن أراد أن يعلم الناس مكارم الأخلاق فليحيي ضمائرهم ، وليثبت في نفوسهم الشعور بالرغبة في الفضيلة والنفور من الرذيلة.

ولعل المنفلوطي اعتمد في تعريفه هذا على نقاء الفطرة ، وصفاء السريرة .

وكلا التعريفين في نظري يكملان بعضهما البعض حيث الخلق الحسن هو الضمير الحي يصاحبه النية الطيبة والفطرة السليمة التي تجعله جزء لا يتجزأ من الإنسان ، وعلى العكس من ذلك يكون الخلق السيئ.

ما هو حسن الخلق؟

إن حسن الخلق هو الجميل من الأقوال والأفعال ، ومعاملة الناس بما تحب أن يعاملوك به ، وهو أيضاً مبادئ ثابتة لا يميل بها هوى ، أو تجنح بها مصلحة ، وحسن الخلق عادةً ما ينطلي على صفاء ونقاء في القلب ينبع منه سلوكيات وطبائع رقيقة مع الناس ومراعاة لمشاعرهم ، وتطييباً لنفوسهم .

سأل رجل النبي ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى: {خذ العفو، وأمر بالعرفه، وأعرض عن الجاهلين}. الأعراف ثم قال : « هو أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » . ابن مردويه عن أنس وجابر وقال تعالى: {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً}. الفرقان قال النبي ﷺ : « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتصفع عمن شتمك » . أحمد

وعن النواس ابن سمعان قال : « سألت النبي ﷺ عن البر والإثم؟ فقال : « البر حسن الخلق . والإثم ما حاك في صدرك ، وكهرهت أن يطلع عليه الناس » مسلم.

في هذا الحديث يتضح أن حسن الخلق هو الدين كله وحقائق الإيمان كلها، ولذلك فقد قابله بالإثم وفي حديث آخر : « البر : ما اطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في الصدر » وقد فسر النبي ﷺ حسن الخلق بأنه البر ، فدل ذلك

على أن حسن الخلق هو طمأنينة النفس .
والأخلاق إما طريق إلى الجنة أو طريق إل النار

فقد روى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: (حسن الخلق زماماً من رحمة الله في أنفه صاحبه ، والزمام بيد الملك يجره إلى الخير ، والخير يجره إلى الجنة، وسوء الخلق زمام من عذابه في أنفه صاحبه والزمام بيد الشيطان ، والشيطان يجره إلى النار) . البيهقي

أقوال في حسن الخلق :

- عن ابن المبارك قال: هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.
- وقال الإمام احمد: حسن الخلق أن لا تغضب، ولا تحقد، وقال أيضاً حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس.
- وقال بعض أهل علم الكتاب والسنة كظم الغيظ لله وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر ، والعفو عن الذالين إلا تأديباً، وإقامة الحد ،وكف الأذى عن كل مسلم ومعاهد إلا تغيير منكر وأخذاً بمظلمة لمظلوم من غير تعدٍ.
- وقيل : ورد على أنو شروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي : تكلم ، فقال : خير الناس من ألقى سخياً ، وعند الغضب وقوراً ، وفي القول متأنياً ، وفي الرفعة متواضعاً ، وعلى كل ذي رحم مشفقاً .

مكانة حسن الخلق في الكتاب والسنة :

لو أننا تأملنا الكتاب والسنة، لوجدنا زخماً هائلاً من الإشارات التي تحض على أهمية وضرورة التحلي بالفضائل والأخلاق الحميدة، والمكانة الكبيرة لحسن الأخلاق في الإسلام.

• فحسن الخلق أمر رباني ، وقد عدَّ الله مخالقة الناس بخلق حسن من خصال التقوى ، ودليل على اكتمال الإيمان في قوله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}. آل عمران

وعن أبي ذر جندب بن جنادة وأبي عبد الرحمن معاذ ابن جبل عن النبي ﷺ قال: « اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ». صحيح الترمذي
وعندما سئل النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم: أي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: « أحسنهم خلقاً ». الطبراني

• ومن أراد أن يحظى بحب الله تعالى وصحبة النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم والقرب منه في الجنة فعليه بحسن الخلق
فعن أسامة بن شريك قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ كأنها على رؤوسنا الطير ، ما يتكلم منا متكلم ، إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: « أحسنهم خلقاً ». الطبراني
وقال ﷺ: « إن أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً. وإن من أبغضكم إلي ، وأبعدكم مني يوم

القيامة : الثرثارون و المتشددون المتفیهقون . قالوا: يا رسول الله ﷺ. قد علمنا الثرثارون والمتشددون . فما المتفیهقون ؟ قال: **« المتكبرون »**. صحيح رواه الترمذي

والثرثار: هو كثير الكلام بلا فائدة، والمتشدد: المتكلم بملاء فيه تفاصيلاً وتعاضماً وتطاولاً، وإظهاراً لفضله على غيره.

• ومن ابتغي الجنة والمنازل العليا وأعلى الدرجات في الجنة وإن قل عمله فليلتزم حسن الخلق

فعن أبي هريرة : « أن النبي ﷺ سئل عن أكثر ما سيدخل الناس الجنة ؟ فقال : **تقوى الله وحسن الخلق**، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ؟ فقال ﷺ: **الغم والفرج** » . الترمذي
و قال : **« أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق »**. أبو داود و الترمذي

وعن أنس قال ﷺ : **« إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة، وأشرف المنازل ، وإنه لضعيف العباداة . وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم »**. الطبراني

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: **« إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »**. أبو داود
وفي رواية: **« إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم النهار »**. أبو داود

وعن ابن عمر، سمعت النبي ﷺ يقول: **« إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله ، بحسن خلقه، وكرم طبيعته »**. أحمد

وقال النبي ﷺ : « أنا زعيمُ بيتٍ في رِض الجنة لمن ترك المرء وإن كان محقاً ، وبيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وبيتٍ في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » . الترمذي

فقد أخبر النبي ﷺ الكريم أن أعلى منازل الجنة تكون لذا الخلق الحسن ، على أننا عندما نتأمل الحديث الشريف نجد أن ترك المرء هو من حسن الخلق ، وترك الكذب هو من حسن الخلق أيضاً ، فالنبي ﷺ خصص ثم عمم ، أي أن من استطاع أن يرتقي بأخلاقه لأعلى الدرجات ، فقد استحق أن يرتقي في الجنة لأعلى المنازل أيضاً.

ومن أراد فن التعامل مع الناس وكسب ثقتهم وودهم والنجاح وسعة الرزق فعليه بحسن الخلق، فحسن او نضع، جب التحابب والتآلف بين الناس ويخلق مجتمعاً مترابطاً قوياً ، وسوء الخلق يورث التباعد والتباغض والتحاسد الذي يزعزع المجتمع ويعرضه للانحيار.

فقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق ».

أخرجه أبي يعلى وصححه الحاكم

وعن عائشة قالت: إن حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم يعمرن الديار، ويزدن في الأعمار، وإن كان القوم فجارا.

وقال بعض الحكماء: من ساء خلقه ضاق رزقه

الفصل الثاني

ماهية الأخلاق

لقد خلقنا الله في هذا الكون لنعبده ونعمر أرضه،
وعمارة الأرض معناها أن نعمل وننتج ونزرع ونصنع ، ونبدع ونقدم
الاختراعات ، ونقيم الحضارات ... إلى غير ذلك.
{وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال إني أعلم ما لا تعلمون}.البقرة ٣٠

وإن كانت عمارة الأرض هي غاية لخلق الإنسان، فإنه لتحقيق
أي غاية أو هدف لابد له من أسس وإطارات ومبادئ يقوم عليها ولا
يقوم إلا بها، ولذا فإن الأخلاق هي المبادئ والأسس التي وضعها الله
تعالى لعباده لتحقيق هذا الهدف المنشود.
تماماً كرجل أسس شركة ووضع لها الأهداف ، ثم لم يضع الأطر
والقوانين التي يسير عليها الموظفون في هذه الشركة ، فأنى يتحقق
الهدف الذي أنشئت من أجله هذه الشركة ؟.

ولذلك فإن إرساء مجتمعاً أخلاقياً إنما يهيئ المجال للعلم والتعلم،
والعمل والإنتاج ، والخلق والإبداع.
فالله يريد للإنسان الخير والسعادة والرخاء، ويريد أن يُقرَّ به أيضاً
الخير والسعادة والرخاء في الكون كله.

هل الأخلاق غاية ... أم وسيلة ... أم الاثنين معاً؟

كيف تكون الأخلاق غاية؟

عندما ألقى جعفر بن أبي طالب خطبته على النجاشي قال فيها :
أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهليته نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي
الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف،
فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه
وأمانته ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن
وأبائنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء
الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء،
ونہانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات،
وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيءًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة
والصيام- فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على
ما جاء به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيءًا،
وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا.

إن اكتساب الأخلاق أمر بالغ الأهمية ويحتاج من الدعم والتركيز
والاهتمام أكثر بكثير مما نوليّه إياه الآن، بدايةً بالدور الكبير للأسرة
حيث تتشكل ٩٠ ٪ من قيم الطفل في فترة السبع سنوات الأولى من
عمره، ثم مروراً بدور لا يقل أهمية عن دور الأسرة وهو المدرسة
حيث يصبح المعلم المثل الأعلى للتلميذ، ومن ثم تتداخل أدوار أخرى
في التأثير على قيم الطفل بعد ذلك من أصدقاء وزملاء وإعلام ثم

تختلف المسؤوليات وتتبدل الأدوار ليصبح هذا الطفل بعد ذلك زوج وأب وصاحب مهنة وكل هذه عوامل تغير من مفاهيمه وسلوكياته ، فالإنسان بذلك في تشكيل مستمر طيلة حياته لقيمه ومعتقداته ، وهو كذلك يتأثر ويؤثر بصورة دائمة على مجتمعه وبيئته .

ومن هنا يحدث التخبط والارتباك في المجتمع الذي يعاني من اختلاف القيم والمبادئ تبعاً لنشأة كل فرد وتربيته التي تكون في الغالب بلا أساس، ومفاهيم الفضيلة فيه تختلف من شخص إلى آخر، ومبادئ مثل الصدق والأمانة و الحياء واحترام الآخر... إلخ لها معايير تختلف من شخص لآخر حسب تأثير البيئة فيه ، ومن هنا كانت أهمية الاتفاق على مبادئ وقيم وأخلاقيات واحدة يسير عليها أفراد المجتمع كله ، يترى النشأ عليها ، ويعاقب من يخالفها .

ومن هنا كانت تعاليم الإسلام وتربيته للأخلاق في النفوس غاية ، واهتمامه بكل تفصيله من تفاصيل الحياة حيث لكل ظرف أدب وخلق واجب لابد أن يتبع ، ولذلك وضع الأخلاق والقيم محوراَ يدور حوله الدين ، ومنهجاً يسير عليه المسلمين، ولا يختلف عليه ذوو العقول السليمة ، هذا المنهج الواحد والقيم والمبادئ الواحدة التي إذا تمسك بها المجتمع كله أصبح مجتمعاً متماسكاً مترابطاً قوياً مندفعاَ بقوة نحو التقدم والارتقاء .

ولذلك شرع الله تعالى العبادات الشعائرية التي تحمل في طياتها تدريباً منظماً على الأخلاق ، بل والأكثر من ذلك أنه ربط مبدأ قبول هذه العبادات أو إحباطها بمدى الالتزام بهذه الأخلاقيات والفضائل من عدمه .

الأدلة على أن الأخلاق في حد ذاتها غاية:

أولاً : شعائر الإسلام تدريب على الأخلاق

إن العبادات التي شرعها الإسلام، إنما هي في الحقيقة تمارين متكررة لتعويد المرء على الحياة بأخلاقٍ كريمة، والارتقاء بها.

فالصلاة:

هي الخشوع والخضوع والتواضع بين يدي الله ،وكأننا نجدد العهد مع الله في كل مرة فكيف يتسنى لمن يقف بين يدي الله خمس مرات في اليوم بأن يظلم أو يسيء لأحد أو يشتم أو يكذب أو يعتدي.

ولذا فقد قال الله تعالى: {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} سورة العنكبوت ٤٥

والصيام :

إن التدريب على حرمان ومنع النفس من حاجات أساسية ومشروعة لمدة شهر كامل كل عام يعزز قدرة الإنسان على التحكم في نفسه في سلوكيات غير مشروعة أو مقبولة ، وخاصةً في أنه لم يشرع على أنه حرمان للطعام والشراب فقط ، ولكنه حظر لأي إيذاء أو تعدي بالقول أو الفعل وقول الله تعالى يبين الحكمة من وراء الصيام: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصُّومُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ}.البقرة ١٨٣

وقال النبي ﷺ : (ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث فإن سابك أحد ، أو جهل عليك ، فقل: إني صائم)ابن خزيمة

عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري .

والصيام أيضاً يعلم الصبر والجلد والحلم والأناة، والإحساس بالفقراء والمساكين، والبذل والعطاء، وصيانة اللسان.

والزكاة :

أن تقتطع شيء من أموالك لمساعدة الفقراء والمساكين هو تدريب لتزكية النفس وتخليصها من شحها وفي نفس الوقت فهي تزرع التآلف والتعاطف بين المسلمين، ووسيلة للتراحم والشفقة وحب البذل والعطاء.

وقد بين الله الغاية منها بقوله تعالى: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها}. التوبة

ومن أجل ذلك وسع النبي ﷺ من نطاق الصدقة وأعطاهها مفهوماً أوسع وأعمق فقال ﷺ : (وتبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة) البخاري.

والحج :

ليست مجرد شعائر تعبدية غيبية ، ولكن المغزى منها التدريب على الصبر والحلم وصون اللسان، فقد قال تعالى : { الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب } .البقرة

وتأمل قول الله تعالى :

{ إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ } المعارج (١٩،٣٥)

وفي هذه الآيات يبين الله أن النفس البشرية جبلت على الخوف والضعف أمام الأهواء والشهوات فإذا ترك نفسه لخوفها وأهوائها لهلك ولكن من ينجو هو من يقوم نفسه على الدوام عن طريق الالتزام بالعبادات التي مغزاها تدريب النفس على كبح أهوائها وإفراز نتائجها في المعاملات مع الناس، ولذا فمن يستحق التمتع في جنات الله تعالى ليس فقط من يقومون بالعبادات الظاهرية والشعائرية بل هم من يقيمون العبادات ويوفون مع الله العهد في

المعاملات بالتزام أخلاق المؤمنين حقاً من أمانة وصيانة العهد وقول الحق والبذل والعطاء .

« إن الخُلُق لا يتكون في النفس فجأة ، ولا يولد قوياً ناضجاً بل يتكون على مهل وينضج على مراحل . وهذا سر ارتباط فوائده بأعمال متكررة، وخلل لها صفة الدوام كالصلاة والزكاة، والتصديق بيوم الجزاء، والإشفاق من عقاب الله إلخ وإذا كانت الطباع الرديئة دائمة الإلحاح على صاحبها تحاول العوج بسلوكه بين الحين والحين، فلن يكفكف شرها علاج مؤقت. وإنما يسكن ثورانها عامل لا يقل قوة عنها يعيد التوازن على عجل إذا اختل» .

الإمام الغزالي

في كتابه (خلق المسلم) في شرح هذه الآية

ثانياً: العبادات الشعائرية تفسد بسوء الأخلاق

الكثير من الناس يعتقد أن الإيمان هو إقامة الشعائر التعبدية ، وأن كثرة العبادات إنما هو ميزان التفاضل بين الناس، فهذا إنسان صالح إنه لا يترك فرض في المسجد ، وهذه إنسانة صالحة فهي تصوم أغلب أيام الأسبوع ، وهذا يختم القرآن كل ثلاثة أيام ، ولكن هذا الاعتقاد خاطئ، حيث أنه إذا لم تصاحب هذه العبادات معاملات وأخلاقيات كريمة مع البشر فلن تشفع له عند رب البشر ، فغاية العبادات وجوهرها إنما هو تهذيب الأخلاق، فإن لم تتحقق الغاية من هذه العبادات فإنها ستحبط وإن كثرت والدليل على ذلك من القرآن والسنة :

فالشهادتان :

يقول ﷺ : « من قال لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة، قيل: وما حقها؟ قال: أن تحبزه عن محارم الله».

والصلاة :

والتي هي عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، وبالرغم من ذلك إلا أنها عرضة لأن تحبط بسبب سوء الأخلاق .

ففي الحديث القدسي يقول الله تعالى :

« إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي ، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب » البزار

وعن النبي ﷺ أنه قال : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا ». الجامع الصغير

وعن أبي هريرة :

يا رسول الله ﷺ : إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقته، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال : «هي في النار» ، قال : يا رسول الله ﷺ ، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقته وصلاتها ، وإنها تصدق بالآثوار من الأقط ، ولا تؤذي جيرانها بلسانها ، قال : «هي في الجنة» . أحمد

الصيام :

عن أبي هريرة قال النبي ﷺ :

« من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »

[البخاري ، الترمذي أبو داود ، ابن ماجه ، أحمد]

الزكاة :

قال تعالى : { قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين } . سورة التوبة ٥٣

الحج :

يروى عن أبي هريرة قال النبي ﷺ :

(إذا خرج الرجل حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرذ فنادى لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك

حلال وراحتك حلال وحبك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة
الخبیثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك، ناداه مناد من
السماء لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحبك
غير مبرور». الطبراني

ويقول النبي ﷺ تقريراً وتأكيذاً لإحباط الأخلاق السيئة للعبادات :
« ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وإن عام وطى وحب واهتم
، وقال إنني مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا
أؤتمن خان » . مسلم

وعن أبي هريرة قال صلي الله عليه وسلم : « هل تدرون من
المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع
، قال : إنَّ المفلس من أُنْتِي من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة
وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ،
فبيعت فيقتص هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت
حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم ،
فطرحه عليه ، ثم طرح في النار » . مسلم واحمد والترمذي

وفي حديث آخر ، عن ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال :
« لأعلمن أقواما من أُنْتِي يأتيون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال
تهامة بيضا فيجعلها الله هباء منثورا » ، قال ثوبان : يا رسول الله ،
صفهم لنا ، جلهم لنا ، أن لا نكون منهم ، ونحن لا نعلم ، قال :
« أما إنهم إخوانكم ، ومن جلدكم ، ويأخذون من الليل كما

تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خُلُوا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا . ابن ماجه

إذا أن عبادتهم لم تنههم عن محارم الله فأحبطت وسقطت.

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : « الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد ، والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » . البيهقي

فما قيمة دين بلا خلق، وما معنى إيمان بلا فضيلة، وما معنى أن شخصاً يصلي ويصوم ويحافظ على عباداته، وفي نفس الوقت فهو سييء إلى جيرانه، ويكذب و ينافق ، أو يشهد الزور، أو يتناول على الناس بالفاظٍ أو أفعال غير لائقة.

«وخلاصة القول في هذا الأمر أن الإسلام جاء ليخلص الفطرة من شوائبها، ويهذب النفس من نزواتها، وإثما العبادات التي أمر بها الإسلام هي تدعيمٌ للفطرة ، وترويضٌ للهوى..ولن تؤدي العبادات رسالتها، وتبلغ هدفها وتقامها إلا إذا كانت كلها روافد لتكوين الأخلاق العالية.»

الشيخ محمد الغزالي

ثالثاً : أعلى الناس أخلاقاً هو أعلى الناس في منازل الجنة

وهذا دليل آخر على أن الأخلاق الفاضلة غاية ،فاعمل على نفسك حتى تصل إلى أعلى الدرجات .

فعن أنس قال صلى الله عليه وسلم : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة ، وأشرف المنازل ، وإنه لضعيف العباد . وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم » . الطبراني

رابعاً: غاية رسالة النبي ﷺ

عندما قال ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . أحمد كل ذلك يدعوك للقول بأن الكون كله يدعوك لحسن الأخلاق ، وأن السمو بالأخلاق هو الغاية من الخلق

فالفطرة..... تدعوك لمكارم الأخلاق .

والطبيعة تدعوك لمكارم الأخلاق.

والأنبياء يدعونك لمكارم الأخلاق .

العبادات.....تدريبات على مكارم الأخلاق

الابتلاءات عقوبات على التقصير في خلق من الأخلاق.

السعادة والنجاح الجزاء في الدنيا على حسن الأخلاق.

أعلى درجات الجنان..... هو الجزاء في الآخرة على حسن الأخلاق.

فعندما تسمو بأخلاقك، فإنك تصبح الأفضل بين الخلق، وعندما

تصبح الأفضل بين الخلق فعندها تستحق المكان الأفضل في الجنة ،

فالجنة مكانٌ يستحق أن تتزين له بأخلاقك .

كيف تكون الأخلاق وسيلة ؟

وكما أن الأخلاق غاية في حد ذاتها فهي أيضاً وسيلة لتحقيق:

• احترام وتقدير الذات :

إن تقدير الذات من الحاجات العليا للإنسان ، فلو صغر الإنسان أمام نفسه ، لهانت عليه نفسه ورضي بكل نقيصة ، وخاض بكل معصية دون أن يهتم بالنتائج ، فنفسه أمامه حقيرة لا تستحق غير ذلك ، فيظل يهوى بها دركاتٍ ودركات ، وكل إنسان ذو مبادئ وأخلاق لا يرضى عن ذلك بديلاً لأنه يرى نفسه عزيزة لا يرضى أن يذلها بمعصية أو خسيصة ، فهو يسمو بها لأعلى الدرجات ، ولقد كرّمنا الله ورفعنا على جميع مخلوقاته ، حتى الملائكة أطهر الخلق هم مجبولون على الطاعة ليس لهم خيار إلا الطاعة والعبادة ، أما نحن بنو آدم خلقنا الله وكرّمنا وأسجد الملائكة لأبونا آدم ، ونفخ فيه من روحه ، وأعطانا حرية الاختيار ، فلماذا نلقي كل هذا التكريم وراء ظهورنا ، ونهين أنفسنا بذل المعاصي ، وفساد الأخلاق.

• احترام وتقدير الناس :

إنك لا تستطيع أن ترى إنساناً ذا خلق دون أن تحترمه وتعجب بأخلاقه ويترك في نفسك شيئاً ، فهذا هو سيد الخلق عليه أفضل الصلوات والتسليم لم يستطع أحد رآه أو سمعه أو تعامل معه أن يمنع نفسه عن حبه واحترامه والإعجاب به حتى من غير المسلمين ، وقد وصفه الله تعالى في كتابه { وإنك لعلی خلقٍ عظیم } . القلم ٤

فأسهل طريق لاجتذاب قلوب الناس إليك واحترامهم وثقتهم بك هو حسن الخلق.

حسن الخلق يستر كثيراً من السيئات كما أن سوء الخلق يغطي كثيراً من الحسنات

• النجاح في الدنيا :

فالدين قد رسم لنا أساساً أخلاقيات لنسير عليها لو أننا التزمنا بها فسنفوز بالدنيا والآخرة ، ولأن الدين هو عبارة عن خطوات منطقية فإن هناك أناساً غير متدينين ، أو حتى غير مسلمين وناجحين في الحياة بسبب أخلاقهم ، فقد توصلوا بعقولهم وذكائهم إلى أن الأخلاق الحسنة تؤدي إلى النجاح والسعادة وحسب الآخرين، فلما ساروا على هذا الدرب تميزوا وارتقوا في أعلى المراتب، فما بالنا نحن المسلمين ونحن نملك العقيدة والمنهج الأخلاقي الكامل الذي رسمه لنا الله تعالى .

• الفلاح في الآخرة :

وبالرغم من أن النتائج متساوية في الدنيا لمن سلك مسلك الأخلاق سواء كان متديناً أو غير متديناً، أو مسلماً أو غير مسلماً، ولكن الفلاح في الآخرة لا يكون إلا للمؤمن الذي نيته لله وحده ، لا يبتغي بها إلا وجهه، وليست لمصلحته الشخصية أو الدنيوية، فهو بذلك قد ربح الدنيا والآخرة.

• الإصلاح والتقدم :

فإن أردنا أن تنهض أمتنا وتسبق الأمم الأخرى فعلينا أن نبدأ بالأخلاق ، فكلُّ يبدأ بنفسه ، ثم بما استرعاهم الله عليه ، ثم بمحيطه ، فلقد ساد الصحابة والمسلمون الأوائل بأخلاقهم العالم بعد أن كانوا مجتمع صغير جاهل يأكل طبعه بعضاً ، فظهروا على أُمم الأرض قاطبةً ، وما ذللنا وتراجعنا إلا بعدما تخلىنا عن الأخلاق وتطهير النفس ، وضللنا وتبعثرنا في متهاتات ليس لها بداية ولا نهاية .

متى تكون الأخلاق فضيلة؟!

كلنا يعرف أن التحلى بالأخلاق الصالحة فضيلة فهل هذا الكلام صحيح على مطلقه أم للفضيلة مقياس آخر؟

كنت أتعجب عندما أسمع حكايات عن زهاداً ورهباناً ، منعوا أنفسهم من كل الشهوات ، وعاشوا فقط ليتعبدوا لله في الصوامع والجبال ، وعندما تعرضوا لعرض من أعراض الدنيا ، أو خالطوا الناس ذُلُّوا ووقعوا أشد ما يكون الذلل .

فكنت أتعجب أليسوا هؤلاء أفضل مَنْ ملكوا أنفسهم وتحكموا بأهوائهم؟ أليس هؤلاء أقدر الناس على ضبط أخلاقهم ، فكيف بهم الذلل بكل هذه السهولة فيقعون في أسوأ ما يمكن أن يقع فيه بشر. وتأملت حكمة النهي في ديننا العظيم عن الرهبانية والعزلة، فقد قال ﷺ: «لا رهبانية في الإسلام».

وقد تعامل النبي ﷺ نفسه مع كل صنوف البشر ، وكان مختلطاً بالناس في مختلف المناسبات، فلا تستطيع أن تجد معاملة إنسانية إلا وتجد صدقاً للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف كيف كان يتعامل فيه ، سواءً مع زوجة أو ابن أو ابنة أو طفل أو صاحب أو قريب أو مسلم أو غير مسلم أو فقير أو غني أو ذو مكانة أو حقير أو عدو .أو كبير أو صغير... وهنا كانت تظهر عظمته وروعة أخلاقه. حتى أن الله وصفه في كتابه العزيز فقال: { إنك لعلى خلق عظيم }.

لقد استحق النبي ﷺ هذا الوصف لأنه اعتلى كل الفضائل ، وما كان ليحظى بهذا الشرف إلا من خلال بروز أخلاقه العالية من خلال تعامله مع الناس ، ومواجهته لمختلف المواقف ، فلم يكن يعيش منعزلاً في صومعة ، أو فوق جبل .

فعرفت آنذاك أن الفضيلة لا يمكن أن يتصف بها إنسان إلا عندما يتعامل مع الناس ويتعامل مع أخلاقهم، وإلا فكيف تبرز الفضيلة إلا من خلال خوض معتك الحياة.

ولذلك فقد قال النبي ﷺ : « **إن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم** ». صحيح ابن ماجة

ولقد خلق الله الإنسان اجتماعي بطبعه يحتاج إلى الناس ويحتاجون إليه، ولم يطلب منهم أن يناقضوا طبيعتهم، ولكن وضع لنا المعايير التي يجب أن نتعامل بها مع بعضنا البعض.

(إن الإنسان من بين جميع الحيوان، لا يكتفي بنفسه في تكميل ذاته، ولا بد له من معاونة قوم كثيري العدد حتى يتم به حياته طيبة، ويجري أمره على السداد، ولهذا قال الحكماء: إن «الإنسان مدني بالطبع» أي هو محتاج إلى «مدينة» فيها خلق كثير لتتم له السعادة الإنسانية، فكل إنسان بالطبع وبالضرورة يحتاج إلى غيره، فهو كذلك مضطر إلى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ومحبتهم المحبة الصادقة، لأنهم يكملون ذاته ويتممون إنسانيته، وهو أيضا يفعل بهم مثل ذلك. فإذا كان كذلك بالضرورة فكيف يؤثر الإنسان العاقل العارف بنفسه التفرد والتخلي؟ .

فالقوم الذين رأوا الفضيلة في الزهد وترك مخالطة الناس وتفردوا عنهم إما بملازمة المغارات في الجبال، وإما ببناء الصوامع في

المفاوز، لا يحصل شيء من الفضائل الإنسانية، وذلك أن من لم يخالط الناس ولم يساكنهم، لا تظهر فيه العفة ، ولا العدالة، بل تصير قواه وملكاته التي ركبت فيه باطلة، لأنها لا تتوجه لا إلى الخير ولا إلى الشر. فإذا بطلت ولم تظهر أفعالها الخاصة بها صاروا بمنزلة الجمادات والموتى من الناس.

لذلك يظنون ويظن بهم أنهم أعفاء وليسوا بأعفاء، وأنهم عدول وليسوا بعدول، وكذلك في سائر الفضائل . والفضائل .. هي أفعال وأعمال تظهر عند مشاركة الناس ومساكنتهم وفي المعاملات وضروب المجتمعات. ونحن نعلم ونتعلم الفضائل الإنسانية التي نساكن بها الناس ونخالطهم ونصبر على أذاهم، لنصل منها وبها إلى حال أخرى).

مسكويه



الباب الثالث

الفصل الأول: كيفية التعامل مع الأخلاق

ترويض الأخلاق

نسبية الأخلاق

الفصل الثاني: منظومة تربية القيم والأخلاق

كيف نتعلم الأخلاق

كيف نعلم أطفالنا الأخلاق

كيف نقيم صرح الأخلاق

ترويض الأخلاق

إن المقصود في هذا المبحث ليس تغيير الخلق أو تبديله أو إزالته ، وإنما تغيير مسلكه ووضعه في مكانه ، فإن كثيراً ممن جاهدوا أنفسهم وأرهقوها في سبيل التخلص من خلق ما ، وقعوا في عواقب غير محمودة ، ونتائج غير مرجوة ، إما بالعود الأشد ، أو بالوقوع في شرك البدع ، ولم يظفر أكثرهم بتغييرها .

ومن خلال بحثي في كيفية التعامل مع الأخلاق الذميمة ومعالجتها، لم أجد أفضل من مفهوم ابن القيم لها وتعامله معها في كتابه القيم (تهذيب مدارج السالكين). فقد أوضح من خلال مثال رائع كيفية تعامل الناس مع الطباع والأخلاق وأنجح الطرق في التعامل معها:

فدعونا نستعرض معه المثل :

يقول ابن القيم : هذا فصل يصل به السالك مع تلك الأخلاق . ولا يحتاج إلى علاجها وإزالتها . ويكون سيره أقوى وأجل وأسرع من سير العامل على إزالتها .

وقد ضرب العالم الجليل ابن القيم مثلاً على ذلك فيما معناه: (مع التبسيط).

نفترض أن هناك نهر جار ينتهي مصبه ومنحدره إلى أرض وعمران ودور يهددها بالإغراق ، وأصحابها يعلمون بخطر ذلك النهر على دورهم وأراضيهم فانقسموا قسمين : قسم لم يعطي له بالاً فتركوه

حتى أهلكهم وخرّب دورهم وأراضيهم ، والقسم الآخر : انقسموا إلى ثلاث فرق :

فرقة صرفت قواها في حبسه فبنت سداً وبناء لإيقافه ، فلم تعلم هذه الفرقة بأن ذلك يجعله يوشك أن تتجمع مياهه فيفيض ويصبح خطره أعظم.

وفرقة رأت هذه الحالة وعلمت أنه لا يغني عنها شيء. وقالت لا خلاص من ذلك إلا بقطعه من ينبوعه، فأبّت الطبيعة عليهم ، وكلما سدوه من موضع نبع من موضع آخر ، فاشتغل هؤلاء بشأن ذلك النهر عن الزراعة والعمارة وغرس الأشجار.

وفرقة **ثالثة** خالفت الفرقتين ، وفكرت بحكمة فارتأت أن الفرقتين أضاعوا كثيراً من مصالحهم ، فأخذت في تغيير مجرى النهر المنتهي عند العمران ، وصرفوه لموضع ينتفعون منه ولا يتضررون به ، فصرفوه إلى أرض قابلة للنبات وسقوها به ، فأنبتت العشب والكلأ فكانت هذه الفرقة هي أصوب الفرق .

وإذا طبقنا هذا المثل على الأخلاق والطبائع ، لوجدنا أن أخلاق النفس إنما تقوم على أساس دافعين ، دافع الشهوة ، ودافع الغضب ، أما دافع الشهوة فلكي يجلب به الإنسان لنفسه المنافع ، وأما دافع الغضب فلكي يدفع به الإنسان عن نفسه الضرر، فإذا انحرف هذان الدافعان عن مسلكهم ، فإنه يتولد عن ذلك كافة الأخلاق الذميمة.

وإذا افترضنا أن هذان الدافعان هو ذلك النهر، ومصبه منتهي لعمران القلب الذي إذا تركت هاتين القوتين لخربت القلب وأتلفته ، فانقسمت النفوس إلى ظالمة جاهلة ، وتركت هذا النهر ومجراه فخربت قلوبها وإيمانها .

وأما النفوس الزكية فقد فطنت لما يؤول إليه أمر هذا النهر فانقسمت إلى ثلاث فرق :

فرقة أعرضوا عنها ، وشغلوا أنفسهم بالأعمال ، ولم يتركوا هذه القوى لتهدم دورهم وعمرانهم ، بل حصنوا أنفسهم ببناء السدود وإحكام البناء حتى إذا وصل النهر أخذ يميناً وشمالاً ، فهؤلاء صرفوا عزميتهم وإرادتهم في العمارة وإحكام البناء .

وفرقة ثانية وهم الذين انقطعوا للمجاهدات الشديدة والخلوات عن الخلق ، أرادوا قطع النهر من ينبوعه فأبت عليهم الطبيعة التي خلق الله عليها البشر ، فأصبحوا في حربٍ دائمة مع أنفسهم ، وهؤلاء صرفوا قواهم إلى مجاهدة أنفسهم على إزالة هذه الصفات ، فزل أكثرهم .

بيد أن هذه الفرق قال عنها بعض الشيوخ أن آفات النفس مثل الحيات والعقارب التي في طريق المسافر ، فإذا أقبل في تفتيش الطريق عنها والاشتغال بقتلها انقطع ، ولم يمكنه السفر قط ، ولكن ليكن هدفك إكمال السفر والإعراض عنها ، وعدم الالتفات إليها ، فإن أعترضك شيء منها فاقتله ثم أكمل المسير.

أما الفرقة الثالثة فقد علمت أن هذه الصفات إنما يمكن الاستفادة منها من طريق آخر ، بل نظرت إليها على أنها لم تخلق في النفس هباء بل يمكن أن تكون درر مكنونة ، فصرفوها إلى حيث تنبت الثمار والأشجار ، وأبقوا عليها في نفوسهم .

ومثال على ذلك عندما رأى النبي ﷺ أبا دجاجة يتبختر بين الصفين . فقال : « إنها لمشية يبغضها الله ، إلا في هذا الموضع » . الطبراني

وفي حديث آخر « إن من الخيلاء ما يحبها الله ، ومنها ما يبغضها الله . فالخيلاء التي يحبها الله : اختيال الرجل في الحرب » . أبو داود

فهنا أصبحت الصفة المذمومة محمودة في ذلك الموضع عندما وضعت في مصرفها الصحيح ، بل أصبحت عبودية أيضاً .

وخلاصة رأي ابن القيم أن الخلق الذي نعتبره ذميماً ليس المطلوب منا قمعه والتخلص منه بالمرة ، ولكن المطلوب هو تصريفه في مكانه الصحيح .

نسبية الأخلاق

إن الأخلاق كمصطلح يندرج تحته الأخلاق المحمودة والأخلاق المذمومة، فهل يمكن أن تكون الأخلاق المحمودة مذمومة والأخلاق المذمومة محمودة ؟

الجواب: نعم، إن الخلق يمكن أن يكون حيادي، ويحكم عليه الموقف نفسه ولكن.....! كيف؟

إن هذه الفقرة هي تكملة لما قبلها وتوضح للصورة الكاملة للإمام بمفهوم الأخلاق والمقصود به ووضع كل في موضعه الصحيح، أو وضع الأمر في نصابه ، فليس الإسلام هو تطبيق مجرد للسمات والصفات البراقة في مظهرها فحسب ، وإنما الإسلام هو دين الحكمة من رب حكيم ، ووضع كل خلق في ميزانه الصحيح .

فالحياء مثلاً هو خلق جميل أثنى عليه النبي ﷺ ، ولكن إذا استخدم الحياء في موضع يتطلب الجرأة أصبح مذموماً ، فمثلاً إذا منع الإنسان من السؤال في العلم أو الدين ، وأيضاً إذا سكت عن الحق بحجة الحياء ، فهذا الموضع يكون الحياء فيه مذموماً ، والجرأة مطلوبة ، لأنه بذلك سيحيل الإنسان لشخص سلبي وجبان ولا يستطيع أن يطالب حتى بحقوقه.

وخلق الأناة والتروي من الممكن أن يكون مذموماً في وقت يتطلب العجلة والشدة أحياناً مثلما في حالة إنقاذ إنسان أو إسعاف مريض.

وخلق القناعة هو خلق محمود في الزهد عما في يد الآخرين، وعدم التكالب على مفاتن الدنيا والمال، ولكنه يصبح مذموماً إذا قنعت باليسير من العلم مثلاً وأصبحت محدود الطموح بحجة القناعة، وستكون دعوة للتراجع والجمود. وأحياناً يكون التظاهر بالجبن والخوف من ضمن خطة لتضليل العدو والانتصار عليهم، مثلما أظهرنا لليهود في إسرائيل قبل حرب ٦ أكتوبر ٧٣ وهزمناهم شر هزيمة بعد ذلك.

وإذا تركنا تأديب أطفالنا وقسونا عليهم أحياناً من باب الرحمة والرفق ، لانفلت زمامهم ولم نستطع السيطرة عليهم ، وأضعناهم . وأيضاً إذا تراخينا في حد من حدود الله بدافع الرحمة .

وإذا تأملنا أسماء الله الحسنی لوجدنا من أسمائه سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم ، والقوي القهار... العفو الغفور ، المنتقم الجبار...والنافع الضار، والمعطي الوهاب والمانع...والقابض الباسط ، الخافض الرافع...والمعز المذل .

فإذا نظرنا لأسماء الله الحسنی بفكرٍ قاصر لقلنا كيف يكون الله جباراً وهو الرحيم، وكيف يكون منتقماً وهو العفو، وكيف يكون مانعاً وهو المعطي.

ولكن عندما نعلم أن من أسمائه أيضاً الحكيم الحكم العدل ، و تدبرنا بعقلٍ واعٍ لعلمنا مغزى وحكمة كل صفة واسم من أسماء الله الحسنى، وكيف يتعامل مع خلقه في كل موقف باسمٍ من أسمائه الحسنى بما يصلحه ويقومه ، والإنسان الموصول بالله تعالى إنما يجعل صفات الله تعالى أصلاً يشتق منه أخلاقه .

وقد كان النبي ﷺ خير مثال وقدوة على هذه الحكمة في التعامل بالأخلاق ، فقد كان وهو أرحم الخلق وأرأفهم على الإطلاق، ومع ذلك كان يقيم الحد ، ويقطع أيدي الرجال والنساء المخالفين لشرع الله ، ويضرب الأعناق ، ويرجم بالحجارة حتى الموت، فكان لا يتهاون في حقٍ من حقوق الله.

وأيضاً في صلح الحديبية عندما وافق النبي ﷺ على شروط قريش في الرجوع والحج في العام التالي ، والهدنة عشر سنوات ، حتى أن عمر قال لأبي بكر : ألسنا على الحق ، قال: نعم قال أليسوا على الباطل : قال : نعم ، قال: فلم نرضى الدنية في ديننا ؟ وكان بسبب ذلك الصلح أن دخل في الإسلام الكثير، وفتحت مكة بعد ذلك.

وهو نفسه الذي وقف في وسط المعركة في غزوة أحد بعد نزول الرماة من على الجبل وانقلاب المعركة ضد المسلمين ، وقد وقف في منتهى الشجاعة ينادي ليجمع المسلمين « أنا النبي ﷺ لا كذب، أنا ابن عبد المطلب ».

إن أغلب الذين تحدثوا عن الأخلاق سواء كانت كتباً أو محاضرات أو ندوات فإن كل اهتمامهم كان الحديث عن الأخلاق المجردة ، ظناً منهم أن المجتمع مليء بالزائل والأخلاق السيئة ،

فلا سبيل للإصلاح إلا بمقابلة هذه الأخلاق بعكسها والعمل على استئصالها ، ومن هنا بدأ الصراع واتسعت الفجوات .

فعندما يجد الناس أن صاحب الأخلاق هو من تنهب حقوقه ، وتنهش أعراضه ، ويذل ويهان ، ويتعرض للمشاكل والصعاب، فإن المفاهيم تضطرب ، والموازين تختل ، وينقسم الناس لقسمين إما أخيار ولكنهم لا يستطيعون مجاراة الشر فانزوا وابتعدوا وفضلوا الخلوة والنجاة بأنفسهم ، وإما أشرار اعتبروا الأخلاق ضعف وجبن وضياع للحقوق ، ابتدعوا لأنفسهم أخلاقاً جديدة بمسميات جديدة ليريحوا ضمائرهم ، فأصبح الكذب تجميل ، وأخذ حقوق الناس شطارة، والرشوة قضاء مصالح ، والكبر والتعالي والخيلاء من صفات الأقوياء والأغنياء، والتواضع والتسامح ضعف وجبن.

بينما ظل هناك التائهون بين هذا وذاك وهم أغلب الناس يتخبطون بين هؤلاء وهؤلاء ، ويتحIRON بين ما هو خطأ وصواب.

ولكننا إذا فهمنا الدين على حقيقته، لعلمنا أن حسن الخلق هو وضع كل خلق في موضعه الصحيح، وأن سبب هذا الهرج والتخبط هو الجهل بحقيقة الحكمة في تقييم كل موقف ، والميل بالهوى دون التفكير بالعواقب.

ولقد وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم : { **أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**
أَلْمِزَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ } .المائدة ٥٤

فجعل الله العزة والمذلة أيضاً من صفات المؤمنين.

وفي هذا المبحث نتعرض لمفهوم جديد في توصيف الأخلاق ألا وهو نسبية الأخلاق، فالأخلاق من صدق وكذب وحلم وغضب ورحمة وقسوة...إلى آخرها من الأخلاق تحتاج للنظر إليها من منظور آخر، فلكي تحكم على خلق ما بالحسن أو بالقبح فضعه أولاً في ميزان

النية ، فإذا رجحت كفة النية الحسنة فهو خلق حسن ، وإذا رجحت كفة النية السيئة فهو خلق سيئ .

ولعل أقرب التعاريف للخلق الذي تتفق مع هذا المعنى هو تعريف الجرجاني (وقد سبق الإشارة إليه):

وهذا التعريف أيضاً يتفق مع قول النبي ﷺ : « **إنها الأعمال بالنيات** » البخاري ومسلم

كيف نتعلم الأخلاق

إن فطرة الله التي فطر الناس عليها إنما هي حب الخير وكرهية الشر، وإن النفس تصبو للكمال، وتنفر من الضلال، وإن أصل الدين لهو مداراة الفطرة، وتخليص النفس من الشوائب التي تعلق بها، فالإسلام هو دين الفطرة الخالصة، ولذا قال الله في كتابه العزيز :

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}

الروم ٣٠

فكلنا بالفطرة يميز بين الخير والشر، وبين الخلق الحسن والخلق القبيح، ولكن النفس لتزيغ عن فطرتها السليمة أحياناً، وتتلاعب بها الشهوات و الأهواء، ولأن الله تعالى هو الخالق، ويعلم ما بالنفس من فطرة طيبة ونزعة هابطة، فقد رسم لها المنهج الذي يدعم فطرتها ويقوم اعوجاجها، ثم ترك الأمر بين يدي الإنسان وباختياره . قال الله : {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا} . الشمس ٧-١٠

إن أصعب شيء على الطبيعة الإنسانية تغيير الأخلاق والطباع التي جبلت عليها، وإن من السهل التأثير بكتاب أو محاضرة عن الخلق، ولكن من الصعب تطبيقها أو العمل بها ما لم تكن لدينا المهمة العالية والإرادة القوية، واستحضار النية في تغيير خلق ما،

وهذا ما عني به قول الله :

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا يُقَوِّمُ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ} {الزُّمَرُ}
وقال تعالى : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ
حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ}. الأنفال

إننا لن نتغير إلا إذا أيقنا أن هذا هو الطريق الوحيد الذي يحقق
السعادة في الدارين الدنيا والآخرة.

تغيير الأخلاق وإن كان صعباً ليس مستحيلاً :

إن التخلق بالخلق الحسن إما أن يكون بالفطرة والجملة
ومنحة من الله ، مثلما قال النبي ﷺ للأحنف بن قيس : « **إِنَّ
فِيكَ خَصْلَتَانِ يَحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ** » فقال الأحنف :
أهما خصلتان تخلقت بهما أم جبلني الله عليهما ؟ قال : « **بَلْ جَبَلَكُ
اللَّهُ عَلَيْهِمَا** ». مسلم

وإما يكون بالاكْتِسَاب و حمل النفس على التغيير وتحصيل خلق ما،
وبعض الناس يستثقلون المجاهدة لتغيير خلق ما ، ويتصورون أن
الطباع والأخلاق لا يمكن تغييرها .

وهؤلاء يمكن الرد عليهم بما قاله الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى -
في ذلك بالآتي :

أنه لو كانت الأخلاق غير قابلة للتغيير ما كان للقرآن والسنة أن
يحثوا عليها، وما كان للمواعظ والوصايا معني.

ولو كانت الأخلاق غير قابلة للتغيير ما كان تغيير الصحابة، والمؤمنين
الأولين، بعدما عاشوا أخلاق وحياة الجاهلية، ويبين لنا ذلك ما قاله
الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب ملك الحبشة : ((أيها الملك ...

كنا قوماً أهل جاهليةإلى آخر الحديث)). .
ولو كانت الطباع غير قابلة للتغيير ما استطعنا أن ندرب حيواناً، أو
نستأنس وحشاً، فما بالك بالإنسان.
ولكن هناك طباعاً سهلة التغيير وطباعاً صعبة التغيير

فالمطلوب هو أن نجاهد أنفسنا فنصيب مرة ونخطئ مرات ولا ضير ،
ولكن الخطأ كل الخطأ أن نياس فتتوقف ونستسلم لطباعنا ،وقد قال
الله تعالى {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع
المحسنين} العنكبوت

تهذيب الأخلاق:

وهنا يجب التأكيد على أنه ليس المقصود من تغيير الأخلاق هو
طمس الصفات أو قمع الشهوات بالكلية ، فلم يخلق الله فينا هذه
الشهوات لهلاكنا بل خلقها لسعادتنا واستمرار حياتنا ، فلو انقطعت
شهوة الطعام مثلاً لهلك الإنسان، ولو انقطعت شهوة الجماع لانقطع
النسل، ولو انعدم الغضب لم يستطع الإنسان أن يدافع عن نفسه، أو
يدفع عن نفسه الهلاك، أو يجاهد في سبيل الله.

ولكن المطلوب هو الاعتدال والتوازن ، فالأخلاق السوية هي الأخلاق
المعتدلة التي تكون وسط بين الإفراط والتفريط ، فديننا هو دين
الوسطية وهذا ما يؤكد قول الله : {وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً
لتكونوا شهداء على الناس ويكون النبي صلى الله عليه وسلم عليكم شهيذاً}.
البقرة

وكما أن الجسم يحتاج إلى التغذية المستمرة ليصح ، فإن النفس أيضاً
تحتاج إلى التزكية والتهذيب المستمر لتصح ، فقد قضت حكمة الله
أن يولد الإنسان ناقصاً ليسعى للكمال ،فإذا أن ينتصر على نفسه

فينجو، أو تنتصر نفسه عليه فلا يجني إلا الحسرات.
والمقصود من رد الأخلاق إلى الاعتدال أن كل خلق محمود هو
وسط بين خلقين ذميمين فمثلاً:

- خلق التواضع هو وسط بين الكبر والعلو وبين الذل والمهانة.
- وخلق الجود والكرم هو وسط بين خلقي البخل والتبذير.
- وخلق الحياء هو وسط بين الجرأة والوقاحة، وبين العجز والمهانة
- وخلق الصبر الانحراف عنه يتحول إما إلى جزع وتسخط وإما إلى غلظة وقسوة قلب.
- وخلق الشجاعة هو وسط بين التهور والاندفاع وبين الجبن والخوف.
- وخلق القناعة إذا انحرف فإما إلى حرص ونهم ، وإما إلى خسة ووضاعة.
- وخلق الرحمة هو وسط بين القسوة والغلظة وبين الضعف و الجبن .
- وخلق الأناة والرفق وسط بين العجلة والطيش والعنف وبين التفریط والإضاعة .
- وخلق العزة فانحرافه إما إلى كبر وبطش وإما إلى ذل ومهانة.
- حتى طلاقة الوجه فهي وسط بين العبوس والتجهم وبين الاسترسال في المزاح مع أي شخص وفي أي مكان فتضيع الهيبة والوقار.

وقد حث الله في كتابه العزيز على هذا الاعتدال وهذه الوسطية فقال تعالى : {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا} .الأعراف
وقال تعالى {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} .الفرقان

ملحوظة :

وهذا المفهوم الوسطي للأخلاق والذي ذكره ابن القيم في كتابه (تهذيب مدارج السالكين)، وتحدث عنه أيضاً الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) ، لا يتعارض مع المفهوم الذي تحدثنا عنه سابقاً وهو أن لكل خلق حاجة ، ولكل حالة خلق مناسب ، حيث أن لكل شيء أصل وقاعدة ، ولكل قاعدة استثناء ، وأصل الفضائل هو التعامل مع الناس بالأخلاق المحمودة ، بينما الاستثناء هو استخدام خلق ما في الأصل هو ذميم ولكن استخدامهم في موضع ما يجعله محمود في هذا الموضع بل مؤجر عليه أيضاً ، بينما إذا افتقر المرء للحكمة ، فيكون مرجعه للأصل فخطر التعامل مع الأخلاق بجهل أشد وأعظم من التعامل بالأخلاق المحمودة دوماً حتى لو وضعت في غير موضعها، وعندما نتعرض لمفهوم الأخلاق الوسطي هنا إنما نتعرض لأصول الأخلاق سواء المحمودة منها والمذمومة وليست استثناءاتها .

الوسائل العملية لتهذيب الأخلاق :

• أن تحمد الله على ما وهبك الله إياه من أخلاقٍ كريمة :
فإن كنت كريم بطبعك ، أو رزقك الله الحلم والأناة ، فأَيُّ إنسان لا يخلو من صفاتٍ حسنة ولكن عليك أن تجعل كل عمل تقوم به خالص لله تعالى ، « إنما الأعمال بالنيات » .

• الصحبة الصالحة :

إن الصديق مرآة صديقه، فاستعن على الأخلاق الصالحة بالصاحب الصالح، واقطع صحبتك فوراً بصاحب السوء وما أكثر من ضلوا الطريق بسبب صحبة السوء .

فقد قال ﷺ : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » .
أبو داود والترمذي

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال النبي ﷺ : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يجذبك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما تجد منه ريح طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريح منتنة » . متفقٌ عليه

• اشغل نفسك :

الفراغ هو أعدى أعداء الإنسان وقد قال الشافعي رحمه الله : اشغل نفسك بالحق قبل أن تشغلك هي بالباطل .
ولذا فمن الوسائل القوية المعينة على تحسين الأخلاق إنما هي أن يكون لك هدف واضح تسعى لتحقيقه وتحقيق التميز فيه مثل

أن تنشغل بالعلم، أو تنشغل بالدعوة ، أو تنشغل بالإصلاح، أو تكون متفوقاً في دراستك أو عملك، أو تتميز في شيء ما، ففي الغالب تجد من يكون متميزاً في شيء يحب أن يكون متميزاً في كل شيء .

• التفكير بالنهاية :

فإن التفكير بالعاقبة دائماً ما يكون عوناً على كل خير، والبعد عن كل شر ، فعندما نستأنس بما في القرآن والسنة عن عظيم ثواب حسن الخلق ، و بأس عاقبة سوء الخلق ، فسيقوى عندنا الدافع للتغيير ، ويكون السلوى لنا دائماً.

• الاقتداء بالنبي ﷺ :

فإذا قرأنا سيرة النبي ﷺ بتمعن وتأمل لوجدنا ما يغنينا عن أي شيء آخر ، فلم يترك لنا النبي ﷺ صغيرة ولا كبيرة إلا كان له فيها موقف وخلق لتعلم منه.

قال تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي النَّبِيِّ ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } .الأحزاب ٢١
وقال تعالى : { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } . البقرة

• الاقتداء بالصحابة والصالحين :

وسيرة الصحابة والصالحين ممتلئة بالأمثلة على حسن الخلق، ومجاهدة النفس .وقراءة سير الصالحين من أنجح الطرق لتعلم الأخلاق .

• الملاحظة والمراقبة :

إن من المفيد جداً ملاحظة الأشخاص ذوو الأخلاق الكريمة ، ومراقبتهم كيف يتعاملون في المواقف المختلفة، والحياة مدرسة كبيرة مليئة بالقصص والعبر والدروس ، والعامل من يتأملها ويعتبر بها ، فلا يمر عليها مرور الكرام ،فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها ، فأنا أحياناً أتعلم دروساً من ابنتي الصغيرة ، أو من حكاية سمعتها ،أو من موقف مر بي ،فلا تفوت شيئاً في الحياة دون أن تتعلم منه حتى لو كان تافهاً في نظرك .

• دراسة العلوم الحديثة التي تعين على التحكم بالذات :

ففي علم البرمجة اللغوية العصبية الحديث مثلاً نجد من الوسائل التي تعيننا على التخلص أو اكتساب صفة ما بالتدريب عليها ، وتخييل النتائج في المستقبل ، فعندما تتخيل النجاح في شيء ما ، ويصبح كل تركيزك على هذا النجاح فإنك بالفعل تصل إليه وتحققه . كأن تتخيل نفسك في المستقبل وأنت في مواقف صعبة وتتصور أنك تتعامل معها بحلم وصبر وروية ، أو تتخيل نفسك في موقف أظهرت فيه الشجاعة والجرأة ، أو موقف تحكمت فيه بغضبك ، أو موقف تعاملت معه بحكمة، وتخييل شعورك وسعادتك في هذه اللحظة وتصرف على أساسها، واجعل هذه الصورة دائماً حاضرة في ذهنك،

وكانك حققتها بالفعل، فسيعينك الله حتماً على تحقيقها بإذنه ومشيتته .

وأيضاً دراسة علم النفس والاجتماع والتنمية البشرية، والذي يعينك على التعرف على طبائع الناس ودوافعها وكيفية التعامل معها .
فقد قال علي : (من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالعلم).

انطلق ... وابدأ الخطوة الأولى

إن التغيير لابد أن يكون نابع من ذاتك ، وبإرادتك ، ولذا لابد أن تتخذ الخطوة الأولى وهي أن توقف السلوك الخاطئ مع العزم على عدم العودة، وستجد الله يأخذ بيدك إلى الطريق ولن تضل أبداً ، فهذا قانون رباني ساري في كونه ، فقد قال ﷺ:

« **ومن يستعففه؛ يعفه الله ، ومن يستغن؛ يغنه الله ، ومن يتصبر يصبره الله...** » البخاري

• التدريب والتكرار :

إن الخلق لا ينضج في النفس فجأة، وإنما ينمو على مراحل، وبالتكرار يصبح طبع في الإنسان لا يرضى عنه بديلاً، فمن أراد التواضع فإنه يحمل نفسه على أفعال المتواضعين، ومن أراد الجود والكرم ، فإنه يتناول أخلاق الكرماء ، وهكذا حتى يصبح الخلق عادة ، فلو داومنا التدريب على الخلق الحسن طرد الخلق القبيح وانتصر عليه فقد قال ﷺ: « **أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل** ». البخاري

ولا نبدأ بالتدريب على الأخلاق جملة ، ولكن نركز على خلق ما حتى نتطبع به ، ثم نتناول خلق آخر وهكذا.

أصلح نفسك على ثلاث مستويات :

مع نفسك :

فلا تفعل في خلوتك مع نفسك ما تستحي من فعله أمام الناس ، فمثلاً لا تأكل بنهم عند أكلك لوحده ، ولا تتجشأ بصوت عال ، واحرص على ستر عورتك دائماً ، فكلما كنت حريصاً على كل ما يزين ويجمل نفسك في السر كلما كان ذلك طبعاً مصاحباً لك في العلن ، فتعلو وتسمو أمام نفسك ، فتحترمها وتحرص على تجنب كل ما يشينها.

مع الناس :

تعامل مع الناس بما تحب أن يعاملوك به الناس ، ولا تظهر لهم ما تكرهه منهم لنفسك ، وانتفع بكل من تخالطه أو تصاحبه من سيء الخلق وحسنه ، فاجعل الناس مرآةً لنفسك ، فما ترى من غيرك من خلق حسن ، وطبع جميل في قول أو فعل فاقتدي به وتعلم منه ، وما ترى من خلق سيء ، وطبع قبيح فاجتنبه .

مع الله :

وذلك بأن تستحي من الله حق الحياء ، ومن نظره لك ، ومراقبته إياك ، فاحرص دائماً ألا يراك على قبيح ، وأن يجده دائماً حيث أمرك .

كيف نعلم أطفالنا الأخلاق

إن أطفالنا هم قرة أعيننا وقلوبنا أكبادنا تمشي على الأرض ، وغاية الغايات أن تقر أعيننا بصلاح أخلاقهم ، فإذا أدبتهم وزرعت في نفوسهم وازرع الأخلاق والمبادئ المتزنة، فألقهم في بحر الحياة ولا تخشى عليهم بعد ذلك ولا تقلق، وسيكون هذا الوازع سفينة النجاة بالنسبة إليهم التي ستوصلهم دائماً إلى بر الأمان .

وقد يقع بعض الآباء تحت وطأة مفهوم قاصر فيرتكبون خطأً فادحاً في حق أبنائهم دون قصد .

فمثلاً:

- بعض الآباء يكون مفهوم عملية التربية عنده هو أن يعلم أولاده في أرقى المدارس، ويشترك له في أرقى النوادي وكفى.
- وآباء آخرون يعتقدون أن التربية هي تلبية كل احتياجاتهم ومطالبهم، فالمال يحل كل مشاكلهم.
- بعض الآباء والأمهات يتكون مسألة التربية برمتها إلى الخدم بحجة الانشغال وضيق الوقت.
- بعض الأمهات يكون أقصى اهتمامها بأولادها هو الاهتمام بالطعام والشراب والملبس والنظافة .
- وآخرون يعتقدون أنهم قد أدوا كل ما عليهم عندما يزجون بأولادهم إلى شيخ يحفظهم القرآن ، أو إلى مدرب يدرّبهم على رياضة

ما .

وإن كان في كل ذلك ما هو صواب وما هو خاطئ إلا أن غرس القيم والأخلاق الفاضلة في نفوس أبنائنا يجب أن يكون على قمة أولوياتنا في التربية، فإن لم تكن هذه مهمتنا فمن سيقوم بهذا الدور عنا.

إن الأطفال هم أمانه في رقابنا ، وسنسأل عنهم أمام الله فقد قال ﷺ : « **حَاكِمُ رَايَ وَحَاكِمُ مَسْئُولٍ عَنْ رِعَايَتِهِ** ». متفق عليه وقال أيضاً ﷺ : « **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَمَجْسَانَةٍ** ». مسلم

فإما أن نرعاهم ونقوم أخلاقهم فيكونوا لنا الولد الصالح الذي يدعو لنا بعد مماتنا، ونرقى وإياهم إلى أعلى درجات الجنة، وإما أن نهملهم فنندم عند كبرهم وكبرنا أشد الندم فلا نرى منهم إلا العقوق والخلق السيئ، والحسرة في الدنيا والآخرة.

وقد أشار ابن القيم في كتابه - أحكام المولود - على ذلك حيث قال:

(ومما يحتاج إليه الطفل أشد الاحتياج ، الاعتناء بأمر خلقه ، فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حردٍ وغضب ولجاج وعجلة وخفة من هواه وطيش وحدة وجشع ، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك . وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له ، فإن لم يتحرز منها غاية التحرز فضحته لابد يوماً ما ، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم ، وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها) .

وقال العلامة الشيخ محمد الخضر حسين - شيخ الأزهر

سابقاً - :

(إن الصبي يولد على الفطرة الخالصة ، والطبع البسيط، فإذا قوبلت نفسه الساذجة بخلق من الأخلاق نقشت صورته في لوحها ، ثم لم تزل تلك الصورة تمتد شيئاً فشيئاً إلى أن تأخذ بجميع أطراف النفس ، وتصير كيفية راسخة فيها ، حائلة لها عن الانفعال بضدها، يؤيد هذا أننا إذا رأينا في الغرباء من هو لطيف الخطاب ، جميل اللقاء ، مهذب الألمعية ، لا نرتاب في دعوى أنه ممن أنبته الله في البيوت الفاضلة نباتاً حسناً).

فضل تأديب الأولاد :

إن من أولويات تربية الأطفال الخلقية هي غرس الأدب في نفوسهم وهو غرس كل ما هو حسن من قول وفعل، ولقد حرص النبي ﷺ على توجيه الآباء لتأديب أولادهم وما لذلك من عظيم الفضل والأجر .

فعن جابر بن سمرة قال : قال النبي ﷺ : « **لأن يؤدب الرجل ولده ، خيرٌ من أن يتصدق بصالح** » . الترمذي

وعن سعيد بن العاص أن النبي ﷺ قال: « **ما نحل والد ولداً من نحلٍ ، أفضل من أدبه حسن** » . الترمذي

وروى ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « **أكرموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم** » . ابن ماجه

وقد أدرك الصحابة والسلف الصالح أهمية تعليم الأولاد الآداب ، فهذا الصحابي الجليل عبد الله ابن عمر يقول : أدب ابنك فإنك مسؤولٌ عنه ماذا أدبته؟ وماذا علمته ؟ وهو مسؤولٌ عن برك ، وطواعيته لك.

وقال بعض السلف لابنه: يا بني لأن تتعلم باباً من الأدب أحب إلي من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم).
وقال أبو زكريا العنبري: علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كروح بلا جسم.

١٣ وسيلة لتهديب أخلاق أطفالنا :

• إصلاح أنفسنا أولاً .

فالطفل عندما يولد يكون كالصفحة البيضاء ، وأول من يخط في هذه الصفحة هما الأب والأم بأخلاقهم وتصرفاتهم ، ولذا فإن أكبر تأثير في تشكيل شخصيته الطفل يكون من خلال معاشرته والديه وتشرب طابعهما.

• التربية بالموقف.

فالأطفال لا يتأثرون بالكلام والنصائح قدر تأثرهم بالمواقف العملية، فانتهاز المناسبات والمواقف في التربية من أنجح الوسائل ، وقد كان النبي ﷺ يستخدم هذه الوسيلة في تربية أصحابه.

• التركيز على القيم والمبادئ وليس التوجيهات.

وهو التأكيد على الأخلاق من صدق وأمانة وعطاء وصبر وغير ذلك بصورة غير مباشرة وليس بالأوامر والنصائح، والمكافأة على السلوك الحسن وإن كان بسيطاً ولو بكلمة مدح واستحسان.

• لا تعزل أولادك.

فلكي تعلمهم الأخلاق فيجب أن تجعلهم يختلطون بالمجتمع حولهم، ودورك أن تراقب وتقوم الخطأ، وتعزز الصواب، وتنقي

الصاحب والمعلم.

• التربية بالقصة.

والقصة هي أقرب وسيلة لقلب الطفل وعقله، وأكثر رسوخاً في ذاكرته، فاحرص على سرد القصص التي يخرج منها بخلق وفضيلة، وليس أفضل من سيرة النبي ﷺ ، وقصص الصحابة ليرتبط بهم وبأخلاقهم.

• علمهم مراقبة الله تعالى .

فالمراقبة تعلمهم الحياء من الله وخشيته، فعلمهم أن الله يراهم في سرهم وعلاانيتهم ومعهم في كل وقت ومكان ، فأنت لن تستطيع أن تراقبهم طوال الوقت ، فإذا استطعت أن تزرع فيهم هذا الوازع فلا تخشى عليهم شيئاً بعد ذلك.

قال سهل بن عبد الله التستري : كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار ، فقال لي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك؟

فقلت: كيف أذكره؟ فقال : قل بقلبك عند تقلبك بثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك لسانك:

الله معي ... الله ناظري.. الله شاهدي.

فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته به، فقال: قل كذلك كل ليلة إحدى عشر مرة ، فقلته فوق في قلبي حلاوة ، فلما كان بعد سنة قال لي خالي :

احفظ ما عملت ، ودُم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة.

فلم أزل على ذلك سنين ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل ..

من كان الله معه وناظرا إليه وشاهده أيعصيه ؟!!!

•تعلم المرونة والسلاسة في التربية.

فإياك والغضب ، وإن غضبت فلا تتكلم أو تتعامل مع الموقف وأنت على هذه الحالة ، بل اعط لنفسك مساحة من الوقت لتهدأ وتفكر كيف تتعامل مع الخطأ بحكمة.

وتعلم أن تتعامل مع أولادك بسلاسة وبدون توتر ، فلكل مشكلة حل ، ولكل موقف أكثر من طريقة في التعامل . وما عليك إلا أن تتعلم وتنمي خبراتك في التربية .

•التدرج والتدريب في التربية :

فأله عندما حرم الخمر حرمها على مراحل ، ومن هذا المعني علينا أن ننطلق في تربية أولادنا ، ونتبع سنة التدرج سواء في غرس خلق حسن في نفس الطفل ، أو في اقتلاع خلق سيء، ثم تأتي مرحلة التدريب .

فإذا أردنا مثلاً أن نعودهم الكرم والعطاء ، فلندربهم على ذلك ببذل النقود على المحتاجين ، ونبين لهم سبب عطاءنا لهذا الفقير لأن الله من علينا بفضل فيجب أن نبذل من هذا الفضل شكراً لنعمة الله علينا حتى يرضى عنا ، وأن هذا الفقير يحتاج أكثر منا لهذه العطية .

أعرف أم تعلم أبناءها أن يتصدقوا بثوب من ثيابهم عند شراء ثوب جديد شكراً لله على عطيته ، وحتى لا ننسى الفقراء وقت سرورنا.

فالتدريب يرسخ الفضيلة في نفس الطفل ويجعلها جزءاً من شخصيته.

•إيجاد الحافز الذي يدفعهم للتخلي بمكارم الأخلاق عن طريق:

- تقوية الإيمان وتعميق حب الله ورسوله في قلوبهم .
- الإقناع الفكري كأن نبين لهم كيفية استفادتهم من التحلي بهذه

الأخلاق عند تعاملهم مع الناس وحب الناس لهم ، والوصول للنجاح في الدنيا بهذه الأخلاق.

•مزامنة الأخلاق الحسنة للأخلاق السيئة.

عندما نريد أن نتخلص من سلوك سيء لدى الأطفال ، فيجب أن نركز على سلوكياتهم الجميلة ونعززها بالمدح والثناء دائماً ، ونزرع الأخلاق الحسنة في نفوسهم بالحديث الدائم عن فضلها ، دون الإشارة للسلوك السيء ، وبهذه الطريقة يزاحم الخلق الحسن الخلق السيء ويطرده.

•توجيه وتحويل طباعهم عن الصغائر لمعالي الأمور.

أولاً يجب أن نعرف سبب السلوك السيء ونعالجه، ثم نوجه السلوك لشيء مفيد ، كأن يكون طفل طبعه عنيف ويضرب أقرانه ، فنوجهه لرياضة بدنية كالكراتيه والكنغ فو ، أو طفل يكذب ، نوجهه لتأليف القصص مثلاً ، ففي الغالب تكون ملكة الخيال عنده واسعة ، وهكذا....

•ولتكن العصا آخر الخيارات.

يجب استخدام الضرب إذا فشلت كل المحاولات، وأقصد بالضرب هنا الضرب غير المبرح، وقد أمر النبي ﷺ تعليق السوط على الجدار للتخويف .

وهنا فالضرب غير المبرح يعيد الطفل إلى الدرب لأنه بالنسبة له يكون صدمة عندما يكون الأب حنون في العادة فيصل إليه رسالة أن الخطأ الذي عوقب عليه غير مسموح له بإعادته.

وقد قال د. عبد الله الرحيلي في كتابه (الأخلاق الفاضلة) : تربية ليس

فيها العصا عند الحاجة تربية ناقصة ، وتربية ليس فيها الإقناع عند الحاجة تربية ناقصة .

•الدعاء.

الدعاء الدائم للأولاد بأن يرزقهم الخلق الحسن ، فأنت الآن قد أخذت بالأسباب فما عليك إلا التوكل على الله وأن تستودعه في أخلاقهم لحفظهم من كل سوء.

كيف يبني المجتمع صرحاً للأخلاق؟

إن الأصل في الإنسان هو الفطرة السليمة التي فطره الله عليها ، فطبيعة الإنسان تتواءم مع الخير ، والإسلام يتعامل مع هذه الفطرة من منطلق الحرية ، فالحرية هي أساس المسؤولية ، والإكراه على الفضيلة لا يصنع إنساناً فاضلاً ، كما أن الإكراه على الإيمان لا يصنع إنساناً مؤمناً ، ولذلك فإن مبادئ الإسلام تعمل على تخليص الإنسان من قيوده ، واستثارة الخير في داخله ، وخطاب القلب الإنساني بأسلوب الإقناع والمحبة ، وربطه بثمار ونتائج التحلي بالفضائل والقيم في الدنيا والآخرة ، ولقد كان حلم المصلحين والفلاسفة هو العيش في ظل مجتمع ملائكي خالي من المتاعب والضغائن قائم على الفضائل والقيم ، لا يعيش فيه إلا كل ما هو طاهر ونقي ، وأسموه بالمدينة الفاضلة ، ولكن أحبطوا بالنتيجة ، لأنه تصور غير عملي وغير واقعي ، فنحن بشر ولسنا ملائكة ، ولو أراد الله لخلقنا ملائكة ولكن أرادنا بشراً نخطئ ونصيب ، ونذنب ونتوب ، وخلق فينا الغرائز والشهوات.

وعلى هذا الأساس فإن الإسلام وَضَعَ الخطوات العملية التي إذا سار عليها المجتمع أصبح أرقى المجتمعات وأرفعها علي الإطلاق :

أولاً: تنمية الوازع الخلقي والديني لدى الفرد:

لقد زخر الكتاب والسنة بكل ما يحض على الفضيلة وما يعقّبها من ثواب في الدنيا والآخرة ، و يحذر من الرذيلة وما يعقّبها من خزي وعقاب في الدنيا والآخرة.

ثانياً: تربية مجتمع ينفر من الجريمة وينكرها ويحاصرها:

فعندما يوجد المجتمع النقي المتشرب للكتاب والسنة ، فإنه يرفض أي خلق أو سلوك دخيل عليه ويحاصره ، فيفكر من يهم بجريمة ألف مرة قبل أن يقوم بها ، ولهذا كانت مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال النبي ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليُغيِّرْهُ بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .
مسلم

فهنا يحث الحديث على الإيجابية ، والتنفير من السلبية ، لذلك حينما أرسل الله عز وجل الملائكة ليهلكوا قوماً قالوا: ((إن فيها عبدك فلان لم يعصك طرفة عين؟ قال: اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر في ساعة قط)) . الطبراني (عن جابر بن عبد الله) .

وفي الحديث أيضاً عن النعمان بن بشير، يقول ﷺ : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » . البخاري

ثالثاً: الوقاية خيرٌ من العلاج.

ولأن الإسلام يحسن الظن بفطرة الإنسان، فإن هدفه هو المحافظة على هذه الفطرة طاهرة نقية، وذلك بإزاحة العوائق وتحطيم القيود التي يمكن أن تحيد بهذه الفطرة عن الطريق المستقيم، ومن أجل ذلك فإنه أخذ بمبدأ سد الذرائع ، وسد منافذ الفتن ، فأمر بغض البصر ، وعدم التبرج للمرأة ، ونهى عن الخلوة بين رجل وامرأة عوناً على الحياء والعفة ، وأمر بالتعاون ، وشرع الزكاة والصدقة وحض عليها حتى لا يلجأ فرداً لمد يده أو يشهد زوراً أو يأكل حراماً.

قال عمر لأحد ولاته الجدد: ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟

فقال عمر :إن جاءني منهم جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك!
وقال :إن الله استخلفنا على عبادہ ، لنسد جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم حرفتهم ، فإذا أعطيناہم هذه النعمة تقاضيناہم شكرها.
يا هذا :إن الله خلق الأيدي لتعمل .فإذا لم تجد في الطاعة عملاً، التمسيت في المعصية أعمالاً...فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية .

وعندما سمع عمر ذات ليلة امرأة تنشد وتصرخ الأشواق لما غاب عنها زوجها ، سأل ابنته حفصة كم تستطيع المرأة أن تصبر على فراق زوجها ، ثم أصدر أوامره ألا يغيب جندي في الميدان عن أهله أكثر من المدة التي قالتها له ابنته، حتى يسد أبواب الفتنة .
فالإسلام يقدر مواطن الضعف في الإنسان ويعالجها حماية له من التعثر.

رابعاً: درأ الحدود بالشبهات:

فإذا وقعت الجريمة بعد ذلك وبعد وضع كافة الضمانات الوقائية فهو يدرأ الحد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وطالما أن هناك مخرج من ذلك فقد قال عليه السلام: «**أدرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم ، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة**». أبو داود وقال أيضاً عليه السلام: «**تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب**» أبو داود والنسائي والبيهقي .

خامساً: علاج الانحراف بوضع العقوبات الرادعة.

ثم يأتي العلاج الأخير بعد استنفاد كل محاولات الإصلاح ، ولا يشدد الإسلام في العقوبة إلا بعد تحقيق الضمانات الوقائية المانعة من حدوث الفعل ولا يوقع العقوبة إلا بعد ثبوت الفعل ولا شبهة فيه ، كما أن الإسلام لا يعاقب إلا المتبجحين بالجريمة ، أو الذين يريدون التطهر بإقامة الحد عليهم كما حدث مع معاذ وصاحبه الغامدية ، فالنبي عليه السلام لم يقم عليه الحد إلا بعد ما اعترف بذنبه فيشيخ عنه النبي عليه السلام وجهه ، فيرجع ثانية فيقول: طهرني يا رسول الله عليه السلام ، فيقول له النبي عليه السلام : «**ارجع فتب واستغفر**». فيذهب ويعود ويقول: يا رسول الله عليه السلام طهرني ويعيد عليه النبي عليه السلام نفس الحديث ويظل النبي عليه السلام يطرده حتى إذا وجده مصمماً فيقيم عليه الحد ، وهذا أيضاً ما حدث مع الغامدية.

فإقامة الحد ليست الغاية في حد ذاتها ، ولكنها وسيلة لردع الظلم والفحش حتى يقطع دابرهم من المجتمع المسلم ، فلا تسول لأحد نفسه أن يعتدي أو يظلم أو يفسد في المجتمع ، بل أيضاً المقام عليه الحد أيضاً يعطى الفرصة بعد ذلك للحياة بصورة كريمة في المجتمع

بعد هذا التطهر من الدنس ، وليس كما نرى الآن فبتطبيق القوانين التي وضعها الإنسان ، فإن المجرم يقضي عقوبته ثم يعود بعد ذلك أشد ضراوة.

بعد كل ذلك يشدد الله تعالى في كتابه العزيز على عدم التهاون في حدود الله وعلى ألا تأخذنا الرحمة بالتعامل مع المذنبين عند إقامة الحد فقال تعالى: {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم}. المائدة

وقال تعالى : {الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين}. النور ٢

على أن الإسلام لا يحايي أحداً ، فكل أمام قواعده سواسية ، لا فرق بين غني ولا فقير ، ولا شريف ولا ضعيف ، فعندما سرقت المخزومية نهضت قريش إلى أسامة بن زيد حب النبي ﷺ ليشفع لها عند النبي ﷺ فهي من أشرف قريش ، فما أن حدثه زيد حتى تغير وجهه وغضب غضباً شديداً وقال له : « أتشفع في حد من حدود الله » .

ثم قام فخطب فقال : « أيها الناس : إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله : لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . البخاري

سادسا : الخلق السامي مع العصاة.

إن الإسلام هو دين الأخلاق والأدب والتسامح حتى مع العصاة ، فلا يقبل إهانة ولا احتقار أو توجيه لفظ جارح له فهو يصون كرامة الإنسان حتى لو كان عاصياً ففي الأثر أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو

ممسك بتلابيب آخر وهو يقول : يا رسول الله ﷺ . إن هذا الرجل سرق مني كذا. فقال : « لا تقل سرق ، ولكن قل أخذ » .

وعن عمر بن الخطاب أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ ، وكان اسمه عبد الله ، وكان يلقب حماراً ، وكان يضحك النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب ، فأتي به يوماً فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم : اللهم العنه ، ما أكثر ما يؤتى به ! فقال النبي ﷺ : « لا تلعنوه ، فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله » . البخاري
وفي رواية أبي هريرة قال : أتى النبي ﷺ برجل قد شرب ، قال : « اضربوه » . قال أبو هريرة : فمنا الضارب بيده ، والضارب بنعله ، والضارب بثوبه . فلما انصرف قال بعض القوم : أخزأك الله . قال : « لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان » ، وفي لفظ آخر من حديث أبي هريرة : ... قال رجل : ماله أخزاه الله ! فقال النبي ﷺ : « لا تكونوا عون الشيطان على أخيك » . البخاري

سابعاً: قبول المجتمع للتائب وعدم ملاحقته بذنبه.

فالتائب قد قبله الله تعالى وغفر له فكيف يقبله الله ويرفضه

المجتمع

لقد قال تعالى : { قُلْ يَا مَعْزِلِي الَّذِينَ أَصْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا } الزمر ٥٣
والمجتمع المسلم مطالب بالتسامح مع التائب وعدم إلقاء اللوم والتثريب عليه ونسيان ماضيه طالما عاد إلى ربه.

فقد سمع النبي ﷺ خالد بن الوليد يسب المرأة الزانية فنهاه قائلاً : « مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها

صاحب مكس لغفر له . مسلم وأبو داود

وفي قصة ماعز بعدما رجم و صلوا عليه ودفنوه .. مرّ النبي ﷺ على موضعه مع بعض أصحابه .. فسمع النبي ﷺ رجلين يقول احدهم لصاحبه : أنظر إلى هذا الذي ستر الله عليه ولم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلاب .. فسكت النبي ﷺ ثم سار ساعة.. حتى مر بجيفة حمار .. قد أحرقته الشمس حتى انتفخ وارتفعت رجلاه .. فقال : «أين فلان وفلان» ؟ قال : نحن ذان .. يا رسول الله .. قال : «أنزلا .. فكلا من جيفة هذا الحمار » قال : يا نبي الله !!غفر الله لك .. من يأكل من هذا ؟ فقال: « ما نلتما من عرض أخيكما أنفأ .. أشد من أكل الميتة .. لقد تاب توبة لو قسمت على أمة لوسعتهم ؟،والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها».البخاري

والمرأة المخزومية بعدما قُطعت يدها رأتها امرأة أسيد بن حضير فوضعت لها طعاماً ، فذكر أسيد ذلك للنبي فقال :« رحمتها ..رحمها الله »

وعندما استشعرت المخزومية الندم على ذنبها ذهبت إلى النبي ﷺ وقالت : هل لي من توبة يا رسول الله ؟ قال : « أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك » .

وعاشت بين المجتمع بعد ذلك مكرمة وتزوجت برجل مسلم دون أن يجرحها أحد بكلمة أو يعايرها بماضيه.

بعض من الدرر والجواهر لاكتساب الأخلاق

وقد ذكرها الأستاذ عبد الله بن ضيف الله الرحيلي
في كتابه (الأخلاق الفاضلة، قواعد ومنطلقات لاكتسابها)

- عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به ، وأحب للناس ما تحب نفسك واکره لهم ما تكره لها .
- لا يسوغ لك أن تتخذ ظروفك عذراً لك في الإساءة للآخرين وإذا أساء إليك أحد فلا تتخذ ذلك سبباً في الإساءة إليه.
- لا تكتف بنقد الآخرين وتنس نفسك ، بل اشتغل بنقد نفسك أولاً لأنك مكلف بها أولاً ، ثم اشتغل بإصلاح الآخرين .
- لا تقبل من نفسك ما تدم به الآخرين.
- لا يكن همك بإصلاح أعمالك الظاهرة فقط ، بل اشتغل بإصلاح دوافع نفسك للأعمال الصالحة.
- إذا أردت الاجتهاد في تحصيل الأخلاق الحميدة، فعليك أن تعلم فضلها وفوائدها في الدنيا والآخرة؛ لتعرف أي شيء تطلب.
- تكاد نفسك أن تكون كالمرآة، يظهر فيها أخلاق من تصاحب وأفكار من تقرأ؛ فاختر الطيب من ذلك دائماً.
- لا يغرنك حسن أخلاقك في الرخاء، حتى تجرب نفسك في أوقات الشدة والغضب، فإن اطردها فاعلم غ أنه ليس لك كبير فضل في وقت الرخاء.
- بإمكانك التعرف على حقيقة أخلاقك بالنظر إليها في الحالات الآتية:
- إذا خلوت - وإذا غضبت - وإذا احتجت
- وإذا استغنيت - وإذا قدرت
- ينبغي أن تعلم أن أقل ما عليك أن تعامل الناس به ، العدل

والإنصاف من نفسك، وإذا احتاج الناس إلى قاضٍ يأخذ لهم الحق منك ؛ فأنت رجل سوء.

• ينبغي في سبيل تحصيل الأخلاق الصالحة أن تفكر أولاً في فضلها.

فإن لم يدفعك ذلك للتحلي بها ؛ فتذكر عاقبتها في الدنيا والآخرة.

فإن لم يدفعك ذلك للتحلي بها ؛ فتذكر شؤم تركها في الدنيا والآخرة .

فإن لم يدفعك ذلك للتحلي بها ؛ فتذكر أنه لا خير في ذميم الأخلاق لا في الدنيا ولا في الآخرة.

فإن لم ينفعك ذلك؛ فاعلم أنه لا طب فيك إلا بمراجعة فطرتك وإيمانك بالله والرجوع إليه.

• من أشد الأخطاء خطراً خطأ المخلصين إذا نسبوه للدين ، أو ارتكبوه على أنه من الدين ، لأن صاحب الخطأ في هذه الحال يؤيد خطأه -

جهلاً - بالدين أو بالكتاب والسنة. ولو أخطأ فقط ، ولم يدع أن فعله من الإسلام أو لم يحمله الآخرون على أنه كذلك ، لكان أخف بكثير.

• ينبغي أن تتعلم الأخلاق الفاضلة وذلك بدراستها نظرياً من مصدرها الصحيح، والتعود عليها بتطبيقها ومحاسبة النفس عليها ومصاحبة أهلها ، وتكرارها المستمر وملازمتها.

• كن مع الناس كالنحل ، الذي يقع على أحسن الزهور فيجتني منها ما يفيدته ، وما يخدم به الناس ، ولا تكن كالذباب الذي يقع على أقذر الأشياء وينشرها في الناس ويؤذي به الأحياء.

• أنت أعرف بنفسك ، فلا تغتر بمدح الناس إذا مدحوك.

• اجتهد ألا تكون طفلاً فقد رأيت أطفالاً في الخمسين من عمرهم .

• الرئاسة لا يتكامل بها إلا ناقص ، ولا تزيده إلا نقصاً.

• من جهل معرفة الفضائل، فليعتمد على ما أمره الله ورسوله .

الجزء الثاني

يجهل كثيراً من الناس فكرة أن الأخلاق في ترابط مع بعضها البعض كل لا يتجزأ عن الآخر ، فالارتقاء بالأخلاق هو فهم ذلك المعنى والعمل على تطبيقه ، وربط معاني الأخلاق بعضها البعض و كيفية بناء إنسان متزن أخلاقياً يعرف كيف يستطيع أن يوازن بين القيم الأخلاقية جميعها و يتعامل معها بحكمة وعلى قدر حاجة كل موقف ، هذا هو ما نتحدث عنه في هذا الكتاب ونرمي إليه ، فصدق دون حرق ، وتواضع في غير ذلة ، وعزة في غير كبر ، وحلم وعفو مع القدرة على القصاص ، ورحمة من غير ضعف ، وكرم من غير تبذير أو سفه .

فلا بد أن يظل الإنسان محافظاً على قيمه في خطٍ مستقيم ، ولكي لا يحيد الإنسان عن الاعتدال والتوازن فلا بد له أن يراقب نفسه دائماً ويتعهد بها بالتدريب والتهديب والتحكم في الذات حتى يصل بها لدرجة من الرقي والاتزان الأخلاقي الذي يضمن له السعادة الحقة في الدنيا والآخرة .

وفي هذا الجزء سنتحدث عن الأخلاق تفصيلاً بعد أن تحدثنا عنها إجمالاً في الجزء الأول.

فنتعرض لمفهوم الخلق وأهميته وتأثير فقدانه على الفرد والمجتمع وكيفية التدريب عليه ، وما هي الحالات الاستثنائية لمنظومة الأخلاق وشروطها .



الباب الرابع

- | | | |
|-----------|----------------|-------------------|
| * الأمانة | * الصدق | * الرحمة والتراحم |
| * الحلم | * الرفق | * العفو والصفح |
| * التواضع | * الحياء | * القوة والشجاعة |
| | * الجود والكرم | |

الأمانة

انتقل إمام إحدى المساجد إلى مدينة لندن- بريطانيا، و كان يركب الباص دائماً من منزله إلى البلد الذي يسكن فيه بعد انتقاله بأسابيع، وخلال تنقله بالباس، كان أحياناً كثيرة يستقل نفس الباص بنفس السائق.

وذات مرة دفع أجرة الباص و جلس، فاكتشف أن السائق أعاد له ٢٠ بنساً زيادة عن المفترض من الأجرة.

فكر الإمام وقال لنفسه أن عليه إرجاع المبلغ الزائد لأنه ليس من حقه. ثم فكر مرة أخرى وقال في نفسه: «إنس الأمر، فالمبلغ زهيد و ضئيل ، و لن يهتم به أحد...كما أن شركة الباصات تحصل على الكثير من المال من أجرة الباصات و لن ينقص عليهم شيء أبسبب هذا المبلغ، إذن سأحتفظ بالمال وأعتبره هدية من الله وأسكت.

توقف الباص عند المحطة التي يريد بها الإمام ، ولكنه قبل أن يخرج من الباب، توقف لحظة ومد يده وأعطى السائق العشرين بنساً وقال له: تفضل، أعطيتني أكثر مما أستحق من المال!!!

فأخذها السائق وابتسم وسأله: «ألست الإمام الجديد في هذه المنطقة؟ إني أفكر منذ مدة في الذهاب إلى مسجدكم للتعرف على الإسلام، ولقد أعطيتك المبلغ الزائد عمداً لأرى كيف سيكون تصرفك!!»

وعندما نزل الإمام من الباص، شعر بضعف في ساقه وكاد أن يقع أرضاً من رهبة الموقف!!! فتمسك بأقرب عامود ليستند عليه، و نظر إلى السماء و دعا باكيا:

يا الله ، كنت سأبيع الإسلام بعشرين بنساً!!!

الأمانة هي شعور المرء بالمسئولية أمام نفسه ، وأمام الله في كل أمر موكلٌ به ، وهي الضمير الحي الذي يراقب صاحبه ويحاسبه دوماً هوادة أو رحمة .

ولذلك فالأمانة هي مسؤوليةٌ كبيرة وضخمة ولا يستطيع حملها إلا ذو ضمير حي وقلبٍ واعٍ ، يعرف قدر الله وقدرته عليه ، ولذا فإن الاستهانة بها وتضييعها ضربٌ من الجهل والظلم للنفس، وهذا ما بينه الله في كتابه العزيز فقال تعالى : {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً} . الأحزاب

وفي اعتقادي أن خلق الأمانة له المكانة الأكبر والأعظم بين الأخلاق، وذلك لما تشير إليه الآية الكريمة السابقة إلى مدى ضخامة وثقل وخطر هذا الخلق بين الأخلاق حيث عرضت على أقوى المخلوقات في الأرض فأشفقوا من حملها ، أما الإنسان فوافق على حملها لجهله بقدرها وعظمتها .

وأيضاً هذا المعنى ما يؤكدّه حديث حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال : « إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن ، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة »

ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال ﷺ : « ينام الرجل النومه فتنبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكعة . هو الأثر المغاير كالنقطة على الصحيفة . ثم ينام الرجل النومه فتنبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر الممل _ كالبثور التي تظهر في اليد من استخدام الأدوات الخشنة _ ثم قال : فيصبح

الناس يتبايعون ، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، حتى يقال : إن
 في بني فلان رجلاً أميناً ، وحتى يقال للرجل : ما أجلده ، ما أظرفه
 ، ما أعقله . وما في قلبه مثقال حبة من إيمان « . مسلم

وهذه الأهمية والمكانة الكبيرة ترجع إلى أن الأمانة ليست
 هي فقط المعنى الضيق الذي يتبادر للأذهان وهو عدم التعدي
 على ممتلكات الغير أو حفظ الودائع، ولكنها تعبير يشمل معانٍ
 وأخلاقيات كثيرة تدرج تحت مفهوم الأمانةكيف؟

أولاً: دعونا نستعرض صورة حية لمجتمع ضيعت فيه الأمانة.
 صورة حية لمجتمع ضيعت فيه الأمانة :

حيث الغش والخيانة ظاهرة اجتماعية خطيرة ، ولم تعد
 تقتصر على حالات فردية فقط تلك التي يسيطر عليها هذا المرض
 الخبيث، بل تغلغل الغش في كل شرايين المجتمع سواء في المؤسسات
 التجارية ، أو في المدارس ومؤسسات التعليم ، أو في المصالح الحكومية ،
 حتى أنه تفشى في المجتمع كله بصورة رهيبة .

فهذا الأب الذي يهتم بشهواته ويترك زوجته وأولاده خائن
 للأمانة ، وتلك الأم التي تهتم بزینتها ولهوها تاركة زوجها وأبناءها
 من غير رعاية أو تترك تربيتهم للخادمة فهي خائنة للأمانة ، والابن
 أو الابنة اللذان ينغمسان في اللهو والعبث في غفلة من أهلهم غير
 عابئين بدراساتهم ولا بمستقبلهم ، والعامل الذي يستهتر بعمله ولا
 يتقنه ، والموظفة التي تضيع وقت العمل في الكلام وسرد الحكايات
 مع زميلتها ، والمقاول الذي يغش في أساس البناية فينهار المبني

ويقتل الأبرياء ، والمسؤول الذي لا يأبه بمسؤوليته، و انتشار المحسوبية والرشوةو.....و.....

هذان الخلقان اللذان تبرأ منهما النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم وأخرج صاحبهما من طائفة المؤمنين وبالرغم من ذلك فقد انتشرا في المجتمع كالنار تأكل في الهشيم.

قال ﷺ : « يطبع المؤمن على كل خلق ليس بالخيانة والكذب ». أحمد

وقد استعاذ النبي ﷺ من الخيانة فقال : « اللهم إني أحموذ بك من الجوع فإنه ينس الضيع ، وأحموذ بك من الخيانة فإنها ينس البطانة ». أبو داود

وقال المفسرون : أن هذه الآية مشتملة على كثير من أمهات الشرع ، والمخاطب بها عموم المكلفين سواءً الولاة أو الرعية .

أخلاقيات ومعانٍ تندرج تحت مفهوم الأمانة : الأمانة بمعناها المطلق :

وهي إعطاء كل ذي حق حقه ، وعدم أخذ حق الغير وهو له مكره ، سواءً بالسرقة ، أو الاعتداء على حق غير حقه .

عن أبي أمامه عن النبي ﷺ أنه قال : « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه . قسمه . فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة » فقال رجل : وإن كان شيء ، أيسيراً يا رسول الله ﷺ ؟ قال : « وإن كان قضييباً من أراك . حمود سواك - . » مسلم والنسائي .

وقال عز وجل : {ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون } . آل عمران

قال وهو يحكي لأصحابه : « اشترى رجل من رجل عقاراً

له ، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب ، فقال له الذي اشترى العقار : خذ ذهبك مني ، إنما اشتريت منك الأرض ، ولم ابتع منك الذهب ، فقال الذي شري الأرض (أي : الذي باعها) : إنما بعتك الأرض وما فيها ، قال : فتحاكما إلى رجل ، فقال الذي تحاكما إليه : ألكما ولد ؟ فقال أحدهما : لي غلام ، وقال الآخر : لي جارية ، قال : أنكحوا الغلام بالجارية ، وأنفقوا على أنفسكما منه ، وتصدقا .»

حفظ الودائعأمانة :

والودائع هي كل ما يستأمننا عليه الناس فنزدها إليهم حينما يطلبونها، ولقد كان المشركين قبل بعثة النبي ﷺ وبعد بعثته أيضاً يحفظون أماناتهم وودائعهم عنده بالرغم من إيذائهم له، وتكذيبهم لدعوته، وقبل هجرته استخلف علي بن أبي طالب في رد الأمانات والودائع لأصحابها، فهذه أخلاق النبوة، وأخلاق الإسلام. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « من أخذ أموال الناس يريد إتلافها ، أتلفه الله ..» البخاري

عن عبد الله بن مسعود قال النبي ﷺ : القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة ، قال : يؤتى بالعبد يوم القيامة . وإن قتل في سبيل الله . فيقال أد أمانتك ! فيقول أي ربي ، وكيف وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال : انطلقوا به إلى الهاوية ، وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت له ، فيراها فيعرفها ، فيهمي في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه ، حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه ، فهو يهمي في أثرها إلى أبد الآبدين ، ...ثم قال : الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأشياء عدها ، وأشد ذلك الودائع .

قال راوي الحديث : فأتيت البراء بن عازب ، فقلت : ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود؟ قال : كذا ! قال : - البراء - صدق ، أما سمعت الله يقول : { **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** } . النساء

وقد يأخذ أحداً حقاً ليس له عن طريق حكم قضائي مثلاً فيقول فيه النبي ﷺ : « **إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحِجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَىٰ نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْكُمْ ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً ، فَلَا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » متفق عليه .

البيع والشراءأمانة :

مر النبي ﷺ على صبرة طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللاً ، فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام ؟ » قال : أصابته السماء يا رسول الله ﷺ ، قال : « أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا ليس منا » . مسلم

فليس من الأمانة أن يبيع البائع بضاعة فيها عيب ولا يبين للمشتري هذا العيب.

قال النبي ﷺ : « **الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ إِذَا مِنْ أَخِيهِ بَيْعاً فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا بَيَّنَّهُ** » . أحمد وابن ماجه

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزَكِيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** » ، قال :

خابوا وخسروا»، فقرأها النبي ﷺ ثلاث مرات ، فقلت : من هم يا رسول الله ﷺ ؟ قال : «المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحنف والكاذب». مسلم والترمذي وأبو داود

قال تعالى:

(ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)هود:٨٥
 { ويل للمطففين . الذين إذا اختلفوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون } [المطففين:١-٣].

المسئولية والسلطة.....أمانة:

لا أحد خالي من المسئولية التي هي أمانة و سنسأل عنها يوم القيامة ، ولكن الفرق أن الحساب سيكون بحجم المسئولية ، ولذلك فإن تخلينا عن المسئولية أو التقصير فيها فهذا نوع من خيانة الأمانة ، وهذا ما يحدث لنا نحن المسلمين الآن ، فكل فرد يتخلى عن مسئوليته ويتبرأ منها حتى أضحينا في ذيل الأمم .

قال النبي ﷺ : « كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته ؛ فالإمام راعٍ ومسئولٌ عن رعيته ، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئولٌ عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعيةٌ وهي مسئولةٌ عن رعيته ، والخادم في بيت سيده راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته».

البخاري

وإن كان السؤال على حجم المسئولية فما بالك في حاكم يتعلق في رقبته الملايين ، وتجرجر في ذيله المظالم ، وينتظره يوم القيامة الجوعى والمشردين ليأخذوا حقهم منه ، فدرك بالله كيف ينام ؟

قال النبي ﷺ : « ما من عبدٍ يسترعيه الله رعية يموت وهو خاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة ». متفقٌ عليه
وقال ﷺ : « أيما راح خَش رعيته فهو في النار ». الألباني
« ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة، وزاد كُنْصه وجهده لنفسه ». مسلم والطبراني

وقال ﷺ : « ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله مغلولاً إلى عنقه، فكه بره، أو أوبقه إثمه، أولها ملامة، وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة ». أحمد
وعن عائشة قالت: قال النبي ﷺ عن الإمارة : « إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها ». البيهقي

ولعل الفاروق عمر ابن الخطاب خير من وعى الدرس وطبقه أشد ما يكون التطبيق، فقد كان يقول : لو أن دابة عثرت في الشام، وكان يقول : إن مت بالليل أضعت حق ربي ، وإن مت بالنهار أضعت حق ريعتي .

وعندما آتاه رجل فوجده نائماً تحت شجرة بدون حراس فقال له المقولة الشهيرة : حكمت فعدلت فأمنت فنمت .

إسناد الأمر إلى أهله...أمانة:

وهي مسئولية أولي الأمر والولاية وكل من أمّره الله على أناس، وهي أمانة في أعناقهم أن يولي كل ولي أمر الأصلح لكل مكان ولكل أمر.

فعن يزيد بن أبي سفيان : قال أبو بكر الصديق حين بعثني على

الشام : يا يزيد ، إن لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالإمارة ، وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال النبي ﷺ : « من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباةً فعليه لعنة الله لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم ». الحاكم

إن إسناد الأمر إلى غير أهله لهو فسادٌ عظيم يؤدي إلى ضياع الحقوق ، وظلم الأكفاء ، والإفساد في الأرض ، وإهدار للطاقات ، وتتمثل صور هذا الفساد في مجتمعنا الآن في الرشاوى والمحاباة .

جاء رجل يسأل النبي ﷺ : متى تقوم الساعة ؟ فقال له : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة ! » فقال : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة ». البخاري

ولو أن كل منصب أو وظيفة أسندت لمن هو أجدر بها وكفو لها لرأينا من الخير والإبداع والإنتاج الكثير . ولعل في هذا الحديث الحل لمشاكلنا بوضع كل في مكانه والأقدر عليه فينتفي الإحساس بالظلم ، وترتقي الأمة على يد أبناءها .

فعن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله ﷺ ألا تستعملني ؟ فضرب بيده على منكبي ، ثم قال : « يا أبا ذر ، إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها ». مسلم

العبادة.....أمانة:

إن الصلاة أمانة ، والصيام أمانة ، وكافة العبادات أمانة فيجب إتقانها وإتمامها على أكمل وجه ، حتى تؤتي ثمارها المرجوة من تشريعها فعن الحسن أن النبي ﷺ قال : « ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : الذي يسرق من صلاته ! قالوا : وكيف يسرق من صلاته ، قال : لا يتم ركوعها ولا

سجودها «. الطبراني والحاكم

العلم...أمانة :

فمن رزقه الله علماً فقد من عليه منة كبيرة ووجب عليه حفظها واتقاء الله فيها ، فالعلماء ورثة الأنبياء ، ومسئولين عما يسأل عنه الأنبياء ، وحفظ أمانة العلم بأن يكون :

- أميناً في نقله

- لا يكتسب منه شيئاً - يكون رأيه وفكره خاضعاً للحق فلا يتبع هواه مثل أن يلوي معاني القرآن ليؤيد وجهة نظره ، ولا ينتقي من الأحاديث ما يتفق ورأيه

- أن يحفظ وقار العلم والعلماء بأن لا يكذب أو يشتم أو يحسد أو يحقد

- يزين العلم بالحلم والرفق ، ويتقبل رأي غيره بصدق رغب فالقرآن حملاً وجوه .

- يحافظ على المطالعة والمراجعة الدائمة ، حتى يتحرى دائماً الرأي الصواب ، ولا ينقل علماً خطأً فيمشي وراءه الناس فيضلوا ويتحمل وزرهم.

- أن لا يطلب بالعلم الشهرة أو المال بل تكون نيته لله تعالى .

حفظ الأسرار...أمانة :

قال النبي ﷺ : « إِذَا حَدَّثَ رَجُلٌ رَجُلًا بِحَدِيثٍ ثُمَّ انْتَفَتَ

، فهو أمانة » .أبو داود

فالمجالس لها حقوق حفظ الأسرار ، وحفظ الحرمات ، فمن الخطر وعدم حفظ الأمانة نقل الكلام والأسرار لأن ذلك يؤلب القلوب ،

ويوغر الصدور ويهدم البيوت .

قال النبي ﷺ : «المجلس بالأمانة ، إلا ثلاثة مجالس ، مجلس سفك دمٍ حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق .» أبو داود
ومن الأمانة أيضاً حفظ أسرار المهنة كالأطباء والمحامين والمستشارين وغيرهم....

ومن الأمانة في حفظ الأسرار أيضاً حفظ أسرار العلاقة الزوجية بين الرجل وامراته ، فلا يطلع أحد عليها مهما كانت قرابته.
فعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند النبي ﷺ ، والرجال والنساء قعود عنده ، فقال ﷺ : « لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله ، ولعل امرأة تخبر ما فعلت مع زوجها ؟ » فأزّم القوم . سكتوا وجلين . فقلت : أي والله يا رسول الله ﷺ إنهم ليفعلون ، وإنهن ليفعلن ! قال : « فلا تفعلوا ، فإنما كثر ذلك شيطانٌ لقي شيطانه فغشيها والناس ينظرون » . أحمد

الأمانة مع النفس :

يقول الله تعالى : { إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً } الإسراء ٣٦

فالصحة والجوارح وكل ما أنعم الله به عليك فأنت مسئول عنه يوم القيامة ... فعن أبي برزة قال : قال النبي ﷺ : « لا تزول قدم ابن آدم حتى يسأل عن : عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن علمه فيما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفق » . الترمذي

الأمانة مع الله :

وتتمثل في الإيمان والحلف بالله فقد قال الله تعالى :

{ **وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا** }

النحل

وتتمثل أيضاً الأمانة مع الله في أداء الشهادات وعدم كتمانها،

أو تحريفها وقد قال الله تعالى:

{ **وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا**

تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }. البقرة

والأمانة أيضاً هي أن تحفظ الله في قلبك، وتستشعر مراقبته في كل لحظة من حياتك، وفي كل تعامل لك مع نفسك أو مع الله.

والأمانة مشتقة من الإيمان فمن حفظ أمانة الله حفظ الله إيمانه، والأمانة هي خضوعٌ واسعٌ من المعاني التي تشمل كل جوانب الحياة لا تترك شيئاً منها، ولذلك قال النبي ﷺ : « **لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ**

، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ». أحمد والبخاري وابن حبان

فالعلم أمانة ، والحكم أمانة ، والعبادة أمانة والتجارة أمانة ...

حتى حواسنا التي خلقها لنا الله وسخرها لنا أمانة ، فلنحفظها في طاعة الله ، ولنتق الله ولنحفظ الأمانة.

قال الله عز وجل : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ**

وَالنَّبِيَّ ﷺ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . واعلموا أنما

أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }. الأنفال

وقال النبي ﷺ : « **إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

، يَرْفَعُ لِكُلِّ نَاحِدٍ لَوَاءً يَعْرِفُهُ بِهِ ! فيقال : **هَذِهِ نَحْدَرَةُ فَلَانٍ** ».

البخاري

الأمانة في العمل :

فالاستهتار بالعمل، والتملص منه، وتعطيل مصالح الناس من مظاهر خيانة الأمانة، واستعمال المال المكلفين بالحفاظ عليه بدون وجه حق خيانة للأمانة، كالموظف الذي يستغل وظيفته أو منصبه لجر منفعة شخصية، أو استخدام المال العام لأغراض شخصية. قال النبي ﷺ : « من استعملناه على عملٍ فزرقناه رزقاً ، فما أخذ بعد ذلك فهو خُلُول » . أبو داود

ويشير النبي ﷺ العاملين بأيديهم الأمانة، الذين لا يطلبون أكثر من حقهم فيقول : « من بات كالأمن طلبه الحلال ، بات مغفوراً له » . البيهقي

وقال النبي ﷺ : « العامل إذا استعمل فأخذ الحق ، وأعطى الحق ، لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته » .

الطبراني

وعن عدي بن عُميرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « من استعملناه منكم على عمل فكنمنا مخبطاً فما فوق كان خلولاً يأتي به يوم القيامة ، فقام إليه رجل أسود من الأنصار . كأنني أنظر إليه . فقال يا رسول الله ﷺ أقبل عني عملك ! قال : وما لك؟ قال : سمعتك تقول كذا وكذا . قال وأنا أقوله الآن : من استعملناه منكم على عمل فليجيء بقليله وكثيره . فما أوتى منه أخذ وما نهى عنه انتهى » . مسلم

وحدث أن استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له : ابن اللتبية ، على الصدقة ، فلما قدم بها قال : هذا لكم ، وهذا أهدي إلي !

قال راوي الحديث : فقام النبي ﷺ فحمد الله أثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد فإنني أستعمل الرجل منكم مما ولاني الله ، فيأتي

ويقول : هذا لكم وهذا هدية أهديتكم إلي . أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ؟؟ . والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقى الله يحمل يوم القيامة ! فلا أعرفن أحداً منكم لقى الله يحمل بغيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تبعر ، ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه يقول : اللهم هل بلغت .«مسلم

الصدق

في منتصف نهار الشتاء والشمس الدافئة تنساب إلى مكتب رجل الأعمال الكبير بالسن والرئيس التنفيذي للشركة التي يملكها اتخذ قرارا بأن يترك منصبه لأحد الموظفين بالشركة .. فاستدعى كل المسؤولين التنفيذيين الشباب إلى غرفة الاجتماع والقي بالتصريح القنبلة ..

لقد حان الوقت لي الآن بالتقاعد والراحة ،وقد قررت اختيار الرئيس التنفيذي القادم من بينكم ..

تسمر الجميع في ذهول!! واستمر قائلا:

ستخضعون لاختبار عملي وتعودون بنتيجته في نفس هذا اليوم بعد ستة أشهر وفي نفس هذه القاعة ..

والاختبار سيكون بتوزيع بذرة نبات على كل واحد ..

ويجب عليكم أن تزرعوها وتعتنوا بها عناية كاملة طوال الستة أشهر

ومن يأتيني بأفضل نبتة تفوق ما لدى الآخرين سيكون هو الشخص المستحق لهذا المنصب الهام..

كان من بين الحضور شاب يدعي جيم وشأنه شأن الآخرين استلم بذرته وعاد إلى منزله واخبر زوجته بالقصة ..

أسرعت الزوجة بتحضير الوعاء والتربة الملائمة والسماذ وتم زرع البذرة .. وكانا كل يوم لا ينفكان عن متابعة البذرة والاعتناء بها جيدا بعد مرور ثلاثة أسابيع بدأ الجميع في الحديث عن بذرته التي نمت وترعرعت ..

ما عدا جيم الذي لم تنمو بذرته رغم كل الجهود التي بذلها ..

مرت أربعة أسابيع ، ومرت خمسة أسابيع ولا شيء بالنسبة لجيم
 ومرت شهور ولا فائدة وأخيرا أظف الموعد
 قال جيم لزوجته بأنه لن يذهب للاجتماع بوعاء فارغ ..
 ولكنها قالت: علينا أن نكون صادقين بشأن ما حدث .. وكان يعلم في
 قراره نفسه بأنها على حق ..
 ولكنه كان يخشى من أكثر اللحظات الحرجة التي سيواجهها في حياته..
 وأخيرا اتخذ قراره بالذهاب بوعائه الفارغ رغم كل شيء ..
 وعند وصوله انبهر من أشكال وأحجام النباتات التي كانت على
 طاولة الاجتماع في القاعة ..كانت في غاية الجمال والروعة
 تسلل في هدوء ووضع وعائه الفارغ على الأرض وبقي واقفا منتظرا
 مجيء الرئيس مع جميع الحاضرين..
 كتم زملائه ضحكاتهم والبعض أبدى أسفه من الموقف المحرج
 لزميلهم .. وأخيرا أطل الرئيس ودخل الغرفة مبتسما
 وعين الزهور التي نمت وترعرعت وأخذت أشكال رائعة ولم تفارق
 البسمة شفثيه وفي الوقت الذي بدأ الرئيس في الكلام مشيدا بما رآه
 مهنئا الجميع على هذا النجاح الباهر الذي حققوه تواري جيم في
 آخر القاعة وراء زملائه المبتهجين الفرحين ..
 قال الرئيس يا لها من زهور ونباتات جميلة ورائعة اليوم سيتم
 تكريم أحدكم وسيصبح الرئيس التنفيذي القادم ..
 وفي هذه اللحظة لاحظ الرئيس جيم ووعائه الفارغ ..
 فأمر المدير المالي أن يستدعي جيم إلى المقدمة ..
 هنا شعر جيم بالرعب وقال في نفسه بالتأكيد سيتم طردي اليوم لاني
 الفاشل الوحيد في القاعة ..
 عند وصول جيم سأل الرئيس ماذا حدث للبذرة التي أعطيتك
 إياها..

قص له ما حدث بكل صراحة وكيف فشل رغم كل المحاولات الحثيثة ..

كان الجميع في هذه اللحظة قائما ينظر ما الذي سيحصل فطلب منهم الرئيس الجلوس ما عدا جيم ..

ووجه حديثه إليهم قائلا : رحبوا بالرئيس التنفيذي المقبل جيم .. جرت همسات وهمهمات واحتجاجات في القاعة كيف يمكن أن يكون هذا ..

وتابع الرئيس قائلا :قبل ستة أشهر كنا هنا معا وأعطيتمكم بذورا لزراعتها وإعادةتها إلى هنا اليوم ..

ولكن ما كنتم تجهلون أنه البذور التي أعطيتكم إياها كانت بذور فاسدة ولم تكن بالإمكان لها أن تنمو إطلاقا

جميعكم أتيتم بنباتات رائعة وجميلة جميعكم استبدل البذرة التي أعطيتها له ...أليس كذلك ؟

جيم كان الوحيد الصادق والأمين والذي أعاد نفس البذرة التي أعطيته إياها ..

وبناء عليه تم اختياره كرئيس تنفيذي لشركتي

الكذب آفة المجتمع

الكذب هو أن يخبر الإنسان عن شيء بخلاف الحقيقة، ويكون إما بتزييف الحقائق جزئياً أو كلياً، أو خلق روايات وأحداث جديدة، بنية وقصد الخداع لتحقيق هدف معين. وقد أصبح الكذب أمراً طبيعياً يمارسه الناس في مجتمعاتنا بصورة عادية بل في العالم أجمع دون أن يعترض عليه أحد بالرغم من تحريم كل الأديان السماوية له، وقد حذر عالم النفس الأمريكي «روبرت فيلدمان» من «أن الكذب بات صفة سائدة الى درجة أن البشر باتوا يخادعون ويخاتلون دون وعي منهم، وبات هذا الأمر طبيعياً، وقال : إننا نعيش في زمن بات فيه الكذب والخداع من الأمور التي يمكن التجاوز عنها بصورة أكبر بكثير من السابق، بحيث بات يعتقد الكثيرون أنه لا بأس في الكذب، طالما لا ينكشف الشخص المخادع».

وحسب علم النفس الاجتماعي فإن الكذب هو سلوك يتعلمه الناس وتحدده البيئة الاجتماعية التي ينمو فيها الفرد، وكلما كانت هذه تتسم بالقسوة والشدة والاضطهاد والاستغلال والتمييز الطبقي وتسود البيئة الاجتماعية أنواع القهر السلطوي «السلطة الأبوية او العائلية أو السياسية وعمت الديكتاتورية، كلما ازدهر الكذب وتنوعت أساليبه وارتقت فنونه ومنحه البعض صفة ايجابية كما مثل الشعبي «يلعب بالبيضة والحجر» كتعبير عن ذكاء الكذاب وفطنته وقدراته.

صور الكذب في المجتمع :

الكذب الصريح:

وهو تبديل الحقائق صراحة ، والذي قد أصبح يمارس بصورة طبيعية بدون اكتراث أو إحساس بالذنب ، ومع استبدال المسميات والمبررات يصبح الكذب تقضية مصالح ، أو مجاملات ، أو تجميل المظهر الاجتماعي .

قال النبي ﷺ: «كبريتة خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك صدق، وأنت له كاذب». البخاري

الشائعات:

وهو الكلام المغلوط التي يذاع على الملأ زوراً فيتناقله الناس ، وقد يقال في حق شخص ما للنيل منه وتشويه سمعته ، أو قد يكون بهدف إحداث بلبلة لتحقيق غرض ما ، وإشاعة الكذبة في هذه الحالة تكون أكثر ضرراً ، وأعظم ذنباً لأن الناس يتناقلونها على أنها حقيقة دون التثبت من صحتها فتكون دائرة تأثيرها تكون أوسع.

وقد أضحى هذا النوع من الكذب آفة خطيرة وملحوظة في مجتمعاتنا اليوم حيث تدهش من كثرة الصور التي ينطبق عليها هذا النوع من الكذب ، إذ ما أكثر البرامج التلفزيونية التي تذيع الأخبار المغلوطة ، والصحف والمجلات القائمة على نشر الكذب والافتراءات والشائعات بغرض الإثارة ، و وسائل الإعلام بكل صورها تستغل أسوأ استغلال على مثل هذه الشاكلة، وهي لا تدري أنها بذلك تؤجج الفتن، وتشير الأحقاد ، وتخلخل المجتمع.

وقد جاء في الحديث الطويل الذي يحدث به النبي ﷺ عن رؤياه فيقول: « رأيت الليلة رجلين أتياي... فأتينا على رجل مستلقٍ لقفاه وإذا آخر قائمٌ عليه بكلوبٍ من حديد، وإذا هو يأتي إحدى شقي وجهه ويشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل في الجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى، قال: سبحان الله! ما هذان؟ فقالا لي: انطلق.. انطلق، فانطلقنا قالاً لي: الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يقول الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به هكذا يوم القيامة». البخاري

ولخطر الشائعة وتأثيرها المدمر على الفرد والمجتمع فقد استنكر الإسلام من يتناقلها ويردها، وعده من الكذب.

فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». مسلم

شهادة الزور :

فقول الزور هو أخطر أنواع الكذب إذ يؤدي إلى غمط الحق، وإظهار الباطل، ونصرة الظلم، ولذا فقد اعتبره النبي ﷺ من أكبر الكبائر، ولكن ما أسهل قول الزور وشهادة الزور الآن التي تعج بها المحاكم، والتي يُفترى بها على الناس، ولقد هانت تلك الكبيرة وأصبحت تسلية المجالس هي اتهام الناس بالباطل دون وجه حق. ولا يدري الناس أنها من أعظم الذنوب عند الله.

عن أبي بكرة قال النبي ﷺ: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ . ثَلَاثًا . قَتَلْنَا : بِلَى : قَالَ : الْإِشْرَاقَ بِاللَّهِ ، وَحَقُّوقِ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَكَانَ مَتَكْنًا فَبِلَسِ ، وَقَالَ : أَلَا وَقَوْلِ

الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليتنه سكته» .
البخاري

الكذب في التجارة :

ولأن التجارة مكان خصب للكذب ،نتيجة للطمع والجشع اللذان يتملكا بعض الناس في هذا المكان، فالتاجر يريد الغلو ، والشاري يريد البخس ، فيسيطر اللغو والمرء والكذب على هذه المعاملات .

ولأن هذه ليست من أخلاق الإسلام فقد قال النبي ﷺ :
« البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدق البيعان وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا وكتما فعتى أن يربحا ربحاً ما ويمحق بركة بيعهما ..»

وفي رواية « محقة بركة بيعهما ..اليمين الفاجرة منقذة للسلعة ، محقة للكسب » . أحمد

وقال أيضاً : « لا يحل لامرئ مسلم ، يبيع سلعة يعلم بها داء إلا أخبر به » . البخاري

سوء الظن بالناس :

إن سوء الظن يدفع الإنسان لاتهام الناس بالباطل ، وبناء الحقائق على مجرد الشك وسوء الظن ، وقد يترتب على ذلك نتائج غير محمودة وظلم بين ، وأغلب الفوضى والهرج والمرج الذي يعم المجتمع إنما هو بسبب سوء الظن ، والتخوين لبعضنا البعض ، وتفسير الأمور بدافع من الأهواء التي يحملها الحقد والحسد ،

والضعيفة ، ولذا كانت الآيات والأحاديث التي تبغض ذلك ، وعدّها الإسلام أكذب الحديث .

فعن أبي هريرة قال النبي ﷺ: «إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث». ١. لبخاري

وقال تعالى : {إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى } .النجم ٢٣

ومن المزاح ما يخرج من الإيمان :

نبذ الإسلام الكذب بكل صوره ،وكرهه في كل أحواله حتى في المزاح، فالكذب بكل صوره مرفوض في الإسلام لأنه يولد الكراهية والبغضاء والعداوة بين الناس، وهنا أحببت أن أثير نقطة هامة فلقد دأب بعض الناس على حب الفكاهة والضحك والسخرية التي فيها نوع من الدعابة ، حتى أنه يسخر من نفسه أحياناً ، وإن كان ذلك شيء جميل يجعلنا نتخطى من المصاعب الكثير ، ونتحدى به قسوة الظروف ، إلا أنه يجب الحذر كل الحذر من تداخل الجد مع الهزل ، ومخالطة الصدق بالكذب ، حيث أن بعض من يتخذ المزاح عادة وسجية يجانبه الصدق في أحيان كثيرة .

ولنحذر من حديث النبي ﷺ : «ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ، ويل له » .الترمذي
وقال أيضاً ﷺ: «أنا زعيم ببيت في وسط الجنة ، لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً». البيهقي

فهلا نمزح ونضحك ولكن ونحن نتحرى الصدق في مزاحنا ولنا في النبي ﷺ أسوة حسنة حيث أنه كان يمازح الناس وهو يقول الصدق مثلما أقبلت عليه امرأة تسأل عن زوجها فقال لها : زوجك التي في عينيه بياض.

حتى الكذبية تكتب كذبية :

وانظر كيف عني الإسلام بأدق شيء قد يشوب القلب من الكذب والحرص على نقاء اللسان حتى مما نعتبره نحن أمراً عادياً .
فعن أسماء بنت يزيد قالت : يا رسول الله ﷺ ، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيهِ : لا أشتهيهِ . يعد ذلك كذباً ؟ قال : « إن الكذب يكتب كذباً حتى تكتب الكذبية كذبية » .مسلم
فلا يوجد شيء يسمى كذبة بيضاء وكذبة سوداء .

خطورة الكذب على الإيمان.

إن خطورة الكذب في أنه يهون على الإنسان فعل المعاصي دون رادع ، فهو يحثه على فعل ما يشاء دون خوف أو تردد، فيظل يهون عند صاحبه حتى يؤدي به إلى النار، أما الإنسان الصادق فيتردد ألف مرة قبل أن يفعل معصية أو يرتكب ذنباً ، لأنه يعلم أنه لو سئل سوف يفضح نفسه ولن يستطيع الكذب .

يقول ابن القيم: الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله.

ولذا كان الارتباط الوثيق بين الصدق والإيمان ، فالمؤمن إنسان صادق ولا يستطيع أن يكون غير ذلك .

وقد قال : « يطبع المؤمن على الخلال كلها، إلا الخيانة والكذب » .رواه أحمد

وسئل النبي ﷺ : « أيكون المؤمن جباناً ؟ قال: نعم ! قيل له : أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم ! قيل له : أيكون كذاباً ؟ قال: لا.. مالك

فالجبن والبخل نقيصتان وصفتان قبيحتان ولكنهما ليستا بخطورة الكذب على الإيمان ، فالكذب والإيمان لا يجتمعان في قلب واحد لأن أحدهما يطرد الآخر، فالكذب خداع ونفاق وظلام، والإيمان حقٌّ وصدق ونور، ولذا لا يلتقي الكذب والإيمان في طريقٍ أبداً.

فالصدق هو مطية الإيمان، والكذب هو مطية النفاق، فعن أبي هريرة قال النبي ﷺ : «آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب ، وإذا أوْثَنَ خان ، وإذا وعد أخلف». البخاري ومسلم

قال تعالى: (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) سورة غافر:

عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت: ما كان من خلق أبغض إلى النبي ﷺ من الكذب، ما اطلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة . رواه أحمد

لماذا يجب أن نكون صادقين؟ ٥ سبب يجيب على هذا السؤال

١- الصدق شجاعة

فالصادق إنسانٌ شجاع لا يخشى إلا الله ، إن أصاب قال حقاً ، وإن أخطأ اعترف بخطئه ، فلا يخشى كلمة حقٍ عند حاكمٍ جائر ، ولا يرضى من نفسه إلا الصدق مهما كانت النتائج .
قال عمر : عليك بالصدق وإن قتلك .
وقال المهلب بن أبي صفرة : السيف الصارم في يد الشجاع ليس بأعزله من الصدق .
وقال أرسطاطاليس : الموت مع الصدق خيرٌ من الحياة مع الكذب .

٢. الصدق نجاة

خطب الحجاج ذات مرة فأطال، فقام رجل فقال : الصلاة ، فإن الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذرک . فأمر بحبسه ، فأتاه قومه وزعموا أنه مجنون ، وسألوه أن يخلي سبيله ، فقال : إن أقر بالجنون خلتيه فليل له ، فقال : معاذ الله ، لا أزعم أن الله ابتلاني وقد عافاني ، فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه .
إن أغلب الكذب يكون سببه الخوف من العواقب، والهروب من النتائج المؤلمة، ولكن الحقيقة هي أن الصدق ينجي صاحبه كما يشرنا النبي ﷺ في حديثه قائلاً :
«تحروا الصدق وإن رأيتم الهلكة فيه ، فإن فيه النجاة» . ابن أبي

الدنيا

(وقد يندفع الإنسان إلى الكذب حين يعتذر عن خطأ وقع منه ، ويحاول التملص من عواقبه وهذا غباء وهوان ، وهو فرارٌ من الشر إلى مثله أو أشد ، والواجب أن يعترف الإنسان بغلطه ، فلعل صدقه في ذكر الواقع وألمه لما بدر منه يمسحان هفوته ، ويغفران زلته) .

الشيخ محمد الغزالي في كتابه خلق المسلم

وقد كان صدق كعب بن مالك عند تخلفه عن غزوة تبوك هو واثنان من الصحابة سبباً في توبة الله عليهم .

٣.الصدق مرضاةٌ لله وفوز بالجنة ونيل الدرجات العلا

وما أعظم أن يرضى الرب ، ويقول يوم القيامة : اليوم أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعد ذلك أبداً ، فالصادق لا يرضى بديلاً عن ذلك ، ولا تغره المكاسب الدنيوية الزائفة .

{قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} .المائدة ١١٩ ...

وعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال : « اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة ... اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا اتتمتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم » .الترمذي

ولقد جعل الله درجة الصديقين هي الدرجة التالية لدرجة النبوة، وسبقت الشهداء فما أعظمها من درجة .

{ومن يطع الله والنبى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً} .

٤. الصدق احترامٌ للنفس

الإنسان العاقل نفسه عزيزة عليه فلا يرضى أن يهينها أبداً بالكذب الذي يحط من كرامتها، وينتقص من عزتها. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت النبي ﷺ، بم يعرف المؤمن؟ قال: « **بوقاره، ولين كلامه، وصدق حديثه** ». وقد قال الجاحظ: لم يكذب المرء قط إلا لصغر قدر نفسه عنده.

٥. نيل احترام الناس وثقتهم

فالصادق إنسانٌ يحترمه الناس ويقدرونه، ويثقون به. وقيل: لكل شيء حلية، وحلية النطق الصدق .

٦. تجنباً للفضيحة

فالكذب مفضوحٌ مفضوحٌ لا محاله، فإله يظهر الحق دائماً ولو بعد حين، فما بالك بمن يكذب في أمرٍ ويفتضح أمره بعد ذلك فكيف يكون في نظر الناس، ولقد رأيت ذلك كثيراً، فإله دائماً يكشف الكذبة والكذاب، فماذا تساوي عندك كلمة كذاب؟

٧. تجنب الظلم

إن الكذب يؤدي إلى الظلم وغمط الحق، وشهادة الزور التي هي أعظم الظلم وأكبر الكبائر .

٨. الصدق حماية للقلب

إن الصدق حماية للقلب والروح مما يعكر عليها صفائها ونقاؤها، وحماية للإيمان من أي نقص، فالكاذب دائماً مضطرب يخشى أن ينكشف أمره في أي وقت، فالكذب يكدر عليه كل وقته.

وروى مالك عن ابن مسعود: لا يزال العبد يكذب ، ويتحرى الكذب ، فينكت في قلبه نكتة سوداء ، حتى يسود قلبه ، فيكتب عند الله من الكذابين .

وقال تعالى : {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} . النحل ١٠٥

١٠. الصدق قائد لكل خير والكذب قائد لكل شر

كفى بالصدق أنه يهدي لكل خير ، فالصدق قائد الأخلاق الحسنة ، فلا تجد صادقاً يسرق أو يزني أو يفعل الفواحش ، أو يرتكب الحماقات ، أو يضع نفسه موضع شبهة بينما الكذب قائد لكل شر ، فالكاذب يمكن أن يفعل أي شيء ويتخفى تحت ستار الكذب ، ولا يبالي .

ويقول علماء النفس الاجتماعي أن الكذب يعتبر هو الأب الشرعي لكل «الموبقات» أو «الشُرور» فالغدر والخداع والتدليس والنفاق لا يمكن أن يمارسها إلا الكذاب.

وقد قال ﷺ: « **عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتبه عند الله صديقاً .. وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتبه عند الله كذاباً** » . البخاري

١١. حتى لا يصبح الكذب عادة

إلف الكذب يجعل الكذب عادة عند الإنسان ، فلا يستطيع أن يحدث إلا كذباً مناسبة وبدون مناسبة وبحاجة أو من دون حاجة

، فيكذب الكذب لذاته فلا يؤنبه ضميره ، ولا تضطرب له نفسه.

١٢. القدوة

إن الصادق سيجد من يسير خلفه ويتبع نهجه ويزيد الأجر في ميزان حسناته، والكاذب أيضاً سيجد من سيسلك مسلكه ، ويأخذ ذنب من انتهج نهجه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «من دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم

وأشوأ شيء أن يكون الأب والأم هم من يكذبون فيخرجون للمجتمع أجيال لا تعرف للصدق طريقاً
ولذلك حرص الإسلام على غرس الصدق في نفوس الأطفال فكان يعلم الآباء أن يكونوا قدوة لصغارهم.

فعن عبد الله بن عامر قال : دعنتني أُمِّي يوماً والنبي ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : تعال أعطك ، فقال لها : « ما أردت أن تعطيه ؟ » قالت : أردت أن أعطيه تمراً فقال لها : « أما إنك لو لم تعطه شي كتبت عليك كذبة » .أبو داود

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال لصبيّ : تعال ، هاك ثم لم يعطه فهي كذبة » . أحمد

١٣. الكذب يعرف في الوجه

فالكاذب يفتقد إلى الثقة بنفسه لعلمه بكذبه ولذا فهو يرتبك إذا ووجه بكذبه ، وقد قال الحكماء: العينان أنم من اللسان .

ومن قول عبد الله بن سلام عندما رأى النبي ﷺ قال : فعرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب .

عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب قال حفظت عن النبي ﷺ : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة و الكذب ريبة** » الترمذي

ومن أمارات الكاذب أيضاً النسيان ، فتجده في كل مرة تسأله عن موقف يحكي لك القصة بشكل مختلف
وقد كان الشيخ الشعراوي رحمه الله يقول : إذا أردت أن تكون كذوباً فكن ذكورا.

١٤. الجزاء من جنس العمل

الكاذب لا يصدق حديثه وإن صدق ، فمن عرف عنه الكذب كُذِّب على الدوام ، فيجمع بذلك بين معرة الكذب ومضرة الكذب ، وقد قال الشاعر :

حسب الكذوب من البلية ... بعض ما يحكى عليه

فإذا سمعت بكذبة ... من غيره نسبت إليه

والقصة المشهورة لراعي الغنم والذئب هي نفسها قصة أي كذاب.

١٥. ارتقاء الأمم بالصدق

من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الدول المتقدمة هي أن الكذب يعد جريمة يحاسب عليها القانون ، ولذا فما أحوجنا بشدة لهذا الخلق صدق القول وصدق العمل ، وصدق النية.

خلق الصدق في الميزان الكذب المحمود ... والصدق المذموم

هل هناك كذب محمود ... وصدق مذموم ؟!! .. نعم ...
وفي هذا الموضع تطبيق لما قلنا في مبحث نسبية الأخلاق ، حيث
هنا نقلب المعادلة لكي تتزن الأمور، فهناك أمور تجعل من الكذب
فيها أمراً محموداً بل ومأجوراً أيضاً ، أما الصدق في حالها يكون درباً
من الحمق والخيال أحياناً ، ويضر بدلاً من أن ينفع . وهذه المعادلة
المقلوبة تكون في حالاتٍ معينة وهي إما للمراوغة وتضليل الأعداء في
الحرب ، أو لترضية القلوب والإصلاح بين الناس بكلام غير حقيقي ، أو
لاستدامة الود والحب بين الزوجين ، مثل أن يتغزل الزوج في زوجته
بصفات ليست فيها ، أو تمتدح الزوجة زوجها بما ليس فيه ، أو تقول
له أنها تحبه وهي لا تحبه فعلاً .

وفي ذلك رواية أم كلثوم بنت عقبة عن النبي ﷺ أنه قال
: « ليس الكذب الذي يصلح بين الناس ، ولم أسمع به يرخس في
شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث : الحرب ، والإصلاح بين الناس
، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها » . أحمد

يقول ابن الجوزي: إن ضابط إباحة الكذب أن كل مقصود محمود
لا يمكن التوصل إليه إلا به فهو مباح ، وإن كان المقصود واجباً فهو
واجب . مثل الكذب لإجارة مسلم أو نصره ضعيف ، أو حفاظاً على
حق يتييم .

وقال ابن القيم رحمه الله في (زاد المعاد): يجوز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه ، كما كذب الحجاج بن علاط على المشركين حتى أخذ ماله من مكة....
وقال : ونظير هذا الإمام والحاكم يوهم الخصم خلاف الحق ليتوصل بذلك إلى استعمال الحق

ويقاس عليه حلف اليمين لإنجاء معصوم من هلكة وتبرئة الصالحين من تهمة أو سوء قد يضر به أو بسمعة المنتسبين له، واستدل عليه بخبر سويد بن حنظلة أن وائل بن حجر أخذه عدوا له فحلف أنه أخوه ، ثم ذكروا ذلك للنبي فقال: « صدقت ، المسلم أخو المسلم ».

ومن الصدق المذموم بل والذي يوقع صاحبه في الإثم أيضاً الغيبة والنميمة.

قال الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين: (اعلم أن من الصدق ما يقوم مقام الكذب في القبح والمعرة ، ويزيد عليه في الأذى والمضرة ، وهي الغيبة والنميمة والسعاية)

• وفي الحلال مندوحة عن الحرام :

ما أكثر المواقف التي نتعرض فيها للإحراج ، كأن يدعونا شخص لزيارته ، أو يريد فلان زيارتنا في وقت غير مناسب ، أو نريد أن نذهب إلى مكان ما دون أن يعلم أحد ، وكثير من الناس تحب أن تحتفظ بأسرارها الشخصية بعيداً عن المتطفلين ، وقد يكون معرفة شخص ما لمعلومة تضرننا ،

فما هو الموقف إذًا ؟ وكيف نخرج من هذه المواقف المحرجة أو

المواقف الملحة دون أن نكذب؟

لم يترك الإسلام لنا شيئاً إلا يسر فيه حتى نستغني بالحلال عن الحرام، فقد رخص بما يسمى بالمعاريض (وهي التورية بالكلام)، أو ذكر شيء يوحي بغير ما النية .

وتباح المعاريض لقول النبي ﷺ : «إن في المعاريض مندوحةً عن الكذب». البخاري
وقال عمر بن الخطاب : أما في المعاريض ما يكفي المسلم الكذب.

(والمعاريض تصلح عند الحاجة إليها ، وأما من غير الحاجة فهي مكروهة لأنها تشبه الكذب).

الإمام أبي حامد الغزالي .

وحكي عن أبي بكر الصديق أنه كان يسير خلف النبي ﷺ حين هاجر معه ، فتلقيه العرب وهم يعرفون أبا بكر ولا يعرفون النبي ﷺ ، فقالوا : يا أبا بكر من هذا ؟ فقال : هاد يهديني السبيل ، فظنوا أنه يعني إرشاده في الطريق .
وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن في المعاريض ما يكفي أن يعف الرجل عن الكذب .

وقال ابن سيرين : الكلام أوسع من أن يصرح فيه بالكذب .

وكان النبي ﷺ إذا أراد غزوة ورى بغيرها .

وقال تعالى ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدقٍ وأخرجني مخرج صدقٍ واجل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾. الإسراء

الرحمة والتراحم

كان هناك قط لصاحب البيت يقدم له الطعام كل يوم ... ولكن هذا القط لم يكتفي بالطعام الذي يقدمه له صاحب البيت ... فأخذ يسرق من البيت الطعام ... فأخذ صاحب البيت يراقب القط فتبين له أنه كان يقدم الطعام الذي يسرقه لقط آخر أعمى .

الرحمة هي رقة في القلب ، وكمالٌ في الطبيعة تجعل الإنسان يرق لألام الآخرين ويسعى لتخفيفها وإزالتها ، والرحمة لا تنبع إلا من قلبٍ عامرٍ بالحب والعطف ، ولأن كل إناء ينضح بما فيه فإن القلب عندما يمتلئ بالرحمة والرأفة فإنه يفيض بهذه الرحمة على من حوله فيساعد المحتاج ويرحم الضعيف ، ويغفر لمن يسئ له .

والرحمة هي محيطٌ واسع لمعانٍ جميلة ، فالابتسامة رحمة ، والكلمة الطيبة رحمة ، والحلم رحمة ، والرفق رحمة ، والتواضع رحمة ، والعفو رحمة ، والتسامح رحمة .

ماذا فعل غياب الرحمة في المجتمع ؟

الأصل في مجتمع مشترك في العادات والتقاليد واللغة وغير ذلك من الأمور المشتركة أن يكون مجتمع متراحم فيما بينه ، فيرحم القوي فيه الضعيف ، ويعطف الغني فيه على الفقير والمساكين ، ويسود بين أفرادها الألفة والمودة ، ولكن للأسف إن ما يحدث في مجتمعنا هو العكس تماماً ، فإذا مشيت في الشارع رأيت التجهم والعبوس هو ما يعلو الوجوه ، وقد غفت الكلمة الطيبة ، ولم يعد عند الناس رصيد من حلم أو صبر لتحمل الآخر ، هذا إن لم يكن عندك من الاستثارة في الأصل القدر الكافي لتستثير وتستفز من أمامك لكي تثور وتنفس عن غضبك في شخصه ، أصبحت ترى مشاهد العراك

والاشتباك بالألفاظ والأيدي كثيرة، ويطل عليك من داخل البيوت الحزن والكآبة والمشاكل والأمراض، وانتشار ظاهرة الطلاق نتيجة لغياب الرحمة والرفق في البيوت بين الأزواج، وأصبح الآباء يصرخون على أولادهم طيلة اليوم ولم يعد للقبلة أو الحضان مكان في البيت، وتكرار الأبناء لمشاهد العنف التي يتعرضون لها من الآباء في البيت والمدرسين المتجهمين في المدرسة مع أخواتهم وزملائهم، وتقطعت صلة الأرحام، ولم يعد يظهر على السطح إلا آثار الدمار التي يخلفها الحقد والحسد والعداوات.

ومع اختلاف المستويات في المجتمع لم يعد لغني أن يشعر بالفقر، ولا مسؤول يشعر بالعاملين عنده، ولا حاكم يشعر برعيته وشعبه، وبسبب انعدام الرحمة في القلوب انتشر الظلم والجور والفساد في المجتمع دون تأنيب للضمير، أو وخزٍ في القلوب، فلقد كان من آثار غياب الرحمة أن أدى ذلك في النهاية لفساد الأخلاق.

قال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِهَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) الأنعام

وبغض النظر عن المستوى الذي وصلنا له مما تقدم بسبب غياب الرحمة في القلوب، فمجتمع بلا رحمة هو مجتمع غاب عنه الرفق والحلم والعفو والتسامح، والابتسامة والكلمة الطيبة. ومجتمع بلا رحمة هو مجتمع بلا مناعة، بل إنه يصبح مرتعاً لكافة الأمراض النفسية والبدنية، فغياب الرحمة يصيب المجتمع بالجفاف والجذب،

لأن الرحمة هي بمثابة البلمس الذي يداوي الجروح ويقلل الصدمات بل ويتفادها، فتخيل تروس ماكينة دون تشحيم أو تزييت فماذا يكون أثر الاحتكاك عليها؟..

بالطبع ستتصادم التروس مع بعضها البعض حتى تتكسر وتتحطم ، وهذا بالضبط ما يحدث مع البشر في مجتمع واحد ، فالرحمة بالنسبة لهم مثل زيت الماكينة التي يجعلها تدور بسلاسة وأمان وجودة عالية .

ولا يأتي شخصٌ ما ليبرر ما يحدث بتدني الحالة الاقتصادية ، فلا أراه إلا عذر أقبح من ذنب فهناك شعوب أكثر منا فقراً ، ولا تأكل في بعضها البعض مثلما نفعل نحن ، بل إن العكس هو الصحيح ، فعجلة الاقتصاد والإنتاج ستدور وستزدهر الحالة الاقتصادية في البلاد عندما يشيع جو الحب والتعاطف والتعاون والرحمة بين الناس .

بل إن العكس هو الذي يحدث فالقسوة تشيع أكثر في المجتمع ذي الرفاهية العالية ، ينغمس الناس في الشهوات والملذات وفي غمرة ذلك ينعدم الإحساس بالفقراء والمساكين ، وقد كان النبي ﷺ : (ما الفقير أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم الدنيا) ...

تعالوا نتعلم من ديننا الرحمة :

ولنرى ماهية الصورة التي يجب أن يكون عليها المجتمع المسلم قال النبي ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » مسلم.

وقال ﷺ «أوسع الناس رحمة أكلهم إيماناً».

وكيف أن رحمة الله لك مرتبطة برحمتك لخلقه .

قال : « **الراحمون يرحمهم الله تعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** ». الترمذي
س « **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** ». البخاري

وفي ذات مرة دخل رجل على النبي ﷺ فوجده يقبّل حفيده الحسن بن علي ، فتعجب الرجل، وقال: والله يا رسول الله إن لي عشرة من الأبناء ما قبّلتُ أحداً منهم أبداً، فقال له النبي ﷺ :
« **من لا يرحم لا يرحم** » متفق عليه.

وروى مسلم عن أم المؤمنين عائشة ، أنه جاءتها مسكينة تحمل ابنتين لها، فقالت: «يا أم المؤمنين، إني مسكينة، والله ما دخل بطوننا طعام منذ ثلاثة أيام»، فدخلت عائشة إلى البيت، ثم بحثت في بيت النبي ﷺ عن طعام تتصدق به، فلم تجد إلا ثلاث تمرات، فأعطت هذه الثلاث تمرات للمسكينة، فرحت بها تلك المسكينة، ثم أعطت كل واحدة من الصغيرتين ثمرة، ورفعت إلى فيها ثمرة لتأكلها، فكانت البنتان من فرط الجوع أسرع إلى تمرتيهما من الأم إلى تمرتها، فأكلتا تمرتيهما ثم رفعتا أيديهما تريدان التمرة التي في يد الأم، نظرت الأم إليهما ثم شقت التمرة الباقية بينهما.. قالت عائشة: «فأعجبني حنانها»، ثم ذكرت الذي صنعت للنبي ﷺ فقال: «**إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار**» مسلم

•الرحمة لجميع المخلوقات:

رأى عمر رجلاً يسحب شاةً برجلها ليذبحها، فقال : ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً .

يحكي لنا النبي ﷺ قصة رجل غفر الله له؛ لأنه سقى كلباً عطشان، فيقول : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فيها، فشربه، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي فنزل البئر فملأ خفه (حذاءه) بالماء، ثم أمسكه بفيه (بفمه)، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له».

فقال الصحابة: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً؟ قال: « في كل ذات كبد رطبة أجر (يقصد أن في سقي كل كائن حي ثواباً). البخاري

وأخبرنا النبي ﷺ أن امرأة دخلت النار من أجل قسوتها وغلظتها مع قطة، فيقول : « دخلت امرأة النار في هرة (قطة) ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ». متفق عليه

•وبالرحمة تعود الأمة :

عندما ترى البصير يأخذ بيد الأعمى ليساعده في عبور الطريق ، والصغير يقوم للكبير ، والرجل يقوم للمرأة في الحافلة فاعلم أنه قد عادت الرحمة ،وعندما ترى الغني يعطي الفقير و القوي يساعد الضعيف فاعلم أنه قد عادت الرحمة ،وعندما يصاب إنسان فيلتف حوله الناس ويحملونه إلى المستشفى وهناك تعلن حالة

الاستنفار فالكل يهرول لإنقاذه و ينتظره طاقم من الأطباء والتمريض يعلنون حالة الطوارئ لإسعافه ، فاعلم أنه قد عادت الرحمة ، وعندما يعود الحزن الدافئ والكلمات الحنونة للبيوت ، ويصبح الأب رفيق بأولاده ، والمعلم حليم بتلاميذه فاعلم أنه قد عادت الرحمة ، وعندما يستمع المدير لعماله ويحل مشاكلهم ويتعامل معهم كأنه واحد منهم فاعلم أنه قد عادت الرحمة ، وعندما ينزل الحاكم من برجه العالي إلى شعبه في الشارع ليسمع شكواهم ويحس بنبضهم ، ويحاسب من ظلمهم فاعلم أنه قد عادت الرحمة ، وعندما يحرص الأبناء على بر آبائهم وتقدير أيديهم ، ويحرص الأخ على استرضاء أخيه والتغاضي عن إساءته له ، وتحرص العائلة على التراحم والتزاور دائماً فاعلم أنه قد عادت الرحمة ، وعندما يحيي الناس بعضهم بعضاً بالابتسامة والكلمة الطيبة ، والدعاء بظهر الغيب ، وحب الخير للآخرين فاعلم أنه قد عادت الرحمة.

و حينما يتحقق ذلك فعندها سنكون قد بنينا أساساً قوياً لنهضة أمة ، وبناء مجتمع خالي من الأمراض يعمل وينتج في جو من الحب والود والتسامح والرحمة . فماذا قد عساه أن ينتج هذا المجتمع في رأيكم ؟

• كيف نزي الرحمة في قلوبنا ؟

• ذكر الله تعالى :

إن ذكر الله تعالى يلين القلب ويرققه، ألا وإن أفضل الذكر القرآن الكريم ، فقراءة القرآن بخشوع وتدبر تذيب القلب .
وقد قال الله تعالى : { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ

فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ {الحديد

• أعمال الرحمة تجلب الرحمة:

إن القيام بأعمال الرحمة والمداومة عليها تجلب الرحمة وترقق القلب وتذهب بقساوة النفس.

وقد قال عمر بن الخطاب للنبي وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر: أخبرني ما يبكيك يا رسول الله؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد تبكيت لبكائكما. مسلم، ولم ينكر عليه، وقد قال بعض السلف: ابكوا من خشية الله فإن لم تبكوا فتباكوا.

ولقد شكوا رجلاً إلى النبي ﷺ قسوة قلبه فقال: «**اسمع رأس اليتيم، وأطعم المسكين**». رواه أحمد عن أبي هريرة وهذه أعمال تستوجب رحمة في القلب للقيام بها، ولكن هنا الموقف يتأق بالعكس، أي اعمل أعمالاً تستوجب الرحمة تشعر بالرحمة، وهنا لمحة جميلة ألا وهي (تعامل بالرحمة تستشعر الرحمة، أو اشعر بالرحمة تتعامل بالرحمة). فما أعظم من علّمك يا رسول الله ﷺ، وبعد آلاف السنين يصبح مبدأ من مبادئ التنمية البشرية، إذ أنك عندما تريد أن تتعود سلوكاً أو خلقاً معيناً فتظاهر به وبآلياته حتى تكتسبه، مثلما تكون حزيناً، فتظاهر بأنك سعيد وابتسم واجعل جسدك مثلما في حال السعادة تشعر بالسعادة .
وقس على ذلك عيادة المرضى، والشعور بالفقراء والضعفاء ومخالطتهم .

• جدد قلبك دوما :

إن الحياة الرتيبة ، والروتين اليومي ربما يقسي القلب ، فاحيي قلبك دائماً بالتجديد والتغيير، ومارس الهوايات و القراءة ، وابتعد عن الضغوط والقلق ، فكل ذلك يجعلنا لا نفكر إلا بأنفسنا ومشاكلنا فقط ولا نفكر ولا نشعر بالآخرين.

• التسامح والعفو والصفح :

نظف قلبك دائماً أول بأول من أي ضغينة أو كراهية أو حسد ، أو حب انتقام حتى لا يمتلئ القلب بذلك ولا يصبح فيه مكان لرحمة أحد .

• استشعر رحمة الله بك :

كيف لا نخجل من الله الذي يغمرنا بفيض رحمته بينما نحن لا نرحم عباده ، فتأمل رحمة الله بك فيرزقك حتى وأنت تعصيه ، ويعطيك على الحسنه عشر أمثالها ويزيد ، وعلى السيئة مثلها ويمحو.

« إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة فإن عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها سيئة واحدة » . رواه الشيخان

ويدخلك الجنة برحمته لا بعدله ، و يعفو ويغفر ويقول
تعالى: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ الزمر ٥٣

وترفع يدك بالدعاء فيقول عز وجل : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي
فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (البقرة
ويغدق عليك بنعمه حتى وأنت عاصٍ له .

• اقتدي بالأنبياء والصالحين وتتبع سيرهم :

ولنا في النبي ﷺ خير قدوةٍ فلقد بلغ النبي ﷺ قمة الرحمة والعطف حتى أن الله تعالى قال عنه : {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا مَنَّتُمْ بِهِ مِنْ أَنْتُمْ عَلَيْهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} التوبة: ١٢٨

وقال أيضاً : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} الأنبياء:

فما من وصفٍ أبلغ في وصف النبي ﷺ كما وصفه الله ، ولو عددنا مناقب النبي ﷺ في رحمته ما انتهينا .

فقد كان يدخل في الصلاة وهو ينوي إطالتها، فإذا سمع طفلاً يبكي سرعان ما كان يخففها إشفافاً ورحمة على الطفل وأمه.

فقد قال ﷺ : « إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ ، فَأُرِيدُ إِطَالَتَهَا ، فَأَسْمَعُ بَكَاءَ الصَّبِيِّ ؛ فَأَتَجَوَّزُ لِمَا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ (حزن) أُمِّهِ مِنْ بَكَائِهِ». متفق عليه

وقد تجلت عظمة النبي ﷺ وقمة رحمته في غزوة أحد عندما كان المشركون يحاولون قتله ، وقد ألجأوه حتى وقع في حفرة ، وشج رأسه ، وكسرت رباعيته ، فقال له أصحابه : ادع عليهم ، فرفع يديه إلى السماء وقال: « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ».

وقد قيل أن الحكمة في أن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه قد اشتغلوا برعي الغنم؛ أن الله تعالى ابتلاهم على البهائم أولاً حتى

تظهر شفقتهم بخلقه وهو أعلم بهم، فإذا وجدهم مشفقين على البهائم اتخذ منهم أنبياء وجعلهم مسلطين على بني آدم في أمر دينهم.

فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ما من نبي إلا وقد رعى، قالوا يا رسول الله ﷺ: وأنت قد رعيت؟ قال: نعم، فأنا قد رعيت ».

وروى أن موسى عليه السلام قال: يا رب بأي شيء اتخذتني صفيًا؟ قال برحمتك على خلقي فإنك كنت ترعى الغنم لشعيب عليه السلام فندت شاة من غنمك فاتبعتها فأصابك الجهد في طلبها حتى أدركتها، فلما أخذتها ضممته إلى حجرك وقلت لها: يا مسكينة أتعبتيني وأتعبت نفسك، فبرحمتك على خلقي اصطفيتك وأكرمتك بالنبوة.

احذر مقسيات القلوب :

• كثرة الكلام في غير ذكر الله :

وقال مالك ابن أنس : بلغني أن عيسى عليه السلام قال : لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فتقسوا قلوبكم ، والقلب القاسي بعيد من الله تعالى ولكن لا تعلمون ، ولا تنظروا في عيوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا إليها كأنكم عبيد ، وإنما الناس مبتلى ومعافى ، فارحموا صاحب البلاء ، واحمدوا الله على العافية .

• الترف واللهو :

فالانغماس في الملذات والعيش المترف المنغمس في اللهو تطمس القلب، وتقسي الفؤاد، فلا تجعله يشعر بحاجة محتاج أو بألم محزون .

• كثرة الطعام والشراب :

إن كثرة الطعام تقسي القلب ، وتجعل المرء لا يشعر بالضعيف والفقير والجائع ، ولذلك فإن القلب يكون أثر رقة ورحمة في رمضان .

وقد قال عليه السلام : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن ، يحسب ابن آدم لقيماً يقمن عليه ، فإن كان لا محالة فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنفسه » . أحمد والترمذي
وعن عمرو بن قيس قال عليه السلام : إياكم والبطنة فإنها تقسي القلب
وعن قثم العابد قال عليه السلام : ما قل طعام امرئ قط إلا رق قلبه ونديت عيناه .

• التردد لعيوب الناس :

إن التردد لعيوب الناس من أمراض القلب الخطيرة التي تقسي القلوب، وتوسع المجال للغيبة والنميمة ، وتجعل في النفس شيئاً من التعالي لأنه يرى نفسه أفضل من الناس ، ومن يتربح أخطاء الناس لا يكون عنده استعداد لتسامح أو غفران ، فأني يكون له قلباً رحيماً؟

• الشدة مطلوبة حينذاك!

إن القسوة المستنكرة هي التي تنبع من الأنانية والأثرة وحب الذات والهوى ، و تحمل نزوة الاستمتاع بالإساءة والإيذاء ، والتي أيضاً يكون

دافعها الانتقام والثأر ، وهذه القسوة التي لا بد من معالجة القلوب منها، وإن كانت الرحمة هي الدليل على إنسانية الإنسان ، إلا أن الرحمة في مواطن أخرى عندما تكون في غير محلها تصبح تهاوناً و سبباً في الإفساد والضرر .

فمتى تكون الشدة والقسوة مطلوبة ؟

إن الرحمة في الإسلام عاطفة حكيمة ، ليست عاطفة لا عقل لها ، بل عاطفة ترعى الحقوق جميعاً وتحافظ على الصالح العام . ولننظر إلى هذا المفهوم من خلال زوايا ثلاث:

•ظاهرها قسوة وباطنها رحمة :

إن هناك أموراً وحالات لا يجوز فيها التهاون من منطلق الرحمة وإلا تحولت إلى نقمة ، ولذلك فاستخدام القسوة أحياناً يكون عين الرحمة عندما تخدم مصلحة من نحب . فعند تربية الأولاد مثلاً نضطر أحياناً للقسوة ، عندما يذهبون إلى المدرسة كرهاً ، أو عند المذاكرة قسراً ، أو لمنعهم من مخالطة أصحاب السوء ، ولو تركوا لأهوائهم لفسدوا .

أو عندما يجري الطبيب جراحة لمريض فإنه يستخدم المبضع ، وقد يضطر لبتتر قدم أو ساق حتى ينقذ حياة المريض . وكل ذلك ظاهره القسوة ولكن حقيقته رحمة .

•رحمة... وحسابٌ بلا رحمة :

فعند تطبيق العدل والقانون وإقامة الحدود ، لا يجوز التهاون في حد من حدود الله ، لأن في ذلك يكون الإضرار بالمجتمع وإضرار بالصالح العام .

فقد كان النبي ﷺ وهو أرحم الخلق جميعاً لا يسمح أبداً بالتعدي

على حدود الله ، وفي قصة المرأة المخزومية مثل على ذلك حيث غضب على أسامة بن زيد عندما تشفع لها وقال له بلهجة قوية : أتشفع في حد من حدود الله .

يقول الله تعالى : { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } .

فلو تركنا المجرمين دون عقاب لعاثوا في الأرض الفساد ، ولأفسدوا على الناس أمنهم ، ولو طبق شرع الله في العقاب أيضاً لكانت منتهى الرحمة بالمجتمع ككل ، ورحمة المجرم أيضاً لأنه لن يفكر ثانية في أذية أحد آخر بعد إقامة الحد عليه .

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . النور: ١٩

ولعل الفاروق عمر بن الخطاب بفطنته وبفهمه العميق لهذا الدين استطاع أن يلخص هذا المفهوم المتوازن في خطبته للناس عند توليه الخلافة فقال :

(اعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي على المسلمين، فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض، ولست أدع أحدا يظلم أحدا، أو يعتدي عليه، حتى أضع خده وأضع قدمي على الخد الآخر حتى يذعن للحق، وإني بعد شدي تلك، أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف)

• ردع الأعداء :

والرحمة في موضع آخر تنقلب في معناها إلى ذل ومهانة إذا استخدمناها مع أعداء يهددون الأمن ، أو تبريراً لقبول الظلم والاستكانة له .

وقد قال تعالى : {أَشْدَاءُ عَلَى الْكَافِرِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ} .الفتح ٢٩
فالتهاون مع الأعداء يجرّئهم على الإسلام والمسلمين .

وأخيراً لمن يستحق ..

إن الله تعالى رحمته عامة في الدنيا فتشمل البر والفاجر
والمسلم والكافر.

فعن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول :
« جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةً جِزْءٍ ، فَأَمْسَكَ مِنْهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جِزْءًا ،
وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جِزْءًا وَاحِدًا ، فَمِنْ ذَلِكَ الْجِزْءِ يَتَرَاهُمُ الْخَلْقُ ،
حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تَصِيبَهُ » . البخاري
ومسلم

بينما في الآخرة فسيختص الله برحمته التي وسعت كل شيء في الدنيا
عباده المؤمنين المتقين فقط .

فقال عز وجل (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ)

وإن كانت رحمة الله في الدنيا والمتمثلة في جزء من مئة جزء من
رحمات الله تعالى شملت كل شيء في الدنيا من بر وفاجر ومؤمن
وكافر وطير وحيوان و...، إلا أنه في الآخرة سيختص الله تعالى رحماته
كلها المتمثلة في المئة جزء للمؤمنين المتقين الذين يؤدون حق الله ،
فلك الخيار بين أن ترضى برحمة واحدة موزعة على الكل ، وبين أن
تكون من المخصوصين المميزين بمئة رحمة.

كن على حذر من الكريم إذا أهنته ومن اللئيم إذا أكرمته ومن العاقل إذا
أحرجته ومن الأحمق إذا رحمته.

منتهى القسوة... ومنتهى الرحمة

يحكي شاب قصته مع أمه يقول:

كان لأمي عين واحدة، وقد كرهتها لأنها كانت تسبب لي الإحراج. كانت تعمل طاهية في المدرسة التي أتعلم فيها لتعيل العائلة. ذات يوم، في المرحلة الابتدائية جاءت لتطمئن علي أحسست بالإحراج فعلاً كيف فعلت هذا بي؟! تجاهلتها، ورميتها بنظرة مليئة بالكره وقال أحد التلامذة أمك بعين واحدة أووه وحينها تمنيت أن أدفن نفسي وأن تختفي أمي من حياتي ..

في اليوم التالي واجهتها: لقد جعلت مني أضحوكة، لم لا تموتين؟ ولكنها لم تُجب!

لم أكن متردداً فيما قلت ولم أفكر بكلامي لأني كنت غاضباً جداً ولم أبالي لمشاعره وأردت مغادرة المكان فدرست بجد وحصلت على منحة للدراسة في سنغافورة وفعلاً ذهبت ودرست ثم تزوجت واشترت بيتاً وأنجبت أولاداً وكنت سعيداً ومرتاحاً في حياتي. وفي يوم من الأيام أتت أمي لزيارتي ولم تكن قد رأتني منذ سنوات ولم ترى أحفادها أبداً.. وقفت على الباب وأخذ أولادي يضحكون، فصرخت وقلت اخرجني حالاً أجابت بهدوء: (آسفة أخطأت العنوان على ما يبدو) واختفت....

و ذات يوم وصلتني رسالة من المدرسة تدعوني لجمع الشمل العائلي فكذبت على زوجتي وأخبرتها أنني سأذهب في رحلة عمل... وبعد الاجتماع ذهبت إلى البيت القديم الذي كنا نعيش فيه، للفضول فقط!

أخبرني الجيران أن أمي توفيت، لم أذرف ولو دمعاً واحداً !! قاموا
بتسليمي رسالة من أمي:

ابني الحبيب..

لطالما فكرت بك..

آسفة لمجيئي إلى سنغافورة وإضافة أولادك ولأنني سببت لك

الإحراج مرات ومرات في حياتك.

كنت سعيدة جداً عندما سمعتُ أنك سوف تأتي للاجتماع ولكنني قد

لا أستطيع مفارقة السرير لرؤيتك.

لقد تعرضت لحادث عندما كنت صغير وقد فقدت عينك وكأى

أم لم استطع أن أتركك تكبر بعين واحدة ولذا أعطيتك عيني ..

مع حبى

أمك.

الحلم

جنكيز خان والصقر ..

كان لدى جنكيز خان صقرا، يلزم ذراعه، يخرج به ويطلقه على فريسته، ليطعم منها ويعطيه ما يكفيه.. وقد كان صقر جنكيز خان مثالا للصديق الصادق، حتى وإن كان صامتا.
ذات يوم خرج جنكيز خان يوما في الخلاء لوحده، ولم يكن معه إلا صديقه الصقر..

وانقطع بهم المسير وعطشوا.. فأراد جنكيز أن يشرب الماء، ووجد ينبوعاً في أسفل جبل، فملاً كوبه.. وحينما أراد شرب الماء، جاء الصقر وانقض على الكوب ليسكبه..!

حاول مرة أخرى، ولكن الصقر مع اقتراب الكوب من فم جنكيز خان، كان يقترب ويضرب الكوب بجناحه، فيطير الكوب، وينسكب الماء.. وتكررت الحالة للمرة الثالثة.. فاستشاط غضباً منه،

وأخرج سيفه، وحينما اقترب الصقر ليسكب الماء، ضربه ضربة واحدة، فقطع رأسه ووقع الصقر صريعاً..

أحس جنكيز خان بالألم، لحظة وقوع السيف على رأس صاحبه، وتقطع قلبه لما رأى الصقر يسيل دمه..!

وقف للحظة، وصعد فوق الينبوع، فرأى بركة كبيرة يخرج من بين ثنايا صخرها منبع الينبوع، وفيها حية كبيرة ميتة وقد ملأت البركة بالسم..!

أدرك جنكيز خان أن صاحبه كان يريد منفعتة، لكنه لم يدرك ذلك إلا

بعد أن سبق السيف العذل،
 فأخذ صاحبه ولفه في خرقة.. وعاد جنكيز خان لحرسه وسلطته، وفي
 يده صاحب بعد أن فارق الدنيا!..
 وأمر حرسه بصنع صقر من ذهب، تمثالاً لصديقه، وينقش على
 جناحيه : على أحدهما :
 (صديقك يبقى صديقك، ولو فعل ما لا يعجبك).
 وعلى الجناح الآخر :
 (كل فعل سببه الغضب، عاقبته الإخفاق).

كم من زوج طلق امرأته بسبب الشجار على مصروف البيت ، وكم من خصم اعتدى على خصمه بسبب خلاف في وجهات النظر حتى أنهى حياته ، وكم من سائق أراد النيل ممن ضايقه فارتكب حادثاً مرورياً ، وكم من أب أو أم أنشئوا أولاداً معقدين ومضطربين نفسياً بسبب الثورة والغضب في التعامل مع أخطائهم ، وكم من معلم خلف من ورائه طلاباً فاشلين ومحبطين بسبب الإهانة أو الضرب في لحظات غضب ، وكم من حكاية نسمعها لا يصدقها العقل بسبب ثورة غضب؟! حتى إذا طالعت صفحات الحوادث، أو تابعت نشرات الأخبار لوجدتها تعج بحوادث وفوضى سببها الغضب...فما الحل إذأ لكل هذه الطاقات السلبية والغضبية التي تعيث في الأرض فساداً ؟

...الحل هو.....

● لا تغضب..

أتى رجلاً للنبي ﷺ وقال له : أوصني .قال : « لا تغضب » ، فردد مراراً قال : « لا تغضب » . البخاري عن أبي هريرة الغضب .. وما أدراك ما الغضب ... فهو مفتاح لكل شر ، ومغلاق لكل خير ، ونارٌ تحرق صاحبها قبل أن تؤذي شخص آخر ، والإنسان الغضوب هو إنسان ضعيف فلا هو يستطيع أن يتحكم في مشاعره أو أنفعالاته أو سلوكياته، أو حتى يملك حياته ، فدائماً الموقوف هو السيد ، وهو من يتحكم فيه ، ومن السهل بمكان أن يستثيره أي إنسان أو أي ظرف.

ولذلك كان تعريف النبي ﷺ للإنسان القوي مختلف فقد قال
ﷺ :

«ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند
الغضب». متفق عليه

وقال أيضاً ﷺ : « إن بني آدم خلقوا على طبقاتٍ شتى ، ألا
وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء ، والسريع الغضب سريع
الفيء ، والبطيء الغضب بطيء الفيء ، فتلك بتلك ، ألا وإن
منهم بطيء الفيء سريع الغضب ، ألا وخيرهم بطيء الغضب
سريع الفيء ، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء». الترمذي

● لماذا يجب أن تتحكم في انفعالاتك ؟

يجب على الإنسان أن يتحكم في انفعالاته لأن الغضب دلالة عن
عدم الثقة بالنفس

و للشيخ محمد الغزالي كلاماً رائعاً في ذلك إذ يقول :

(إن هناك ارتباطاً مؤكداً بين ثقة المرء بنفسه وبين أناته مع الآخرين
، وتجاوزه عن أخطائهم ، فالرجل العظيم حقاً كلما حلق في آفاق
الكمال اتسع صدره ، وامتد حلمه وعذر الناس من أنفسهم ، والتمس
المبررات لأغلطهم ! فإذا عدا عليه غر يريد تجريحه ، نظر إليه من
قمته كما ينظر الفيلسوف إلى صبيان يعبثون في الطريق وقد يرمونه
بالأحجار).

الغضب جمرة من نار يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم.

وقد روى عن وهب بن منبه، قال: كان عابد في بني إسرائيل أراد الشيطان أن يضلّه فلم يستطع، فخرج العابد ذات يوم لحاجة وخرج الشيطان معه لكي يجد منه فرصة، فأتاه من قبل الشهوة والغضب فلم يستطع منه على شيء، فأتاه من قبل الخوف وجعل يدلي عليه صخرة من الجبل فإذا بلغته ذكر الله تعالى فنأت عنه. ثم جعل يتمثل بالأسد والسباع فذكر الله تعالى فلم يبال به، ثم جعل يتمثل له بالحية وهو يصلي فجعل يلتوي على قدميه وجسده حتى بلغ رأسه، وكان إذا أراد السجود التوى في موضع رأسه من السجود يعني وجهه فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه فجعل ينحيه حتى استمكن من الأرض ليسجد، فلما فرغ من صلاته وذهب جاء إليه الشيطان فقال :

أنا فعلت بك كذا وكذا فلم أستطع منك على شيء وقد بدا لي أن أصادقك ولا أريد ضلاتك بعد اليوم.

فقال له العابد: لا اليوم الذي خوّفتني بحمد الله ما خفت منك ولا لي حاجة اليوم في مصادقتك،

فقال: ألا تسألني عن أهلك ما أصابهم بعدك؟ فقال له العابد أنا متّ قبلهم، فقال ألا تسألني عما أضلّ به بني آدم؟

قال: بلى أخبرني بالذي تصل به إلى إضلال بني آدم؟ قال بثلاثة أشياء: الشح والغضب والسكر.

فإن الإنسان إذا كان شحيحا قللنا ماله في عينه فيمنعه من حقوقه ويرغب في أموال الناس، وإذا كان الرجل غضوبا أدرناه بيننا كما يدير الصبيان الكرة بينهم ولو كان يحيي الموتى بدعوته لم نياس

منه فإنما يبني ويهدم في كلمة واحدة، وإذا سكر قدناه إلى كل سوء كما تقاد الغنم بأذننها حيث نشاء .

ولما يترتب على ذلك من آثار معنوية منها :

- فساد الأمور بسبب الغضب، وفي أحيان كثيرة استحالة إصلاحها:

لأن في حالة استئراء الغضب والغيط يفعل الإنسان مالا يدري عواقبه، فيستحيل إصلاح الأمور بعد ذلك لأن الشخص الغاضب يكون في حالة تشبه غياب الوعي ، فتخرج الأمور عن سيطرته .
عن عبد الرحمن بن أبي بكره قال: كتب أبي (وكتبت له) إلى عبيد الله بن أبي بكره وهو قاض بسجستان: أن لا تحكم بين اثنين وأنت غضبان.

فإني سمعت النبي ﷺ يقول: « لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان ». متفق عليه

- الغضب يفقد الإنسان وقاره وهيبته:

ويتحول لإنسان قبيح الصورة من الخارج والداخل، وشخص مشوه الخلق والخلقة .

- يكون سبباً في جرح مشاعر الآخرين:

وترك ندوب وجروح لا تندمل في قلوبهم ، وقد يكونوا أقرب الناس إلينا فنتسبب في أذيتهم بأيدينا . وأيضاً يكون سبباً في بغض الناس وكرهيتهم ، وهجر الأصدقاء والأحاب .

- الغضب يفسد الإيمان:

فعن ابن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال النبي ﷺ : « يا معاوية إياك والغضب، فإن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد

الصبر العسل». الطبراني والبيهقي

والإنسان الذي يسمح بالغضب يتحكم بحياته يتدرج معه الأمر فتسوء أخلاقه و تستحيل عشرته ،ويصبح جباراً في الأرض.

• الندم :

على التصرفات اللاشعورية التي تسبب بها الغضب حال العودة إلى طبيعته ، والندم في نظري أشد أنواع الحالات النفسية قسوة على النفس ،حيث أن هناك من البشر من لا يتحمله ، فأنا أعرف أب هادئ بطبعه ولكن كلما فقد سيطرته وانفعل على أولاده مرض ورقد في السرير فترة من شدة الندم وتأثيره القوي عليه .

عن أبي مسعود البصري قال: كنت أضرب غلاماً لي بالسوط فسمعت صوتاً من خلفي «**الحلم أباً مسعود**» فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو النبي ﷺ فإذا هو يقول: «**الحلم أباً مسعود**.. **الحلم أباً مسعود**» قال: فألقيت السوط من يدي. وفي رواية فسقط من يدي السوط من هيئته فقال: «**الحلم أباً مسعود**؛ أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام» ، قال: فقلت لا أضرب مملوكاً بعده أبداً. وفي رواية فقلت: يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال :

«**أما لو لم تفعل للفتكتك النار أو لمستك النار**». رواه مسلم

تكلم وأنت غاضب ..

فستقول أعظم حديث تندم عليه طوال حياتك

الآثار الصحية السيئة للغضب على الجسم :

يؤثر الغضب على قلب الشخص الذي يغضب تأثير الجري على القلب، وانفعال الغضب يزيد من عدد مرات انقباضاته في الدقيقة الواحدة فيضعف بذلك كمية الدم التي يدفعها القلب إلى الأوعية الدموية مع كل انقباض وهذا بالتالي يجهد القلب لأنه يقصره على زيادة عمله عن معدلاته الطبيعية، والفارق أن الجري في إجهاده للقلب لا يستمر طويلاً لأن المرء يتوقف إن أراد، أما في الغضب فلا يستطيع الإنسان أن يسيطر على إجهاده لا سيما إن كان اعتاد على عدم التحكم في مشاعره كما تحدث الإصابة بعدم انتظام ضربات القلب.

وقد حذر علماء الطب الألمان من أن الغضب يشكل خطراً على القلب، مشيرين إلى أن أكثر الذين أصيبوا بأمراض في القلب كان « الغضب » أحد أسبابه الرئيسية .

وأعلن الأطباء في مؤتمر عقدوه في برلين أن أكثر الذين توفقوا بجلطة قلبية كان « الغضب » أحد أسباب الوفاة الرئيسية، إذ أن الغضب يعمل على تقوية سرعة القلب بحيث تخرج عن السيطرة.

وقد لوحظ أن الإنسان الذي اعتاد على الغضب يصاب بارتفاع ضغط الدم حيث أن قلبه يضطر إلى أن يدفع كمية من الدماء الزائدة عن المعتاد ويزيد عن معدله الطبيعي كما أن شرايينه الدقيقة تتصلب جدرانها وتفقد مرونتها وقدرتها على الاتساع لكي تستطيع أن تمرر تلك الكمية من الدماء الزائدة التي يضخها قلب الغاضب.

كما أن الارتفاع المفاجئ للضغط قد يسبب لصاحبه نزفاً دماغياً صاعقاً يؤدي إلى إصابة الغضبان بالجلطة المخيه ، وقد يصاب بالجلطة القلبية أو الموت المفاجئ ،وقد يؤثر على أوعية العين الدموية

فيسبب له العمى المفاجئ ، وكلنا يسمع بتلك الحوادث المؤلمة التي تنتج عن لحظات غضب.

وبتحرر الجليكوجين من مخازنه في الكبد يطلق سكر العنب مما يرفع السكر الدموي، إذ من المعلوم أن معظم حادثات السكر تبدأ بعد انفعال شديد أو غضب.

وارتفاع الأدرينالين يزيد من عمليات الاستقلاب الأساسي ويعمل على صرف كثير من الطاقة المدخرة مما يؤدي إلى شعور الغاضب بارتفاع حرارته وسخونة جلد.

كما يؤدي زيادة الهرمون إلى تثبيط حركة الأمعاء ومن ثم إلى حدوث الإمساك الشديد. وهذا سبب إصابة ذوي المزاج العصبي بالإمساك المزمن.

ويزداد أثناء الغضب إفراز الكورتيزون من قشرة الكظر مما يؤدي إلى زيادة الدهون في الدم على حساب البروتين، ويحل الكورتيزون النسيج اللمفاوي مؤدياً إلى نقص المناعة وإمكانية حدوث التهابات جرثومية متعددة، وهذا ما يعلل ظهور التهاب اللوزات الحاد عقب الانفعال الشديد.

كما يزيد الكورتيزون من حموضة المعدة وكمية البسین فيها مما يهيئ للإصابة بقرحة المعدة أو حدوث هجمة حادة عند المصابين بها بعد حدوث غضب عارم.

ويسبب تكرار الغضب حدوث تصلب في العضلات وانتفاخ الأوداج وآلام في الرقبة أو الكتف أو الظهر، مع صداع الغضب، وحدوث الفزع والقلق الدائم والتوتر مع فقد القدرة على النوم وقلة التركيز مما يؤدي لخوار قوة البدن وسقوطه فريسة للإنهاك.

وتتضاعف الأحاسيس بفعل التوتر والغضب ويصبح الغاضب أكثر حساسية للضوء كأجراس الهاتف والباب وأكثر حساسية للمس

وللضوء والروائح مما قد يجعله في حالة متزايدة من الإثارة ويزيد من حجم المشاكل.

ويمكنك أن تقرأ عن هذا في كتاب كيمياء الغضب للأ. د. محمد سعد عبد اللطيف أستاذ الكيمياء الحيوية جامعة القاهرة.

الحلم :

هو الأناة والتروي وضبط النفس ، وهو الخلق الذي يجعل صاحبه لا يمكن استثارته بسهولة و يستطيع أن يتحكم في نفسه عند الغضب .

وفد على النبي ﷺ الأشج بن قيس فأناخ راحلته ثم عقلها : وطرح عليه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة (وعاء الثياب) ثوبين حسنين فلبسهما - وذلك بعين النبي ﷺ يرى ما يصنع ثم أقبل يمشي إلى النبي ﷺ فقال : « إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله »..قال : ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ؟!..قال : « الحلم والأناة »..فقال : خلتان تخلقتكما أم خلقان جبلت عليهما ؟.. قال : « بل خلقان جبلت عليهما »،فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله . البخاري

وفي هذا المبحث نتطرق هنا لكيفية اكتساب هذا الخلق ، وتعلم الكيفية التي نستطيع بها التحكم في النفس والسيطرة عليها وضبطها، فقد روي عن أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:

« إنما العلم بالتعلم ، وإما الحلم بالتحلم ، ومن يتحرر الخير يعطه » الدار قطني.

والحلم صفة الأنبياء فقد قال الله تعالى عن إبراهيم : {إن إبراهيم لحليمٌ أواه منيب }..هود

وصفة المؤمنين: { وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما }الفرقان

فالحلم فيه راحةٌ للقلب والجسد، وفيه رضا الله ، وصاحبه يصبح من أهل الفضل ويصبح عند الناس محبوباً ومحموداً.

أقوال في الحلم:

روى عن أبي الدرداء أن رجلاً قال له: علمني كلمات ينفعني الله تعالى بهن؟ قال أبو الدرداء أوصيك بكلمات من عمل بهن كان ثوابه على الله عز وجل والدرجات العلى: لا تأكل إلا طيباً، واسأل الله تعالى رزق يوم بيوم، وعدّ نفسك من الموتى، وهب عرضك لله تعالى فمن شتمك أو أذاك فقل وهبت عرضي لله تعالى، وإذا أسأت فاستغفر الله تعالى.

وقال معاوية أي الرجال أشجع ؟ قال :من رد جهله بحلمه.

ويجمل الإمام الغزالي

رأيه في الغضب : « فأقل الناس غضباً أعقلهم ، فإن كان للدينا كان دهاءً ومكرراً ، وإن كان للآخرة كان حليماً وعلماً .

وقد قيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق. فقال: ترك الغضب .

وَقَدْ حَيَّيَ عَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ قَالَ ﷺ : مَا عَادَانِي أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا أَخَذْتُ فِي أَمْرِهِ بِأَحَدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِنْ كَانَ أَعْلَى مِنِّي عَرَفْتُ لَهُ قَدْرَهُ، وَإِنْ كَانَ دُونِي رَفَعْتُ قَدْرِي عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ نَظِيرِي تَفَضَّلْتُ عَلَيْهِ.

الحلم.... لماذا؟

- إن الحلم يعطي مساحة من التأني والتفكير لحل الموقف بذكاء دون ترك آثار سلبية أو ضغائن في القلوب.
 - محاولة فهم ما وراء سلوك الناس والأسباب التي دفعتهم للخطأ بدلاً من الفهم الخاطئ وبنیان تصرف خاطئ عليه.
 - كف أذى من يثور أو يشتم وقطع سبيل التماذي عليه، وقد قيل: إذا سكَّت عن الجاهل فقد أوسعته جواباً، وأوجعته عقاباً.
 - الحلم من الثقة بالنفس وكرم الأخلاق .
 - الترفع عن السباب ورفع قدر النفس عن الصغائر .
 - وحكي أن رجلاً قال لضرار بن القعقاع : والله لو قلت واحدة لسمعت عشراً، فقال له ضرار : والله لو قلت لي عشرا لم تسمع واحدة .
 - إن الحلم يؤدي إلى محبة الناس وتقديرهم .
 - كسب الأعداء والخصوم.
- قال تعالى: { ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم } فصلت

ثواب الحلم وكظم الغيظ:

• المغفرة والجنان الواسعة

قال تعالى : { و سارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين } . آل عمران

وعن أبي الدرداء قال : قلت يا رسول الله ﷺ دلني على عمل يدخلني الجنة قال : « لا تغضب و لك الجنة » البخاري

• يرضيه الله يوم القيامة

وروى أبو أمامه الباهلي عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يمضيه لم يمضه إلا الله قلبه يوم القيامة رضا » . الطبراني

• العزة والحدود العينية

وعن النبي ﷺ قال: « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء » . الترمذي وأبو داود

• أعظم الأجر

عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ : « ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله » . البخاري وأحمد

• محبة الله وستره

وعن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ :
 « ثلاثة مَنْ كُنَّ فِيهِ آوَاهُ اللَّهُ فِي كَنَفِهِ وَسَتَرَ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ وَأَدْخَلَهُ
 فِي مَحَبَّتِهِ قِيلَ: ما هن يا رسول الله ﷺ؟ قال: مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شُكِرَ،
 وَإِذَا قُدِّرَ غُفِرَ، وَإِذَا غَضِبَ فُتِرَ ». رواه الحاكم وقال : «هذا حديث
 صحيح الإسناد البيهقي

• الجزاء من جنس العمل

وعن أنس قال النبي ﷺ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « مَنْ ذَكَرَنِي حِينَ
 يَغْضَبُ ذَكَرْتَهُ حِينَ أَغْضَبَ وَلَا أَمْحَقْهُ فِيمَنْ أَمْحَقَ » . رواه الديلمي
 وابن شاهين
 وعن عبد الله بن عمرو قال: قلت يا رسول الله ﷺ ما يمنعني
 من غضب الله ، قال :«لا تغضب». الطبراني

كيف كان النبي ﷺ يربي بالحلم ؟

في قصة خوات بن جبير مع النبي ﷺ والتي يرويها
 فيقول : نزلت مع النبي ﷺ مر الظهران ، فخرجت من خبائي ، فإذا
 نسوة يتحدثن فأعجبني ، فرجعت فأخذت حلة لي من حبرة فلبستها،
 ثم جلست إليهن .. وخرج النبي ﷺ من قبته .
 فقال : يا أبا عبد الله ما يجلسك إليهن ؟ فهبت النبي ﷺ
 فقلت: يا رسول الله جمل لي شرود أبتغي له قيداً ..!
 فقال خوات: فمضى النبي ﷺ فألقى رداءه ، ودخل الأراك فقضى
 حاجته وتوضأ ثم جاء

فقال : يا أبا عبد الله ما فعل شراد جملك ؟

ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني في منزل إلا قال لي : السلام عليك يا أبا عبد الله ما فعل شراد جملك ؟ ..

قال : فتعجلت المدينة ، فتجنبت المسجد ومجالسة النبي ﷺ فلما طال ذلك تحينت ساعة خلوة المسجد فجعلت أصلي فخرج النبي ﷺ من بعض حجره فجاء يصلي فصلى ركعتين خفيفتين ثم جاء فجلس ، وطولت رجاء أن يذهب ويدعني .

فقال : طول يا أبا عبد الله ما شئت فلست بقائم حتى تنصرف .. فقلت : والله لأعتذر للنبي ﷺ ولأبردن صدره ..

قال : فانصرفت

فقال : السلام عليك يا أبا عبد الله ما فعل شراد جملك ؟

فقلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك منذ أسلمت ..

فقال عليه الصلاة والسلام : رحمك الله (مرتين أو ثلاثاً) ثم أمسك عني فلم يعد .

مجمع الزوائد وقال الهيثمي رجالها رجال الصحيح .

كيف كان النبي ﷺ يغير النفوس بالحلم ؟

كان فضالة بن عمير من أشد أعداء النبي ﷺ ، وهذا الرجل من شدة عدائه للرسول قرّر أن يقتل النبي ﷺ في وقت الفتح، والنبي ﷺ في وسط هذا الجيش الكبير (عشرة آلاف من الصحابة رضوان الله عليهم). وإذا قتل فضالة بن عمير النبي ﷺ فلا شك أنه مقتول، ومع ذلك ضحّى بنفسه ليقتل النبي ﷺ ؛ فمر بجوار النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت، فلما دنا من النبي ﷺ وهو يحمل السيف تحت ملابسه،

قال له : « أَفْضَالُهُ ؟

قال: نعم، فضالة يا رسول الله ﷺ. وكان يدَّعي الإسلام في ذلك الوقت، فقال: «مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟».

قال: لا شيء، كنت أذكر الله.

فضحك النبي ﷺ وقال: «اسْتَغْفِرِ اللَّهَ»

ثم وضع يده على صدر فضالة فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خَلَقِ الله شيء أحب إليَّ منه.

وأسلم فضالة، بل حسن إسلامه من أول لحظة من لحظات إسلامه، ولا نقول من أول يوم، ولكن من أول لحظة، حتى إنه عاد من عند النبي ﷺ إلى أهله، فمرَّ بامرأة كان يتحدث إليها في الجاهلية، فقالت له المرأة: هَلُمَّ إلى الحديث.

فقال: لا، يأبى عليك الله والإسلام.

مواقف من حلم النبي ﷺ

إن مواقف النبي ﷺ التي تدل على حلمه ورفقه كثيرة جداً، وكيف لا وقد قال له الله تعالى: {ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك}. ولكننا نستشهد ببعض الأمثلة منها:

• عن أنس قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ ، وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ (ما بين العنق والكتف) وقد أثرت بها حاشية البرد، ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعتاء. متفق عليه.

• وروى عن رسول الله أنه لما كسرت رباعيته في يوم أحد فشق ذلك على أصحابه مشقة شديدة فقالوا يا رسول الله: لو دعوت الله

تعالى على هؤلاء الذين صنعوا بك ما ترى، فقال النبي ﷺ: «إني لم أبعث لعانا ولكنني بعثت داعيا ورحمة اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون». البيهقي

الهدي النبوي في علاج الغضب:

• ذكر الله والتعوذ بالله من الشيطان الرجيم
وقد قال تعالى: {وإِذَا يَنْزَلْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَلَ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} . فصلت

وقد مرّ النبي ﷺ على رجلين يستبان ، فأحدهما احمرّ وجهه ، وانتفخت أوداجه ، فقال النبي ﷺ « إني لأعلم كلمة ، لو قالها ذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان ، ذهب عنه ما يجد » . البخاري

ولقد دلنا خير الأنام على علاج الغضب والتحكم بأنفسنا ، و ينصح علماء الطب النفسي الأشخاص الذين يتعرضون إلى نوبات الغضب إلى تمارين خاصة تؤدي إلى نتائج مذهلة ، هذه التمارين تسبب استرخاء في الذهن يؤدي إلى انطفاء نار الغضب وإخماد الثورة العصبية ، منها أن يعدّ الشخص من ١-٢-٣ .. وحتى ٣٠ قبل أن ينطق بأي حرف .
هذه الحقيقة في مجال الطب النفسي أوصى بها نبي الإسلام حين أمر الغاضب أن يتعوذ بالله عدة مرات.

وقد قال العلامة ابن حجر:

« أقوى الأشياء في دفع الغضب استحضار التوحيد الحقيقي وهو أن لا فاعل إلا الله، فمن توجه إليه بمكروه من جهة غيره، فاستحضر أن الله لو شاء لم يمكن ذلك الغير منه، اندفع غضبه

• الوضوء

وقد قال النبي ﷺ : « إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من نار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » .أبو داود

ومصداقاً لحديث النبي ﷺ فإن الاغتسال بالماء البارد أو غسل الوجه واليدين به يعد أحدث توصية طبية لها أثرها البالغ في تهدئة الجهاز العصبي . فالغضب يتولد من الحرارة العامة والتعرق والإحساس بالضييق ، ويأتي الماء البارد ليخفف من هذا الأعراض . والوضوء الذي وصفه النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم يضيف فوق ذلك شعوراً بالعبودية لله عند قيام الغاضب بهذا الفعل التعبدية ، يزيد من إحساسه بالأمن والرضى.

على الماء أثناء الوضوء يؤدي إلى انطلاق [Light photons] ولقد توصل العلماء إلى أن سقوط أشعة أيونات سالبة تؤدي إلى استرخاء الأعصاب والعضلات فتزيل أي انفعال ناتج عن الغضب..

• الصمت

فقد قال ﷺ : « إذا غضب أحدكم فليصمت » .

وصدق النبي ﷺ الكريم إذ أن الإنسان إذا تحدث حال الغضب فإنه سوف يفعل وربما تلفظ ألفاظاً غير لائقة، أو أقدم على سلوكيات غير مقبولة يندم عليها بعد ذلك.

• تغيير الوضعية

عن أبي ذر الغفاري أن النبي ﷺ قال:

« إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع » .أحمد وابن حبان

وقد أشار الإمام الغزالي رحمه الله إلى أمر النبي ﷺ الغاضب بتغيير الوضعية بأنه الحركة البدنية فقال:

(فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً، واقترّب من الأرض التي خلقت منها .. واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة).

وقد كشف د. حسان شمسي الإعجاز الطبي في هذه الوصفة النبوية إذ يقول:

« جاء في كتاب هاريسون الطبي أنه من الثابت علمياً أن هرمون النورأدرينالين يزداد بنسبة ٢-٣ أضعاف لدى الوقوف بهدوء لمدة خمس دقائق أما هرمون الأدرينالين فيرتفع ارتفاعاً بسيطاً في الوقوف لكن الضغوط النفسية تزيد من نسبته في الدم ... ولا شك أن العاملين معاً، الغضب والوقوف يرفع نسبة الهرمونين بشكل كبير.

• إلصاق الوجه بالأرض (السجود)

عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال:

ويقول العلم الحديث في دراسة أجراها د. (محمد ضياء الدين حامد) أستاذ العلوم البيولوجية في مصر :

بأن السجود وإلصاق الوجه بالأرض يفرغ الشحنات الكهرومغناطيسية الزائدة التي يكتسبها الجسم من المحيط الخارجي والتي تسبب العديد من الأمراض .

إذ يقول : أنه لابد من وصلة أرضية لتفريغ الشحنات الزائدة والمتوالدة بها وذلك عن طريق السجود للواحد الأحد كما أمرنا، حيث تبدأ عملية التفريغ بوصل الجبهة بالأرض، ففي السجود تنتقل الشحنات الموجبة من جسم الإنسان إلى الأرض السالبة الشحنة،

وبالتالي تتم عملية التفريغ، خاصة عند السجود على الأعضاء السبعة (الجبهة والأنف، والكفان، والركبتان والقدمان) وبالتالي هناك سهولة في عملية التفريغ.

وقد تبين من خلال الدراسات أنه لكي تتم عملية التفريغ للشحنات لا بد من الاتجاه نحو مكة في السجود وهو ما نفعله في صلاتنا -القبلة- لأن مكة هي مركز اليابسة في العالم، وأوضحت الدراسات أن الاتجاه إلى مكة في السجود هو أفضل الأوضاع لتفريغ الشحنات بفعل الاتجاه إلى مركز الأرض، الأمر الذي يخلص الإنسان من همومه ليشعر بعدها بالراحة النفسية.

وتنقل لنا إحدى الفتيات تجربتها في التحكم بمشاعرها الهائجة والثائرة في حالات الغضب والانفعال الشديد فتقول:

إن كظم الغيظ ليس بالعملية السهلة، لكنه أمر ممكن لمن أراد ان يسيطر على انفعالاته، وقد قررت ذلك وجربت ونجحت، فكيف ذلك؟

في البداية رحت أراقب الغاضبين الثائرين، فرأيت أن حركاتهم وتصرفاتهم إبان الانفعال الهائج مضحكة ومؤسفة في آن واحد، بل وتثير الشفقة، فقلت في نفسي: هل هكذا أبدو في حال غضبي وانفعالي؟ ففكرت واشمأزت نفسي.

فقررت أن أنسحب من ساحة المعركة في المواقف المثيرة للأعصاب لئلا تزداد الخسائر ويحدث ما لا تحمده عقباه، كأن أدخل إلى غرفة أخرى، أو أخرج من البيت لحين عودة الهدوء إلى الساحة.

فبالتجربة ثبت لي أن السكوت وعدم الرد أحياناً يهدئ المواقف ولا يصعده، لأن كلمة نابية منك وكلمة نابية من الآخر تحدث شرارة

المعركة، أما إذا أطلقها هو وتجنب الرد بالمثل تكون قد حددت نهاية المعركة.

وجربت أحياناً أن أنفس عن غضبي وانفعالي بكلمات باردة تطفئ لهيب المواقف الساخنة مثل: «سامحك الله»، «غفر الله لك» ولم ألجأ الى كلمات تزيد النار حطباً مثل: أنا قادرة على الرد ولكنني افضل الصمت، أو أنا قادرة على أن أرد الصاع صاعين لكنني أترفع عن ذلك. أو لا أريد أن أكون حمقاء مثلك.

كما جهدت على أن أطبق ما ورد من نصائح عملية في بعض الأحاديث الشريفة من أن أجلس إذا كنت واقفة، لأن الوقوف أثناء المشاجرة يزيد من حدة التوتر والانفعال، أو أن أستلقي على فراشي لفترة محدودة لأقوم بعملية تسريب للشحنات التي تعتري أعصابي. وفي النتيجة، حصلت من تجاربي مع الإمساك بزمام النفس عند الغضب على أنني كنت أبدو في كل موقف أملك فيه السيطرة على انفعالاتي كبيرة في نفسي، وإنني أحسن ممن أراد إغضابي وأكرم منه، وأنني كسبت مودة بعض الناس بدلاً من كسب عداواتهم .

أساليب للتعلم والتدريب على الحلم:

• ترويض النفس على الحلم

إن السيطرة على الغضب مهارة تحتاج -مثل كل المهارات- إلى الكثير من التدريب والتمرين ولكنه أمر يستحق بذل الجهد ، وهي أيضاً ليست بالأمر المستحيل فما كان النبي ﷺ يقول: « إنما الحلم بالتحلم ».

• حسن الظن ومحاولة فهم ما وراء السلوك

وذلك باستبدال الأفكار المشحونة بالغضب بتفسيرات ومبررات أخرى توجه بحسن الظن للآخرين وقد روي عن عمر أنه قال: لا تظن بكلمة صدرت من أخيك شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً.
قال الإمام الشافعي: التمس لأخيك سبعين عذراً.
وقال ابن سيرين رحمه الله: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذراً ، فإن لم تجد فقل: لعل له عذراً لا أعرفه.
يروي ستيفن كوفي في كتابه المميز (العادات السبع للناس الأكثر فعالية) :

أن رجلاً دخل إلى القطار ومعه خمسة من الأولاد الذين انتشروا في القطار يلعبون ويصدرون الفوضى والإزعاج في حين ظل هو جالساً بكل هدوء دون أن يمنعهم من إزعاج الآخرين. ضاق الناس بالأولاد ذرعاً فحادثه الرجل الجالس بجانبه وهو غاضب يحثه على منع أولاده من مضايقة الآخرين. فقال أبو الأولاد لقد ماتت أمهم منذ قليل، ولا أعرف ماذا سأقول لهم...!!) عندها دهش الرجل الغاضب: أوه أنا آسف. هل يمكن أن أفعل لك شيئاً. لقد نسي تماماً ما يسببه الأولاد من إزعاج، وتغير غضبه إلى مساندة. صدقني إنه في كل حدث

يمكن أن تجد تفسيراً بديلاً لما يدور في رأسك لو حاولت البحث عنه، وذلك سيخفف من حنقك وغيظك. أليست هذه وسيلة فعالة للسيطرة على الغضب الذي يسببه الآخرون لنا.

• تعلم التعبير الصحيح عن الغضب

عندما نغضب فإننا نظهر هذا الغضب عبر الأساليب الثلاثة التالية : الصياح ، أو الاعتداء ، أو الكبت ، والطريقة الصحيحة هي التعبير عن المشاعر عما أغضبنا بكل حزم وثبات وعبر استخدام لهجة واضحة وصارمة وبنغمة صوت عادية كالتي تستخدمها بشكل طبيعي دون إيذاء للآخرين فنستخدم كلمات مثل (أنا حزين - أنا أشعر بالإحباط لم أكن أتوقع.....).

فالتعبير عن المشاعر بالكلمات ولغة الحوار تهدئ الموقف ، وتخرج الشحنة السلبية عند الغضب بصورة مهذبة ومقبولة.

• ممارسة الهوايات

مثل القراءة والسباحة وممارسة الرياضة والرسم ، فممارسة الهوايات تضبط عدم التوازن في الجسم ، وتصرف طاقة العنف في الجسم إلى هدوء وسكينة ، ولذلك فإن تعويد الأطفال على ممارسة الهوايات مهمة جداً.

• قراءة القرآن والمداومة عليه ، والصلاة بخشوع

تملاً للقلب والروح بالسكينة والسلام النفسي الذي يجعلنا نتقبل كل ما حولنا ونتعامل معه بتوازن وحكمة .

صور لبعض الحكماء

ذات ليلة، خرج الخليفة عمر بن عبد العزيز ليتفقد أحوال رعيته، وكان في صحبته شرطي، فدخلوا مسجداً، وكان المسجد مظلماً، فتعثر عمر برجلٍ نائم، فرفع الرجل رأسه وقال له: أأعمى أنت؟ فقال عمر: لا. وأراد الشرطي أن يضرب الرجل، فقال له عمر: لا تفعل، إنها سألني: أأعمى أنت؟ فقلت له: لا.

قال علي بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول، فأطرق عمر زماناً طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تنال مني غداً.

وكان الصحابي الجليل الأحنف بن قيس، شديد الحلم حتى صار يضرب به المثل في ذلك الخلق، فيقال: أحلم من الأحنف. ويحكى أن رجلاً شتمه، فلم يردّ عليه ومشى في طريقه، ومشى الرجل وراءه، وهو يزيد في شتمه، فلما اقترب الأحنف من الحي الذي يعيش فيه، وقف وقال للرجل: إن كان قد بقي في نفسك شيء فقله قبل أن يسمعك أحد من الحي فيؤذيك.

الحلم المذموم والغضب المحمود

والغضب المحمود هو الذي خلق الغضب من أجله والذي وراءه إنكار منكر، أو تغيير باطل وذلك مثلما كان النبي ﷺ يغضب من أجله.

الغضب لله تعالى :

وفي قول عائشة عندما وصفت النبي ﷺ فقالت : ما ضرب النبي ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله . مسلم

عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها النبي ﷺ ، فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب النبي ﷺ ، فكلمه أسامة، فقال النبي ﷺ : «أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فاختطب فقال: أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» رواه مسلم

والغضب المراد هنا أن لا يخرج الإنسان عن وضعه الطبيعي حال هدوئه فيتصرف تصرف الإنسان في حال طبيعته قبل غضبه فلا يتعدى بالقول أو الفعل، فهذا الغضب يعد غضباً محموداً في هذه الحالة لأنه يعد دافعاً لتغيير المنكر.

وهنا يجب التحدث عن نقطة هامة جداً:

أنه حتى حال الغضب لله فإن له ضوابط وحدود فلا يتخذ زريعة للتعدي على أحد في أحكامه، أو أقواله، أو تصرفاته، أو يستخدم الضرب أو الإهانة أو القتل أو الإرهاب .
وكما قال الإمام مالك : إذا رأيت الرجل يدافع عن الحق وهو يسب ويشتم فاعلم أنه معلول النية.

ومثال ذلك الغضب المذموم ما جاء في حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يقول: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ : أَقْصِرْ ، فَقَالَ: خَلَّنِي وَرَبِّي ، أُبْعِثْنِي عَلَى رَقِيبًا ؟! فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَبِضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: كُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَي قَادِرًا؟! وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ الْآخَرُ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقِيَّةِ دُنْيَاةٍ وَأَخْرَجَتْهُ» رواه أبو داود.

يقول الحافظ ابن رجب - رحمه الله : «فهذا غَضَبٌ لله، ثم تَكَلَّمَ في حال غضبه لله بما لا يجوز، وَحَتَّم على الله بما لا يَعْلَمُ، فَأَحْبَط الله عَمَلَهُ، فَكَيْفَ يَمَن تَكَلَّمَ في غضبه لِنَفْسِهِ وَمَتَابَعَةِ هَوَاهُ بِمَا لَا يَجُوز؟!»

الغضب للعرض والمال

ثبت في الصحيح أن رجلاً قال: (يا رسول الله ! الرجل يأتيني يريد مالي، قال: (لا تعطيه مالك)، قال: أرايت إن قاتلني، قال: « قاتله »، قال: فإن قتلني، قال: « فأنت شهيد »، قال: فإن قتلته، قال: (فهو في النار)

فإذا كان هذا حال المال فالعرض والنفس أقوى وأولى.

(أن يغضب أي إنسان، فهذا أمر سهل.. لكن أن تغضب من الشخص المناسب، وفي الوقت المناسب، وبالأسلوب المناسب.. فليس هذا بالأمر السهل)

أرسطو

الحلم المذموم

وهو الحلم الذي يكون عن جبن، أو الحلم عن رياء وبقلبه من الحقد والغل ، أو حلم يكون الغضب فيه مطلوب كالغضب لانتهاك حد من حدود الله .

وتأمل حلم الله علينا !!

ورد في الحديث القدسي: ((إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري - حلیم الله عز وجل - وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرهم إليّ صاعد، أتجيب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب،

أهل ذكري، أهل مودتي ، أهل شكري، أهل زيادتي، أهل معصيتي لا

أقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيهم، وإن لم يتوبوا - الله حليم - فأنا طيبهم، أبتليهم بالمصائب لأظهرهم من الذنوب والمعائب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة بمثلها وأعفو، وأنا أRAF بعبدى من الأم بولدها)) .رواه البيهقي والحاكم عن معاذ، والديلمي وابن عساكر عن أبي الدرداء

وحلم الله هو تأخيره العقوبة عن المستحقين لها ثم إن شاء عذبهم وإن شاء تجاوز عنهم

ويقول الغزالي: هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ، ثم لا يستفز غضب ولا يعتريه غيظ ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة أو طيش .

قال تعالى: {واعلموا أن الله غفورٌ حليم } . البقرة

وروى مالك بن دينار قال: كان لي جار وكان يأتي الفواحش ، وجيرانه يتأذون بسببه فشكوا منه إلي . فأحضرنه وقلنا إما أن تتوب ، وإما أن تخرج من المحلة .

فقال : لا أفعل واحدة منهما .

فقلنا :إذن نشكوك إلى السلطان .

فقال : السلطان يعرفني .

فقلنا : إذأ ندعو الله عليك .

قال : الله أرحم بي منكم .

يقول مالك :فغاضني ذلك ، فلما أمسيت قمت وصليت ودعوت عليه ، فهتف بي هاتف يقول : لا تدع عليه فإن الفتى من أولياء الله . فندمت على ما فعلت ، وخرجت من الدار إلى باب جاري ودققت

عليه الباب ، فلما خرج ورآني ظن أنني جئت لإخراجه من المحلة ، فأخذ يعتذر ، فقلت له : ما جئت لذلك ، لكنني رأيت كذا وكذا . فوقع عليه البكاء وتاب إلى الله ، وخرج من الدار ، وتاب الله عليه بعد ذلك ، فاتفق أنني خرجت إلى الحج ، فرأيت في المسجد حلقة فتقدمت إليهم فرأيت ذلك الشاب عيلاً مطروحاً ، فما لبثت حتى قالوا : قضي الشاب يرحمه الله .

ويروي الرازي أن إبراهيم عليه السلام رأى رجلاً مشغلاً بمعصية فقال : اللهم اهلكه فهلك ، ثم رأى ثانياً وثالثاً فدعا عليهم فهلكوا ، فرأى رابعاً فهم بالدعاء عليه فأوحى الله إليه : قف يا إبراهيم .. فلو أهلكنا كل عبد عصا ما بقي إلا القليل ولكن إذا عصا أمهلهنا ، فإن تاب قبلناه ، وإن أصر أخرنا العقاب عنه ، لعلمنا أنه لا يخرج عن ملكنا .

حكمة

إياك وما يعتذر منه.

الرفق

قصة الشمس والريح

تنازعت الشمس والريح على أيٍّ منهما الأقوى، وتنافستا على إجبار مسافر يرتدي عباءة ثقيلة أياً منهما يستطيع إجباره على خلع عباءته، هبت الريح وعصفت بلا هوادة، فكلما اشتدت زاد تمسك الرجل بعباءته، ولم تفلح قوتها أن تجعل الرجل يتخلى عن عباءته، أما الشمس فأخذت ترسل أشعتها برقة وحنو، ومع استمرارها وصبرها، بدأ الرجل يتصبب عرقاً، فقام بخلع معطفه من تلقاء نفسه.

العنف سمة العصر

أصبحنا اليوم في عصر سريع التطور وشديد التغير بسبب التقدم التكنولوجي وثورة المعلومات والاتصالات، والفصائيات المفتوحة، فأصبح العالم الآن وكأنه قرية صغيرة، وأدى ذلك إلى تنوع وتداخل الثقافات والأفكار، وأدى التصادم بين الثقافات المختلفة مع غياب لغة الحوار الراقي إلى ظهور سلوكيات وقيم قد تبدو غريبة وشاذة على الآخر، فنتج عن ذلك أشكال جديدة للعنف لم تكن موجودة من ذي قبل، وخرجت أشكال العنف وأساليبه عن المألوف بل إنها دخلت في دائرة اللامعقول واللامنطق.

إن العنف هو عدم الاعتراف بالآخر وإنكاره دون النظر إلى إيذاء ذلك الآخر مادياً كان أو معنوياً.

ولو تلفتنا حولنا الآن لرأينا صور العنف تطاردنا في كل مكان وعلى كل المستويات، فقد أضحت ظاهرة واضحة وجلية في هذا الزمان، فنحن نرى العنف في المدارس، في الشوارع، في المؤسسات، في دور العبادة، عنف المدرسين مع الأولاد، وعنф التلاميذ مع المدرسين، والشباب في الشارع، والآباء مع أبنائهم، العنف بين الأزواج، حتى الحوارات التلفزيونية تقوم على المهاجمة وتجريح الناس، وعلو الصوت والجدل العقيم، حتى إننا نرى دعاةً وشيوخاً يهاجمون بعضهم البعض على مرأى ومسمع من الناس جميعاً، ومسؤولين كبار يتشاكسون ويعتدون على بعضهم البعض، بل وأحياناً يتضاربون والكاميرات تصور والناس يشاهدون، ما هذه المهزلة؟ وأين القدوة إذاً؟

أصبحنا نسمع عن حوادث قتل لا يعلمون لها سبباً، وأصبح العنف على كافة المستويات، فقراء وأغنياء، مثقفون وجاهلون، كبار وصغار،

شعوباً وحكاماً .

أصبح العنف في العالم العربي والإسلامي ظاهرة خطيرة ليس من حيث عدد الجرائم فقط، بل من حيث نوعها وقسوتها وبشاعتها. وليس ذلك فقط ولكن تسبب العنف بآثار مدمرة لا حصر لها في المجتمع ، كظاهرة المخدرات والسرقة والانعزال والأمراض النفسية إلى آخره....

إن العنف هو صورة من الأنا والأنانية ، والعلاقة بينهما مضطربة فكلما زادت الأنا زاد العنف ، والعنف هو التسلسل الطبيعي لغياب خلق الرحمة والتراحم والحلم والرفق بين الناس. ومن بين الصور المستهجنة صور العنف في الدين والتي ليس لها مبرر إلا الجهل بالدين وتأثير البيئة، وليس العنف في الدين أقل خطراً مما سبق ذكره من الجرائم لأنه يبغض الناس من الدين وينفرهم منه ، وليس ذلك من الإسلام في شيء.

صور العنف في الدين :

وإن كان الدين بريء من كل صور العنف إلا أن هناك من يشوهون صورته بالجهل وانعدام الوعي ، ويعينون على تنفير الناس من التدين والالتزام ، ورفض فكرة الإسلام من غير المسلمين ، ومن هذه الصور المنفرة للدين :

- التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر في الأمور الاجتهادية والأمور المحتملة وكثيراً ما يجعل من الأمور الاجتهادية أموراً مقطوعة ويقينية.
- الغلو والتشدد في الدين و إلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم به الله.

• الغلظة والخشونة في الدعوة و التعامل مع الناس ، بينما الدين يدعو إلى الرفق بالناس ودعوتهم بالحسنى.

• الصور الإرهابية التي نراها الآن من قتل الأبرياء، والإفساد في الأرض ، والإسلام برئ من كل ذلك ،بل إن من يقوم بذلك هم أصحاب عقول فارغة استطاع أعداء الإسلام أن يملؤونها بمفاهيم مغلوطة عن الدين ،وعن طريق تسخير تلك العقول يصلون إلى هدفهم الذي هو هدم فكرة الإسلام.

إن هذه الصور السلبية تجعل العالم كله يرفض الإسلام والمسلمين ، والأمر ليس ببعيد ، فمثلاً اختلفت تماماً معاملة المسلمين في أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر عن ذي قبل ، حيث أصبح ينظر لكل مسلم على أنه إرهابي ويعامل أسوأ معاملة ، والأحداث الإرهابية الحديثة العهد التي حدثت في فرنسا والتي جعلت فرنسا تتشدد تجاه دخول المسلمين بلادها ، واختلف التعامل في المطارات في أوروبا وأمريكا من أسلوب الترحيب وسلاسة الإجراءات إلى أسلوب التعقيد في الإجراءات والشك والريبة.

وإن كانت البداية شديدة وموجعة، ولكنها ضرورية لنستشعر أهمية هذا الخلق في حياتنا وخطورة غيابه.

فإن كان العنف مقبولاً في غير بلاد الإسلام ، إلا أنه ظاهرة غير مقبولة وغير طبيعية بالمرّة في بلادنا الإسلامية ، وإن كان السبب الأكبر في هذا كله غياب الوازع الديني ، بل إننا نسينا أو تناسينا بأننا مسلمين وبأن ديننا الحنيف يحض على الرفق واللين وليس هذا الذي يحدث من الإسلام في شيء ، فكأنني أطلق من على هذا المنبر صرخة مدوية :.. ,, يا قوم تذكروا فنحن مسلمون ،،

وهذا إسلامنا أذكركم وأذكر نفسي به { ألا إن الذكرى تنفع المؤمنين}.

الرفق ..

هو انعكاس لكل معاني الرحمة ، وأقصر الطرق إلى القلوب . وهو الإسلام ذاته بكل معانيه ...وما أعظمه من دين ارتضاه لنا الله الرحمن الرحيم ، فعندما تتعرض لهذا الموضوع الذي يعرض لمواقف النبي ﷺ ورفقه ورحمته ، وتستعرض الآيات التي تتحدث عن الرفق ، وقصص الصحابة ومن انتهجوا خطى النبي ﷺ ، تجد نفسك وكأنك تسبح في بحار من الرفق والرحمة ، ولقد وجدتني أعجز عن حصرها مهما اجتهدت، ولذا فقد اكتفيت بذكر أمثلة بسيطة من هذا الخضم ترسم ملامح هذا الدين العظيم ، لأنني إذا انطلقت في الكتابة عن الرفق في الإسلام فلن يكفيني كتاب بل لن تكفيني مجلدات .

ومن يطالع تاريخ الإسلام عن كذب لا يجرؤ أبداً بأن يصفه بأنه دين عنف أو دين إرهاب، فمن يقول ذلك ليس إلا إنسان مغلق العينين ومشكوك في أمره ، ومختومٌ على قلبه.

وتحيرت من أين أبدأ فمعاني الرفق والرحمة كثيرة ومتزاحمة أمامي تندفق من خلال هذا الدين العظيم، بل إنني لا أجد أمراً ولا نهياً إلا ويغلفه الرفق ، ولا موضع ولا مجال إلا للرفق مكان فيه ، ولذلك فلنبداً بمصدر هذا الفيض العظيم .

رفق الله تعالى..

«الرفيق» هو اسمٌ من أسماء الله الحسنى الذي تجلت فيه كل معاني الرفق والرأفة والرحمة بعباده. فإذا أمعنت النظر واستحضرت شريط حياتك الماضية لتلمست رفق

الله تعالى يحيط بك من كل مكان، رفقه بك في جميع أحوالك، في السراء والضراء، في الشدة والرخاء، عند الابتلاء، و في أصعب الأزمات . إن كل معاني وصور الرفق في الدنيا هي في الأصل من رفق الله تعالى ، وأقصد برفق الله سبحانه بأن تستشعر حنوه وعطفه مباشرةً من دون حجاب .

رفقه معك أنت بالذات ...

أنت من دون الخلق جميعاً ...

فمن ذا الذي لم يستشعر عطف الله عليه في موقف من المواقف ...

أما أحسست يوماً أنك تسقط من على حافة هاوية وقبل أن تقع بلحظة واحدة امتدت إليك يداً لتلتقطك ...

أما شعرت يوماً كأنك تغرق في بحرٍ لا قرار له وفجأة وجدت من يلقي إليك طوق النجاة ...

أما أخذت تبكي يوماً وتظن أن الدنيا قد ضاقت عليك بما رحبت وعندما ظننت أن آخر حلقاتها قد أغلقت، وجدت يداً حنونة تربط على كتفيك، وتفتح لك الأبواب المغلقة ...

نعم... إنه الرحمن الرحيم...

عندما يحيطك برفقه وحنانه ... وكأنه معك...معك وحسب ... معك دون باقي الخلق.

إن الله سبحانه رفيق ورحيم بكل عباده حتى العصاة منهم ، حتى الكافرين والمشركين به ...

ألا تراه يرزقهم ويؤويهم وهم يعبدون غيره ...

فهذا حاله بالعصاة فكيف حاله مع المؤمنين...

أوحى الله إلى داوود فقال : « لو يعلم المدبرون عني شوقي إليهم

لماتوا شوقاً إلي ، يا داوود ... إن كان هذا حالي بالمديرين عني ، فكيف يكون حالي بالمقبلين علي ؟»

ولقد أمرنا الله بعبادته ولم يكلفنا فوق طاقتنا ، بل إنه تعالى يعطي على اليسير من الطاعات الكثير من الثواب والأجر .

ولقد أكد على ذلك المعنى في القرآن الكريم...

فقد قال تعالى : { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } . البقرة

{ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } البقرة

{ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُم فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } الحج

{ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ

أُخِرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ } البقرة .

{ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } آل عمران .

{ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ

الصَّلَاةِ } النساء

وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجُ النُّزُورِ .

بل والأكثر من ذلك أبلغنا الله على لسان رسوله : « أن الله يحب

أن تؤتي رخصه كما تؤتي نواجذه » .

فما أعظمه من رب رقيق حلیم .

وكان النبي ﷺ يقول لأصحابه : « يسرُوا ولا تعسروا ، وبشروا ولا

تنهروا » . متفق علي

وتحكي السيدة عائشة عن رفق النبي ﷺ فتقول : ما خير النبي

ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً

كان أبعد الناس منه ، وما انتقم النبي ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن

تنتهك حرمة الله ؛ فينتقم لله تعالى . متفق عليه .

وعن جابر قال : كان النبي ﷺ يتخلف في المسير ، فيزجي الضعيف ، ويردف ، ويدعو له . أبو داود والحاكم ، أي كان يرجع إلى الوراء في المسير يتفقد من ورائه فمن وجده ضعيفاً حمّله على دابته ودعا له .

لماذا الرفق ؟

• حتى تنال رضا الله تعالى ، والثواب العظيم في الآخرة

فالرفق يحبه الله ويعطي عليه ما لا يعطي على سواه .
فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الله تعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه » .مسلم
وقال النبي ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » . متفق عليه

والمسلم برفقه ولينه يحرم على النار، ويكون من أهل الجنة، قال النبي ﷺ : « ألا أخبركم بمن يحرم على النار؟ أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم النار على كل قريب هين لين سهل » الترمذي وأحمد.

• الرفق جمالٌ وزينة :

فعن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق ، وإن الرفق لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أحسن منه، وإن العنف لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أقبح منه »

وقال النبي ﷺ : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه » .مسلم.

وعن عائشة قالت : كنت على بعير فيه صعوبة فجعلت أضربه،

فقال النبي ﷺ : « يا عائشة عليك بالرفق فإنه لم يكن في شيء إلا زانه ولا انتزع من شيء إلا شانه ». رواه مسلم

• حب وتقدير الناس لك.

فالإنسان الرفيق ينال حب وتقدير الناس .

• الحلاوة في القلب

والسلام النفسي الذي ستجده مع نفسك ومع الآخرين ، هذه الحلاوة التي هي من عطايا الله لك على رفقك .

• الرفق يذلل الأمور الصعبة.

فالرفق تحصل به على ما لم تستطع الحصول عليه بالعنف، كما في قصة الشمس والريح، وهذا تفسير الحديث أيضاً (إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف).

قال النبي ﷺ : « إن الله عز وجل يحب الرفق ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف ». صحيح الترغيب / المنذري - الألباني

فمن سعى للتخلق بخلق الرفق فإن الله يعينه عليه ، فالله تعالى يريدنا أن نخطو خطوة نحو الكمال ومن ثم يمد إلينا يد العون ، وهكذا الحال دائماً مع الله سبحانه.

وفي نفس المعنى فإن الله يعينك على إنجاز الأمور برفقك ولينك في التعامل معها .

وقال الشاعر:

من يستعن بالرفق في أمره قد يخرج الحية من جحرها

وقال علي بن أبي طالب : أيما أهل بيت أعطوا حظهم من الرفق فقد وسَّع الله عليهم في الرزق ، والرفق في تقدير المعيشة خيرٌ من السعة في المال .

• من يرفق يرفق به

أول من سيجني ثمرات الرفق هو أنت ، فستجد الرفق من أولادك في أشد أوقاتك احتياجاً للرفق عندما تكبر وتشيوخ ، لأنك كنت رقيقاً بهم في صغرهم .

الأساليب العملية للتخلي بخلق الرفق:-

- الاتصال بالله تجعله بمن عليك من صفاته، فكيف تتصل بالرحيم الرفيق ولا تكون رقيقاً .
- عش فترة من الزمن مع هذا الخلق بأن تركز عليه وتراقب تصرفاتك وانفعالاتك، ولتكن مثلاً ٢١ يوم ، فعلماء النفس يقولون بأن تغيير الطبع ممكن خلال ٢١ يوم .
- مداواة القلب باستمرار، وذلك بمعاشرته لمن يحتاج الرحمة والرفق بشدة كاليتامى والمساكين، كما أرشدنا النبي ﷺ
- فعن أبي هريرة أن رجلاً شكى إلى النبي ﷺ قسوة قلبه، فقال: « امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين » رواه أحمد بإسناد حسن
- تلمس الرفق في القصص النبوي وقصص الصالحين .
- تعرف على أدوات الرفق واستخدمها وهي :
- الابتسامه
- الكلمة الطيبة
- النظرة الحنونة
- إظهار مشاعر الحب والود
- الحوار الهادئ
- القبله والعناق بين أفراد الأسرة
- تخيل أنك رقيقاً بالفعل ، بأن تختلق مواقف تحدث لك في مخيلتك

وأنت تتحلى فيها بالهدوء والرفق.

مُحَلِّكٌ بِالرَّفَقِ ...

كن رفيقاً في جميع أحوالك، وتنازل قليلاً عن القلب الخشبي الذي تضع نفسك فيه، وقم بإعادة تشكيل نفسك من جديد، واصنع لنفسك قالباً من مطاط يلين وينحني، وأوجد للرفق في حياتك طريقاً. « إن الله يحب الرفق في الأمر كله ». فتعلم كيف تكون رفيقاً في كل الأمور.

فكن رَفيقاً بنفسك ...

فالنفس كالطفل تحتاج إلى الترفق بها لتعتد على الخير وتحبه، فإن أخذناها بالقوة والشدة، ما تلبث أن تكسر الحواجز وتعود لسابق عهدها بل أشد، فإن أخذناها بالتدرج لانت واعتادت على الخير وامتنعت عن الشر، ويوجهنا النبي ﷺ إلى ذلك ؟ فيقول : « إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرَفَقٍ ، وَلَا تُكْرَهُوا عِبَادَةَ اللَّهِ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ فَتَكُونُوا كَالرَّاكِبِ الْمُتَنَبِّتِ الَّذِي لَا سَفَرًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى ». البيهقي

أي المسافر الذي أرهق دابته بالجري حتى تعبت فلا أنه وصل لغايته ولا أصبحت دابته قادرة على السير.

وعن الحسين : لا تُكْرَهُوا إِلَى أَنْفُسِكُمُ الْعِبَادَةَ.

وفي هذا الصدد أود أن أوضح نقطة هامة جداً

إنك عندما تستقرئ الوتيرة التي تسير عليها تعاليم الإسلام فستلاحظ نمطاً متوازناً لا يحيد عنه يشمل كل ملامح الحياة سواءً في التعامل مع النفس أو مع الآخرين أو حتى في التعامل مع الله تعالى .

فعندما يتحمس المرء للالتزام والتدين فإنه يندفع فيقبل على الطاعات جملة وينتهي عن كل ما كان معتاداً عليه جملة، ويزيد من النوافل والسنن مالا يطيق، بل وقد يفرض علي نفسه المستحبات فيحيلها واجبات ، فلا يلبث أن يجد مشقة في المداومة على ذلك فيصاب بالملل والإحباط فيتكره جملة كما أخذه جملة ، بينما مع الترفق والتدرج في الالتزام فإنه يعود النفس شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الحد الذي تطيقه فيظل مستقيماً على الدرب .

وليس معنى ذلك التهاون في العبادة أو التقصير في الواجبات كما يفهمه البعض ، ولكن الترفق مع النفس حتى تصل إلى الاعتدال دون غلو أو تقصير ، ونفس الشيء حينما يغير الإنسان من طبع ما ، أو يعتاد عادة جديدة فيجب أن يأخذ نفسه بالرفق حتى لا تمل فيرجع سريعاً عما كان بدأ به .

الرفق بالزوجة والأولاد

وما أجمل أن يكون البيت عامراً بالرحمة والرفق ، فالزوج يرفق بالزوجة ، والأب والأم يرفقون بأولادهم ، والأولاد يتراحمون فيما بينهم، ويبرون آبائهم .

يقول النبي ﷺ: « إذا أراد الله بأهل بيت خيراً، أدخل عليهم الرفق ». الطبراني

ويقول أيضاً: « ما أعطي أهل بيت الرفق إلا نفعهم ». الطبراني

ففي الرفق بالزوجة يوصي النبي ﷺ فيقول : « استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء». متفق عليه

وفي الرفق بالأولاد يقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه عن أنس وأرضاه أن النبي ﷺ كان يزور الأنصار ، ويسلم على صبيانهم ، ويمسح رؤوسهم ، وقد كان يركب على ظهره الحسن و الحسين ، وكان يطيل السجود حتى ينزل الولد من على ظهره. وكان ذات مرة يخطب فترك الخطبة، لأنه رأى الحسن و الحسين يمشيان ويتعثران في مشيتهما، فخشي عليهما، فقطع الخطبة ونزل وأخذهما وضمهما إليه، وهذا هو الحنان والرفق.

والرجل الأعرابي الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال : إنكم تقبلون صبيانكم ، إن عندي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم، فقال : « أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟ » أي: ماذا تريدني أن أفعل لك إن نزع الله الرحمة من قلبك؟

الرفق بالآخرين:-

إن أي إنسان له صلة بالله تعالى يشتق منه الكمال، وكما أن الله رفيقٌ بعباده ، فإنه يحب أن يرى الرفق من عباده . وبالرفق واللين تكسب من أمامك وتجتذب قلوب الآخرين إليك ، ومعنى إنساناً رفيقاً أي إنساناً عطوفاً ودوداً يألف ويؤلف ، رفيقاً بكل من حوله ، باراً بوالديه ، ودوداً مع زوجته ، عطوفاً على أولاده ، هيناً لطيفاً مع الناس ، متسعاً صدره لكل البشر، ومن هنا كان الرفق حاملاً لكل هذه المعاني الجميلة .وقد قال تعالى عن صفات

عباده المؤمنين : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } الفرقان .

وإن كان ديننا يحض على هذا الخلق العالي مع كل الناس إلا أنه خص المؤمنين بالأولى بقوله: (واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) الحجر وهذا عمر خرج في الليل يتفقد أحوال رعيته، فسمع صوتاً من أحد البيوت، فاقترب منه فسمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقني أن لا خليل أداعبه
فو الله لولا الله أني أراقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

تقول المرأة وهي زوجة لرجل ذهب في الجهاد، وتشكو نفسها، ولولا مخافة الله لحصل أمراً آخر، فقام عمر فجمع النساء، فسأل: كم تستطيع المرأة أن تصبر على زوجها؟ فقلن له: أربعة أشهر، فقال: إذاً لا أحد من الجنود يتغيب عن زوجته أربعة أشهر! فكان يجعل بينهم منابوات فيذهب الأول ويبقى الثاني ويرجع الأول ويذهب الثاني وهكذا حتى تبقى العلاقة بين الزوج وزوجته.

الرفق في الدعوة

الدعاة هم خلفاء الأنبياء فهلا يدعون الناس بأخلاق الأنبياء وقد قال الله تعالى:

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} النحل

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } آل عمران .

إن أفضل باب يدخل منه الداعية لقلوب الناس هو باب الرفق ، وحتى لا يُظلم الإسلام معك ، فلا بد أن تتعامل بأخلاقه قبل أن تأمر أو تنهى باسمه ، ولذلك فقد بعث الله تعالى أعظم داعيتين إلى أكثر شخص جبار في الأرض ، والذي كان يدّعي الألوهية وأمرهم أن يدعوه بالرفق واللين.

فقال تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى}. طه
فما بال بعض الدعاة الآن يدعون الناس بالغلظة والشدة فتستحيل الدعوة إلى تنفير من الدين .

ولتتعلم فن الدعوة من النبي ﷺ :

جاء رجل من البادية ولم يعلم بأن الكلام في الصلاة قد صار محرماً، فدخل في الصلاة مع الناس، قال: بينما أنا أصلي مع النبي ﷺ إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : (وا ثكل أمياه!) يعني: وافقد أُمي إياي فأني هلكت فقال : (وا ثكل أماه ما شأنكم تنظرون إلي؟) قال: يرحمك الله، (فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم - زيادة في التنبيه- فلما رأيتهم يصمتونني، لكنني سكت) قال في السيرة: لما رأيتهم يصمتونني، يعني: غضبت وتغيرت، لكنني سكت. (فلما صلى النبي ﷺ ، فبأي هو وأُمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما نهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني ، ولكن قال: « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن».

دخل أحد الأعراب الإسلام، وجاء ليصلي في المسجد مع النبي ﷺ، فوقف في جانب المسجد، وتبول، فقام إليه الصحابة، وأرادوا أن يضربوه، فقال لهم النبي ﷺ : « دعوه لا ترموه يعني: لا تقطعوا

عليه بوله، وأريقوا على بوله ذنوباً من ماء -أو سجلاً (دلوّاً) من ماء- فإِذَا بعثتم مُبْسِرِينَ، ولم تبعثوا مَعْسِرِينَ». البخاري

و هذه قصه أيضاً عن رفق النبي ﷺ ...

أن فتى شاباً أتى النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ﷺ! ائذن لي بالزنا!! فأقبل عليه القوم فزجروه , وقالوا مه مه فقال النبي ﷺ: «ادن» فدنا منه قريباً.

قال: «أتحبّه لأمك؟»

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال : «والناس لا يحبونه لأمهاتهم , أفتحبّه لأبنتك؟»

قال : لا والله يا رسول الله ﷺ , جعلني الله فداءك.

قال: «والناس لا تحبه لبناتهم , أفتحبّه لأختك؟»

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: «والناس لا تحبه لأخواتهم , أفتحبّه لعمتك؟»

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: «والناس لا تحبه لعماتهم , أفتحبّه لخالتك؟»

قال: لا والله جعلني الله فداءك.

قال: «والناس لا تحبه لخاللاتهم», ثم وضع يديه عليه وقال:

« اللهم اغفر ذنبه, وطهر قلبه وحصن فرجه» فلم يكن بعد

ذلك الفتى يلتفت إلى شيء

بهذا الأسلوب الرقيق استطاع النبي ﷺ أن يدخل إلى قلب هذا

الشباب ويجعله يستقبح ما طلبه من الإذن بالزنا، وكان ذلك سبباً في صلاح هذا الشاب واستقامته وعفته.

الرفق بالخدم ..

كان النبي ﷺ رفيقاً بالخدم، وأمر من عنده خادم أن يطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا يكلفه ما لا يطيق، فإن كلفه ما لا يطيق فعليه أن يعينه. يقول في حق الخدم: « من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه (يجعله حراً) » مسلم.

الرفق بالحيوانات..

نهى الإسلام عن تعذيب الحيوانات والطيور وكل شيء تدب فيه الروح، وقد مرَّ أنس بن مالك على قوم نصبوا أمامهم دجاجة، وجعلوها هدفاً لهم، وأخذوا يرمونها بالحجارة، فقال أنس: نهى النبي ﷺ أن تُصَبَّرَ البهائم (أي تحبس وتعذب وتقيد وترمي حتى الموت). مسلم.

ومرَّ ابن عمر على فتيان من قريش، وقد وضعوا أمامهم طيراً، وأخذوا يرمونه بالنبال، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال لهم: مَنْ فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً (هدفاً يرميه). مسلم.

روى أبو داود رحمه الله بإسناد صحيح عن عبد الله بن جعفر قال: دخل النبي ﷺ حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا جملٌ في البستان، فلما رأى النبي ﷺ الجمل حن الجمل وذرفت عيناه، فأتاه

النبي ﷺ ، فمسح سراته إلى سنامه، يعني: مسح ظهره إلى سنامه، وزجراه، يعني: أصل أذنه، فسكن البعير لمسح النبي ﷺ ، فقال: « من رب هذا الجمل؟ » يعني: من صاحب هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله ﷺ! فقال: « أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه » يعني: تتعبه وتكده ، وهذه من المعجزات.

ومن الرفق بالحيوان: الذبح بسكين حاد حتى لا يتعذب، يقول النبي ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم (أي: في الحروب) فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليُجدَ أحدكم شَفْرَتَه (السكينة التي يذبح بها) ، وليُرْخَ ذبيحته » متفق عليه فالرفق حتى مع قتل الأعداء أو ذبح الطيور أو البهائم

وقد بين النبي ﷺ أن الله سبحانه قد غفر لرجل؛ لأنه سقى كلباً كاد يموت من العطش. بينما دخلت امرأة النار؛ لأنها حبست قطعة، فلم تطعمها ولم تَسْقِهَا حتى ماتت.

متى يكون الرفق مذموماً :-

إن الرفق يكون محموداً في أغلب أحواله مادام يحقق الغاية والمقصود منه وهو الخير والإصلاح، ولكنه يظل وسيلة لا غاية ، بمعنى أنه قد يفهم في بعض الأحيان السماحة والرفق على أنهما ضعف وذلة، بل إن الرفق عند استخدامه مع بعض الناس يؤتي نتيجة عكسية فلا يجوز معهم آنذاك إلا الشدة .

فهناك مواقف لا يجوز فيها استخدام اللين، ويكون القول الفصل في ذلك هو استخدام الحكمة ووضع الأمر في موضعه.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال: وإذا كان الرفق خرقاً، كان الخرق رفقاً.

وفي هذه المقولة معنى جميل، حيث المعنى أنه في بعض الحالات يكون الرفق في غير صالح من ترفق به، فتكون القسوة أحياناً هي عين الرفق به لردّه لمصلحته: ومثال على ذلك:

• إذا طاع الأب ابنه المريض ولم يعطه الدواء المر رفقاً به لو كان رفيقاً مع ابنه لهلك الولد.

• والله سبحانه وتعالى يبتلي عباده أحياناً بمرض أو شدة ليظهرهم من الذنوب، ويرفع درجاتهم، ومنهم من يعود فيتوب. وفي واقع هذه الابتلاءات قمة الرحمة.

• وعند إقامة حدود الله لا يجوز معها التهاون أو الرفق، فالتهاون هنا يؤدي إلى ضياع الحقوق، وتمادي الظالم في غيه. واستشراء الفاحشة والظلم.

كما في قصة المرأة المخزومية التي سرقت، فلم يقبل النبي ﷺ شفاعة الشافعين فيها، بل غضب من أسامة بن زيد عندما استشفع لها، وقال له أتشفع في حد من حدود الله؟

• ومن الناس من يكون اللؤم طبعه فلا يجوز معه إلا الشدة.

ولنضع قاعدة من هنا: وهي أن نتعلم أن نزن الأخلاق في قوالبها الصحيحة بما يصلح معه المجتمع، لا بما يمليه علينا الهوى، وأيضاً نتعلم ألا نضع الأخلاق في قوالب مطلقة لا يجوز الخروج عنها، ولكن نتعامل معها على أنها مرنة نشكلها نحن بحسب كل موقف وما يحتاجه لصالح وإصلاح من نتعامل معه.

ولعل هذا هو الفرق الجوهرى بين توصيف الأخلاقيات التي نتعامل بها مع الناس، والأخلاقيات التي نتعامل بها مع الله تعالى.

حيث أن أخلاقيات التعامل مع الناس ليست مطلقة بل نسبية ومرنة تختلف باختلاف شخص من نتعامل معه، وباختلاف الموقف والظروف.

بينما أخلاقيات التعامل مع الله تعالى ثابتة ومطلقة لا تؤخذ إلا من منطق واحد فقط، فالإخلاص لله تعالى والتوكل عليه، والرضا بقضائه،.... أخلاقيات نتعامل بها مع الله بكل ما فيها من معنى ، فلا يجوز مثلاً أن نتوكل على الله في موقف وموقف آخر لا نتوكل عليه ، ونخلص لله النية في عمل وعمل آخر لا نخلص فيه لله وهكذا ..

فالله تعالى واحد ومتفرد في كل شيء تعالى شأنه عن أي نقص، بينما نحن فبشر خلقنا الله بطباع متغيرة ، وشخصيات مختلفة ، لنا مالنا وعلينا ما علينا ، ولذا فإن أخلاقيات التعامل مع البشر تتغير بينما أخلاقيات التعامل مع الله تعالى لا تتغير أبداً.

الرفق لا يناقض الحزم :-

إن الرفق لا يضاد الحزم أو يناقضه ، بل إن الحزم عندما يكون في موضعه دون إهانة أو تجريح يكون عين الحكمة .
ولذلك قال بعض السلف: لا تكن رطباً فتعصر، ولا يابساً فتكسر.
وقال بعضهم: لا تكن حلواً فتبلع، ولا مرّاً فتلفظ.
وكان عمر يقول: إني لا أضع سيفي موضع قلبي، ولا قلبي موضع سيفي.

ومن كتاب لأمر المؤمنين عليه السلام إلى بعض عُمّاله : واخلط الشدة بضغت من اللين وارفق ما كان الرفق أرفق.
وفي غرر الحكم : اخلط الشدة برفق ، وأرفق ما كان الرفق أرفق.

ملمع :

وهذه المعادلات وهي خلط الشدة باللين ، والرفق مع الحزم هي التي يجب أن نتعامل بها في تربية أولادنا حتى ننشئ جيلاً قوياً متحملاً للمسئولية ، يحمل نفس قوية قادرة على حمل الأمانة ، وفي نفس الوقت متزن نفسياً لا يخرج للمجتمع باضطرابات نفسية وسلوكيات نقص في الشخصية.

قصة :

يحكى أن أحد الأطفال كان لديه سلحفاة، يطعمها ويلعب معها، وفي إحدى ليالي الشتاء الباردة جاء الطفل لسلحفاته التي يحبها ليلعب معها فوجدها قد دخلت في غلافها الصلب طلباً للدفء، فحاول أن يخرجها فأبت، فضربها بالعصا فلم تستجب.. فصرخ فيها فزادت تمنعاً.

فدخل عليه أبوه وهو غاضب وحانق، وقال له: يا بني ماذا بك ؟ فحكى له ما كان من السلحفاة، فابتسم الأب وقال له : دعهما وتعال معي ، ثم أشعل الأب المدفأة ، وجلس بجوارها هو والابن يتحدثان . ورويدا رويداً وإذ بالسلحفاة تقترب منهم طالبةً الدفء .

فابتسم الأب لطفله وقال :

يا بني الناس كالسلحفاة إن أردتهم أن ينزلوا على رأيك فأدفعهم بعطفك ، ولا تكرهمهم على فعل ما تريد بعصاك .

فهكذا أصحاب الكلام اللين الطيب، فهم يدفعون الناس إلى حبهم وتقديرهم ومن ثم طاعتهم بإعطائهم من دفء قلوبهم ومشاعرهم الكثير والكثير.

كذلك البشر لن تستطيع أن تسكن قلوبهم إلا بدفء مشاعرك وصفاء قلبك... ونقاء روحك. وطيب كلامك

العفو والصفح

كان هنالك أخوين يسيران في صحراء .. فحدث موقف بينهما جعل
الأخ الأكبر يضرب أخاه ..

فكتب الأخ الأصغر على الرمال لقد ضربني أخي ..

ثم أكمل طريقهما ، وفي الطريق تعرض الأخ الأصغر للغرق ..

فأسرع له أخوه الأكبر محاولاً إنقاذه ، واستطاع أن ينقذه فعلاً ..

فكتب الأخ الأصغر على الصخر لقد أنقذني أخي ..

فقال الأخ الأكبر لأخيه :

- لماذا كتبت على الرمال أنني ضربتك وكتبت على الصخر

أنني أنقذتك؟!

فرد عليه أخوه قائلاً :

- لقد كتبت على الرمال أنك ضربتني حتى تجئ الرياح

فتزيلها فأنساها، أما عندما أنقذتني فكتبتها على الصخر حتى لا

تمحى أبداً... ولا أنساها أبداً.

ماذا جره علينا مجتمع غير متسامح؟

إذا نظرنا إلى واقع مجتمعنا الآن لصدمننا بما وصلنا إليه من تقطيع للأرحام ، وتمزيق لصلات وأواصر ، وانشغال بتوافه الأمور عن العمل الحقيقي ، وانتشار الأمراض النفسية من اكتئاب وإحباط وانسحاب من التعامل مع المجتمع ، وأمراض بدنية مثل الضغط والسكر والقلب وغيرها من أمراض لم نسمع عنها من قبل ، وسواد حالة من الحنق والغضب ، وعدم الإنجاز ، وانهيار الطموحات ، وكل ذلك نتيجة انعدام خلق التسامح والعفو في المجتمع ، ولست أبالغ في ذلك بل أكثر ويتضح ذلك بالمقارنة بصورة مجتمع متسامح ودود يسوده الحب والتعاون والتآلف ، فلك أن تتخيل كم العطاء الذي سينتجه مجتمع مثل هذا ، ومشاعر الطمأنينة والسكينة التي ستنتج عن التماسك والسماحة ، واختفاء الأمراض النفسية والجسدية

واعفوا واصفحوا

لقد حث ديننا الحنيف على العفو في مواضع كثيرة، وبشر العافين بالأجر العظيم.

فقد قال الله تعالى: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن

الجاهلين } .الأعراف

{ ..فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين } آل عمران

{...واعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره } البقرة

<< فما معنى العفو ؟

الحفو :-

في اللغة هو المحو، والعفو له مفهوم واسع، فهو ليس فقط معناه الصفح عن ظلم واقع أو خطأ مقصود، ولكن مفهومه الأوسع هو التنازل عن حقٍّ عن رضا ومقدرة ابتغاء وجه الله تعالى ، وهذه النقطة تحتاج إلى تفسير !!

فمسامحة شخص ما اعتدى عليّ بصورة ما مع القدرة عليه فهو تسامح عن حقي فهو عفو.

وأن أنفق من مالي الذي هو مملوك لي لشخص محتاج فهو عفو ،
ولذلك قال تعالى : (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يُبَيِّنُ الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) البقرة

وأن أيسر على شخص معسر وأترك له بعضاً من حقي فهو عفو
مثلاً قصة التاجر الذي قال لغلامه تجاوز عن المعسر عسى الله أن يتجاوز عني ، ومعناه التنازل عن حق مستحق كغرامة أو قصاص.

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ الشورى

وعن عائشة قالت : ما رأيت النبي ﷺ منتصراً من مظلمةٍ ظلمها قط مالم ينتهك من محارم الله ، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضباً ، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً . الترمذي

وقيل : الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة.

ويروى عن أحد الصالحين أنه دخل عليه رجل، وأخذ يشتمه، فرد عليه قائلاً: إن كنت صادقاً فيما تقول فغفر الله لي، وإن كنت

كاذباً فيما تقول فغفر الله لك.
وكذلك يروى عن أحد العلماء أنه كان جالساً في مجلسه ، فدخل عليه رجل ، ووقع فيه وقوعاً شديداً ، فرد عليه قائلاً : يا أخي ، إن كنت كما قلت ، فأنا شرٌّ مما تقول ، وإن لم أكن ما قلت فلا يضرني ما تقول .

لماذا نعضو؟

المكافأة كبيرة... فلم لا نعضو؟!

وإن كان القصاص وأخذ الثأر يهدئ النفس ويشفي الغليل من القلب، ولكن كل ذلك ما قيمته أمام المكافأة الكبرى التي وعد الله بها من يعفو ويصفح ، فكما تعفو يعفو الله تعالى عنك ، وتصبح من أهل الفضل والإحسان ، وتنال الجنة بغير حساب ، وتنال العز في الدنيا والآخرة .

فقد قال الله تعالى: {وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضها السماواتُ والأرضُ أعدت للمتقين * الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين } . آل عمران

وعن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « ثلاثٌ والذي نفسي بيده لو كنت حلفاً لحلفت عليهن : ما نقص مألٌ من صدقة ، فتصدقوا ، ولا عفا رجل عن مظلمة يتبغي بها وجه الله إلا زاده الله عزاً يوم القيامة ، ولا فتح رجلٌ على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر .» مسلم

وعن علي بن أبي طالب قال : ما التقت ففتان قط إلا نصر الله أعظمهما عفواً.

وروي أن رجلاً دخل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه ، ويقع فيه ، فقال له عمر : إنك إن تلقى الله بمظلمتك كما هي خيرٌ لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها ..

وقال النبي ﷺ : « إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى منادي: أين أهل الفضل؟

فيقوم الناس وهم يسرون فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتلقاهم الملائكة، فيقولون لهم إنا نراكم سراعاً إلى الجنة فيقولون نحن أهل الفضل فيقولون لهم: ما كان فضلكم؟؟ فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حلمنا... فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين». الطبراني

• المتسامحون أقرب الناس إلى القلوب

العفو عن الناس يُكسب ثقتهم وودهم واحترامهم، والتسامح أفضل وسيلة لكسب الأصدقاء وكسب الأعداء على السواء.

قال تعالى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ } . فصلت

وقد كان النبي ﷺ أعظم الناس تسامحاً وحلماً وعفواً واستحواذ أعلى القلوب ، حتى أن كثيراً من المشركين تحولوا عن دينهم للإسلام بسبب سماحته .

وأذكر مثلاً من حياتنا المعاصرة ، فقد حدث موقف ما مع الداعية المشهور عمرو خالد أثناء استضافته في برنامج ما على الهواء مباشرةً حيث استفزه صحفي مشهور آخر في مكالمة هاتفية ، فبدأ بالسلام على المذيع ولم يعير الداعية اهتماماً ، ثم أخذ ينتقده بشدة

ويصفه بأنه ظاهرة وستنتهي، والداعية صامت مبتسم حتى أنهى حديثه، فبدأ يرد بأدب وسماحة فبدأ بالثناء على هذا الصحفي وأعماله، وبأنه لا يكن بغضاً لأحد يهاجمه، وأخذ الصحفي يكيل له الإهانات ويستفزّه موجهاً كلامه للمذيع، والداعية محافظ على هدوئه وابتسامته، فبذا الموقف زاد في شعبية الناس له وبدأوا يدافعون عنه، ويهاجمون هذا الصحفي في كل مكان يذهب إليه، فثار لذلك الصحفي وظهر على برنامج آخر وهو على نفس حالة الهجوم الشديد على الداعية، فاتصل به الدعية على الهواء، وكلمه بمنتهى اللطف بأنك آلمتني أشد الإيلام وأذيت مشاعري، وكل ما أطلبه منك هو أن تغلق هذا الموضوع حتى لا يتذكره الناس وينسوا رسالتي التي أعكف على تحقيقها، فما كان من الصحفي إلا أن قال له: إنك أكثر سماحةً ممن كانوا يهاجمونني من أجلك.

• العفو قيمة حضارية

إننا في زمن الآن ينادي فيه العقلاء بالتعايش السلمي في العالم أجمع، وتزداد الدعوات فيه للحوار والتسامح على اعتبارها قيم حضارية تدفع للتقدم والحضارة، ولا يعلمون أن هذه القيم التي قام عليها الإسلام بل وجميع الأديان السماوية وهي التي أرساها لنا الله تعالى في الأصل من أجل إعمار الأرض، فما أحوجنا الآن لبنين للعالم أجمع أننا أحق الناس باتباع هذه القيم والأخلاق وبذلك نستطيع أن نقود العالم لكل خير.

• ألا تحبون أن يغفر الله لكم

ولقد شرع الله تعالى القصاص وأجاز للمظلوم أن ينتصر لنفسه إلا أنه وعد العافين الأجر العظيم فقد قال تعالى:

{وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له } .المائدة

ولنا في أبي بكر الصديق خير مثل على ذلك حيث امتحن امتحان قاسٍ، فقد طعن في عرضه من قبل ممن أحسن إليهم، فقد كان لأبي بكر الصديق قريب فقير يدعى مسطح بن أثاثه ينفق عليه ، فلما كانت حادثة الإفك ، وتكلم المنافقون في حق السيدة عائشة ، وتناقل بعض المسلمون ما يقوله المنافقون كان مسطح من بينهم ، فلما علم أبو بكر ذلك غضب وأقسم ألا ينفق علي الذي قابل إحسانه بالإساءة ، فنزل قول الله تعالى :

{ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولوا القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَّا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفورٌ رحيم} .النور ٢٢

وإن كان هذا الأمر صعباً على أي أحد فليس ذلك بصعب على الصديق الذي يؤثر الحق على نفسه أئى وجده. فلقد قدم العفو والصفح والإحسان الذي كان يقدمه له دون أن يقطعه .

• الصفح الجميل

وهي منزلة أسمى وأعلى درجة من العفو وهو نسيان الإساءة وعدم المعاتبة عليها، وكلما ارتقيت في درجات السماحة والعفو كلما زدت عزاً وعلواً عند الله .

يقول الله تعالى: { فمن عفا وأصلح فأجره على الله....} . الشورى ٤٠

ولكن هل معنى العفو أن نرضى بالظلم أو نسكت على سلب الحق حتى نكون متسامحين ؟

إن العفو ليس معناه الرضا بالظلم أو السكوت عن الحق وإلا كان

ذلك يعطي الظالم الفرصة أن يتمادى في ظلمه ويضيع الحق ويصبح للباطل الصوت الأعلى، وتستباح الأموال والأعراض، ولذا فإن القتال والدفاع عن الحق يصبح فريضة، ولذا لا مجال للعفو عندما تستباح الأموال والأعراض، ولا مجال للعفو عند مدافعة الأعداء.

• العفو عند المقدرة

إن العفو يصبح غير ذي قيمة عندما نكون من الضعف بحيث لا نستطيع رد الحق المسلوب، أو رد الاعتبار بأي طريقة كانت، أو يكون سكوت عن حق بسبب خوف أو جبن في النفس، ولكن قيمة العفو تظهر عند القوة والقدرة.

إن هناك فرقاً بين أن تعفو وأنت في موقف ضعيف وليس بيدك حيلة، وبين أن تعفو وأنت في موضع قوة وقدرة، فللمسلم أن يغفر ويسامح إذا استغضبه من دونه وهو بذلك يكون متسامحاً، وأما من أخطأ في حقه تجبراً فالأولى إظهار القوة والبأس له، وبعدما تنتفي علامات الضعف، وتنكسر شوكة الظالم فيأتي هنا عفو المقتدر، العفو الذي يزيده عزاً، ويعطي الظالم درساً.

الشيخ محمد الغزالي

قال تعالى: {والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون} * وجزاء سيئة سيئةً مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين} الشورى

ففي الآية الكريمة جاء الانتصار أولاً، ثم الحث على العفو الذي فيه عظم الأجر، والمتأمل للآية الكريمة يوقن بأن الإسلام حريص كل الحرص على كرامة المؤمن وعزته، والوصول به لأعلى درجات الرقي

الأخلاقي عندما يكون في ذاك المكان العالي فيعفو ويسامح ويرحم، فما أروع هذه الصياغة الروحية لبلوغ أقصى درجات الكمال الإنساني، فلا هو طلب منك أن تعفو وكفى فتوضع موضع ذلة أمام نفسك أو أمام أعدائك فالؤمن عزيز لا يذل ، ولا هو طلب منك أن تتماذى في الحساب والعقاب فيشوب نقاء القلب بعضاً من شماتة الانتقام ، فهو بذلك يعيدك إلى نقطة التوازن الأخلاقي .

قال بعض العارفين: ليس الحليم من ظَلِمَ فحَلِمَ حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظَلِمَ فحَلِمَ حتى إذا قدر عفا. ويقول علي : عند كمال القدرة تظهر فضيلة العفو .

وقصة يوسف مع إخوته خير مثال على العفو عند المقدرة، فقد حسده إخوته على حب أبيه له ، فكادوا له وألقوه في البئر، ومرت به بعد ذلك الأحداث القاسية حتى مكَّنه الله في الأرض وآتاه الملك ، وجاءه إخوته وهم في موقف ضعف يطلبون الطعام فعفا عنهم ولم يعاتبهم ودعا لهم بالمغفرة... قال تعالى {قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين} . يوسف

وما أعظم عفو النبي ﷺ وصفحه عن قريش بعد تعذيبهم له هو وأصحابه وألجأوه للخروج من بلده ورفضوا دعوته وحاولوا قتله وحاربوا دينه ، وبالرغم من ذلك عند فتح مكة واستسلام أهلها ، قال لهم : « ما تظنون أني فاعلٌ بكم ؟! » قالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم. قال: « لا أجد لي ولكم إلا كمثلي يوسف وإخوته: اذهبوا وأنتم الطلقاء » . فصصح عنهم دون عتاب أو من .

ما الذي يعيننا على العفو والتسامح؟

• حافظ على طاقتك:-

إذا تركنا أنفسنا للانجراف وراء مشاعر الكراهية والغضب تحت تأثير ظلم أو اعتداء شخصٍ ما علينا ، فسيعود علينا ذلك بالسلب ، حيث أنه استهلاك لطاقتنا ، و تبعاً لمفهوم البرمجة اللغوية العصبية فإن مشاعر الكراهية الملقاة على الآخر تعود ضد الذات دوماً بموجب التأثير المرتد . بينما بمعالجة الأمر بالحب والتسامح فسيعود ذلك إيجابياً على الذات .

• حدد هدفك:-

إن وجود هدف محدد للإنسان في الحياة يلح عليه ، ستجعله أقل انفعالاً تجاه أية استثارة له ، حيث أنه تلقائياً سيعلم أنه إذا استجاب لهذه الاستثارة ستستهلك من طاقته ، وبالتالي ستؤثر على آلية وصوله لهدفه ، فالعدو اللدود للنجاح والإبداع هو عدم التسامح وحب الانتقام، فالهدف يجعلنا نتخطى كل عثرة دون أن نقف أمامها .

• اشفق على من ظلمك:-

إن شخصاً يعتدي عليك متعمداً لهُو شخص يستحق الرثاء لحاله ، حيث أنه غالباً ما تكون عنده مشكلة نفسية في حياته كأن يكون مر بمشاعر كبت ، أولديه عقدة نقص من شيء ما جعلته فريسة للإحساس بالظلم والكراهية لمن حوله ، وبالتالي فقد أعطيته سبباً مبرراً لعدوانيته وعنفه ، وأعطيت نفسك سبباً للتسامح معه ، فبدلاً من مشاعر الكره نحوه ، فأنت تشعر بالأسف تجاهه.

قال ابن سيرين: إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذراً، فإن لم تجد له عذراً فقل لعل له عذراً.

• أحسن الظن:-

عندما يكون هناك سبباً غير واضح لدينا ، وخاصةً من أشخاص قريين منا نحبهم فتكون تصرفاتهم في بعض الأحيان عدائية من وجهة نظرنا بينما قد يكون من ورائها دافعاً للحب والإصلاح من جهتهم ، فافتراض حسن النية يوفر علينا الكثير من الضغط النفسي .

• ضع احتمالية أن تكون أنت المخطئ

قد أكون أنا المخطئ في الأساس ، فأكون قد تسببت لنفسني بمعاملة غير لائقة من الآخر ، ولا يكون لي الحق آنذاك بالغضب ، ولكن يكون من واجبي الاعتذار .

ملحوظة :

قد يتبادر للأذهان سؤال وهو ! ما الذي يجعلني أبادر بتقديم العذر لذلك الشخص بينما هو المخطئ وهو الذي تجاوز حدوده معي ، إنما الواجب عليه هو أن يحترمني ويتحكم في نفسه هو، ويسيطر على مشاعره مهما كانت دوافعه هو، وليس المطلوب مني أنا ، وهنا أقول أنه يجب أن نعود أنفسنا على ثقافة وأخلاق جديدة لم نعتد عليها بينما هي أصل الإسلام ، يجب أن أنظر إلى نفسي وأبحث ما هو الواجب المطلوب مني أنا ، وما هو خطأي إن أخطأت في حقه مثلاً ، وهل سيحاسبني ربي عن ما هو مطلوب منه أم سيحاسبني على ما هو مطلوب مني أنا ، وبذلك فأنا أعامل الناس بأخلاقي أنا وليس بأخلاقهم طلباً في الأجر من الله وحده . فإن لم أكن مخطئاً فمن واجبي هنا العفو .

العفو والتسامح من وجهة نظر الطب :

في دراسة نشرت في مجلة «دراسات السعادة» اتضح أن هناك علاقة وثيقة بين التسامح والمغفرة والعفو من جهة، وبين السعادة والرضا من جهة ثانية.

فقد جاؤوا بعدد من الأشخاص وقاموا بدراساتهم دراسة دقيقة، درسوا واقعهم الاجتماعي ودرسوا ظروفهم المادية والمعنوية، ووجهوا إليهم العديد من الأسئلة التي تعطي بمجموعها مؤشراً على سعادة الإنسان في الحياة.

وكانت المفاجأة أن الأشخاص الأكثر سعادة هم الأكثر تسامحاً مع غيرهم! فقرروا بعد ذلك إجراء التجارب لاكتشاف العلاقة بين التسامح وبين أهم أمراض العصر مرض القلب، وكانت المفاجأة من جديد أن الأشخاص الذين تعودوا على العفو والتسامح وأن يصفحوا عن أساء إليهم هم أقل الأشخاص انفعالاً.

وتبين بنتيجة هذه الدراسات أن هؤلاء المتسامحون لا يعانون من ضغط الدم، وعمل القلب لديهم فيه انتظام أكثر من غيرهم، ولديهم قدرة على الإبداع أكثر، وكذلك خلصت دراسات أخرى إلى أن التسامح يطيل العمر، فأطول الناس أعماراً هم أكثرهم تسامحاً..... ولكن لماذا؟

لقد كشفت هذه الدراسة أن الذي يعود نفسه على التسامح ومع مرور الزمن فإن أي موقف يتعرض له بعد ذلك لا يحدث له أي توتر نفسي أو ارتفاع في ضغط الدم مما يريح عضلة القلب في

أداء عملها، كذلك يتجنب هذا المتسامح الكثير من الأحلام المزعجة والقلق والتوتر الذي يسببه التفكير المستمر بالانتقام ممن أساء إليه.

ويقول العلماء: إنك لأن تنسى موقفاً مزعجاً حدث لك أوفر بكثير من أن تضيع الوقت وتصرف طاقة كبيرة من دماغك للتفكير بالانتقام! وبالتالي فإن العفو يوفر على الإنسان الكثير من المتاعب.

إذا أردت أن تسرَّ عدوك؛ ففكر بالانتقام منه، لأنك ستكون الخاسر الوحيد!

التواضع

فما زال يمر أمامي مشهد منذ سنوات في أحد المؤتمرات، حين طلب أحد الباحثين من رجل له مكانة مرموقة عند الناس، كان مشاركاً في المؤتمر، أن يرافقه في سيارته المخصصة له، حتى يستطيع ذلك الباحث أن يلحق بالجلسة الأولى ليقدّم ورقته البحثية، فأشار إليه «صاحب المكانة» أن يتحدث مع مساعده، وحين اتجه ذلك الباحث إلى المساعد، كان «صاحب المكانة» يشير من خلفه إلى المساعد بأن لا يوافق!

في المساء كان «صاحب المكانة» يلقي علينا محاضرة في المؤتمر عن حقوق الإنسان واحترامه وعن المساواة والتواضع بين الناس، ولسان حال الحاضرين يقول: نرجو أن تطبق شيئاً من التواضع. هذه صورة من صور الكبر والغرور الكثيرة التي تعاني منها مجتمعاتنا.

الكبر آفة الشعوب العربية

إن آفة الشعوب الكبرى هي الكبر والغرور ، فعندما تصاب أمة بهذا المرض فاعلم أنها بداية النهاية بالنسبة لها وقد يكون هذا المرض هو أكثر الأسباب التي جعلت الأمة العربية والإسلامية في تخلف وتراجع ، فإذا قارنت أمتنا بأمم أخرى لوجدت أكثر الشعوب تقدماً إنما هي أكثر الشعوب تواضعاً ، بينما نحن مازلنا نتعالى ونتفاخر بلا شيء .

وقد يطرح السؤال نفسه أين مظاهر الكبر هذه ونحن أمة ضعيفة ذليلة حتى قراراتها لا تملكها بيدها ؟! وأنا أقول أن هذا الضعف ما هو إلا نتاج للهوة الكبيرة التي خلقها انتشار الكبر بين أفراد المجتمع ، والذي تراه في:

- تكبر الأغنياء على الفقراء .
- وطبقة المتعلمين والمثقفين على الطبقة الدونية في التعليم أو الطبقة الأمية .
- والذي تراه في نظرة المستويات الراقية في المجتمع للمستويات التي دونها .
- والذي تراه في صورة الحاكم الذي يتعالى على شعبه .
- وأصحاب السلطة والنفوذ الذين لا يستطيع أحد أن يصل إليهم إلا عن طريق الواسطة ، والمسؤول الذي يعتبر نفسه فوق القانون ولا يلتزم به مثل الآخرين .
- المدير الذي يأمر وينهى موظفيه دون احترام لمشاعرهم .
- الزوج الذي يتعالى على زوجته بحكم أن له لأفضلية عليها، والزوجة التي تتكبر على زوجها بعملها أو بمالها أو بجمالها .

- وفي الآباء الذي لا يفهمون طريقة التعامل مع الأبناء إلا بالتسلط والأمر والنهي دون السماح لهم بالمشاركة أو حتى الاستماع لهمومهم ومشاكلهم .
- إلى غير ذلك من صور الاستعلاء بالرأي ورفض أي رأي مخالف.
- المتدين الذي ينظر لغير المتدين نظرة ازدراء وتعالى .
- حتى على مستوى الدول في وطننا العربي فالدول الغنية فيها تتعامل مع الدول الفقيرة باستعلاء وغطرسة.

وأين هذا من تعاليم ديننا العظيم التي تحت على تواضع الغني للفقير، فحينما يجد النبي ﷺ الغني الذي يلبس ثياباً فارهة ينفر ويبتعد عن الفقير الذي جلس بجانبه فيقول له النبي ﷺ : « أخشيت أن يعديه غناك ، أم يعديك فقره ؟ » .

وأين تواضع الحكام وذوي النفوذ والسلطة عندما يعلمون أن أبا بكر الصديق كان يحلب الغنم لبعض فتيات المدينة، فلما تولى الخلافة قالت الفتيات: لقد أصبح الآن خليفة، ولن يحلب لنا، لكنه استمر على مساعدته لهن، ولم يتغير بسبب منصبه الجديد. وكان أبو بكر يذهب إلى كوخ امرأة عجوز فقيرة، فيكنس لها كوخها، وينظفه، ويعد لها طعامها، ويقضي حاجتها.

ولما لا يتعلم الآباء التواضع للأبناء من خير مربى عندما يستأذن النبي ﷺ الصبي الصغير الذي كان يجلس عن يمينه بأن يسقي من هو أكبر منه سناً أولاً .

ويقرر الله تعالى أن الفوز بالآخرة هم من تواضعوا في الدنيا .

{ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً

والعاقبة للمتقين}. القصص

وبالمقارنة بين أمتنا الآن وأمم أخرى متقدمة نجد مظاهر التواضع في صور شتى:

- فالحاكم مثله مثل الشعب في الحقوق والواجبات.
- كل شخص في الدولة يحترم القانون بلا محاباة أو أفضلية.
- كل فرد يرتكب خطأ يحاسب حتى لو كان رئيس الدولة.
- تقبل الرأي والرأي الآخر.
- عدم الاهتمام المبالغ فيه بالمظهر.
- كل فرد في المجتمع له قيمة مهما كان صغيراً أو كبيراً، أو غنياً أو فقيراً.
- كل مهنة لها احترامها بدون تفرقة بين مهنة ذات شأن أو مهنة حرفية أو غيرها.

إن مبدأ « من تواضع لله رفعه » ليس وعداً لشخصاً بعينه فقط ، بل هي سنة كونية تسري على الأمم أيضاً فالأمة المتواضعة يرفعها الله ويعزها حتى ولو لم تؤمن بدين الإسلام ، فالله يرفع أمماً بالأخلاق ، ويحط أمماً أخرى بالأخلاق ، والله عادل ولا يحب الفساد في الأرض ، فالكبر والتجبر هما أكبر محرض على الفساد والظلم، فمن سعى لإقامة العدل في أرضه رفعه حتى ولو لم يكن مسلماً ، فما بالك لو أقامته دولة الإسلام فإن الخير سيعم على العالم أجمع .

وإن كان من أكبر أزمتنا الآن هو الاستبداد بالرأي وعدم تقبل الرأي الآخر، فنحن نعاني في بلداننا أزمة حوار لابد لها من وقفة ، فالاستماع

للآخر واحترام رأيه حتى وإن كان مخطئاً دون تسفيهه تحرمنا من الخير الكثير ، ، فلعل الحق يكون معه فانتفع به ، أو يكون الحق معي فينتفع هو به ، ولهذا فهو شر أنواع الكبر لأنه يمنع صاحبه من قبول الحق ويقوده إلى الهلاك .

وقد قال النبي ﷺ : « الكبر بطل الحق ، ومطمع الناس » . مسلم

وهذا النوع من الكبر هو ما منع المشركين من التوحيد لله وقبول الحق الذي جاء به النبي ﷺ فهذا أبو جهل في قمة التكبر والخطورة يقول : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه! والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدق!

والكبر هو ما منع اليهود أيضاً من اتباع النبي ﷺ بالرغم من تأكدهم من أن ما جاء به هو الحق والذي ذكر عندهم في التوراة . فعن قصة السيدة صفية زوج النبي ﷺ أنها سمعت عمها يتحدث مع أبوها حيي بن أخطب وكان من أحبار اليهود بعد وصول النبي ﷺ المدينة وقد بعثه ليتأكد أنه هو النبي ﷺ الخاتم المذكور عندهم في التوراة ويبحث عن خاتم النبوة ،وعندما رجع حيي بن أخطب ، فسأله أخوه: أهو هو؟ « يقصد الموجود في التوراة » قال: هو هو (أي هذا هو النبي ﷺ) ، قال : فماذا تنوى؟ قال: عداوته ما بقيت».

وفي المقابل ترى النبي ﷺ يستمع لعتبة بن ربيعة التي دفعت به قريش للتفاوض مع النبي ﷺ فيقول له النبي ﷺ : « قل يا

أبا الوليد أسمع » ، وبعد أن يعرض عتبة بن ربيعة ما عنده يرد عليه النبي ﷺ دون أن يقاطعه ثم يرد عليه بكل أدب وتهذيب : « أفرغت يا أبا الوليد » .

وعندما خطب عمر بن الخطاب في الناس يوما وطلب منهم ألا يغالوا في مهور النساء ولا يزيدوا عن أربعمئة درهم لأن النبي ﷺ وأصحابه لم يزيدوا على ذلك، فلما نزل أمير المؤمنين من على المنبر، قالت له امرأة من قريش: يا أمير المؤمنين، نهيت الناس أن يزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمئة درهم؟ قال: نعم.

فقالت: أما سمعت قول الله : {وَأَتَيْتُمُ إحْدَاهُن قَنْطَارًا} (القنطار: المال الكثير).

فقال: اللهم غفرانك، كل الناس أفقه من عمر.

ثم رجع فصعد المنبر، وقال: يا أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا في مهور النساء، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب فليفعل.

الكبر وعواقبه في الآخرة :

الكبر مرفوض بكل صوره في الإسلام، وعواقبه شديدة فهو يؤدي إلى بغض الله وغضبه ، والذل يوم القيامة .

فالكبرياء هو صفة من صفات الخالق المتفرد بها ليس لأحد أن يشاركه فيها ، فهو وحده القادر بحق والغني بحق ، له ملكوت السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير .

يقول الله :

{قلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين*وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم} {الجاثية}

وعن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « يقول الله تعالى الكبرياء

ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي». مسلم وأبو داود

فكما يعطيك نعمة فهو قادر على أن يمنعها ، ولذا لا يحق لعبدٍ ضعيفٍ أن يختال ويتكبر بنعمة من الله بها عليه وهو لا يملكها أصلاً، فإن كان يتباهى بمال فلي تذكر أين الآن قارون الذي كانت جنوده لا يستطيعون حمل مفاتيح خزانته ، وأين كان منتهاه ؟ وإن كان يتباهى بسلطة فلي تذكر أين الآن فرعون الذي كان يتجراً على الله تعالى ويقول (أنا ربكم الأعلى) ، وأين ذهبوا حكماً تكبروا وتجبروا الآن على شعوبهم ؟ فمنهم من قتل على يد شعبه ومنهم من هرب ومنهم من سجن ، فكل شيء يُتباهى به فهو زائل لا محالة ، سواءً كان مال أو سلطة أو قوة أو جمال أو غير ذلك .

والله تعالى يبغض المتكبرين ويغضب عليهم ..
فقد قال في آياته: {إن الله لا يحب المستكبرين} النحل
{ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور} لقمان:

وعن ابن عمر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان » . البخاري وأحمد

وكما تكبروا في الدنيا فإنهم سيذوقوا الذل في الآخرة ...
فيقول النبي ﷺ : « يحشر الجبارون والمتكبرين يوم القيامة في صورة الذر يطوهم الناس لهوانهم على الله عز وجل » الترمذي

وتتوعدهم النار ...

ففي الحديث : « **قالت النار : أوثرت بالمتكبرين** ». البخاري ومسلم
وعن النبي ﷺ مرفوعاً قال: « **ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل محتلّ
جواز مستكبر** » البخاري ومسلم

ولعظم جرم الآثار المترتبة على تلبس هذا الخلق للمرء وبشاعته
، فإن الجنة لا يدخلها إلا القلب النقي تماماً من هذا الداء ...
فقد قال النبي ﷺ : « **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال
ذرة من كبر** » مسلم

التواضع

هو أن تضع نفسك حيث يجب أن توضع ، دون تكبر أو تفاخر ، ودون
ذلة أو هوان . والتواضع هو الانقياد للحق ، وتقبله ممن تحب وممن
لا تحب ، حتى لو كان الحق على لسان عدوك ، والتواضع هو قبول
العذر حقاً كان أو باطلاً ، دون رده أو محاجته .

وقام التواضع كما قال ابن القيم رحمه الله: أن لا يرى العابد لنفسه
حقاً على الله لأجل عمله ، فلا أحد يدخل الجنة بعمله بل برحمة
الله ، فالتواضع هو الذل والانكسار لله .

قال جلّ وعلا موجهاً خطابه للنبي : { **وَاحْضَرْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** } .
الحجر:

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « **من تواضع لله درجة رفعه
الله درجة** » . مسلم

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال : « ما نقص مالٌ من صدقة ، وما زاد الله رجلاً بعفوٍ إلا محزاً ، وما من أحدٍ تواضع لله إلا رفعه الله ».

مسلم

وعن عياض بن حمار قال: قال النبي ﷺ : « إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد . ولا يبغى أحد على أحد ».

مسلم

وحكى الأصمعي أن أبا بكر الصديق كان إذا مُدح قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون. وقالوا: ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم يدك يطيعوك.

إنما أنا عبد ...

كان النبي ﷺ وهو أشرف الخلق أكثر الناس تواضعاً، فعن أبي سعيد الخدري في وصفه للرسول يقول : كان النبي ﷺ يعقل الشاه ويعلف الناضح ، ويقم البيت ويخصف النعل ، ويرقع الثوب ، ويحلب الشاه ، ويأكل مع الخادم ، ويطحن مع الجارية إذا هي أعييت ، وكان لا يمنع الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله ، وكان يصافح الغني والفقير ، ويسلم مبتدئاً ، وكان لا يرد من دعاه ولا يحقر ما دعي إليه ولو إلى مشق التمر ، وكان لين الخلق ، كريم الطبع ، جميل المعاشرة ، طلق الوجه ، بساماً غير ضحك ، محزوناً من غير عبوس ، متواضعاً من غير ذلة ، جواداً من غير سرف ، رقيق القلب ، دائم الإطراق ، رحيماً بكل مسلم ، لم يتجشأ قط من شبع ، ولا مد يده من طمع .

وقد كان يجالس فقراء المسلمين من أهل الصفة ويأكل معهم ويسمع لهم حتى كان القادم الغريب لا يعرفه من بينهم . وعند بناء المسجد النبوي يقول أصحابه : كنا نحمل حجراً حجراً ، والنبي ﷺ يحمل حجرين حجرين ، وكان يحفر معهم الخندق في غزوة الأحزاب يداً بيد ، ولما كانوا في سفرٍ ، فأتوا بشاة فقال بعضهم : أنا علي ذبحها ، وقال الآخر : وأنا علي تقطيعها وشيها ، وقال النبي ﷺ : « وأنا علي جمع الحطب » ، هذا وقد كان أصحاب النبي ﷺ يتسابقون لخدمته إلا أنه كان يأبى إلا أن يعمل معهم يداً بيد .

كانت السيدة عائشة تحكي عنه فتقول : كان في مهنة أهله ، وكان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويعلف فرسه . وقد كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم . وكانت الأمة تأخذ بيده فتنتطق به حيث شاءت . وكان النبي ﷺ يقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد الله ، فقولوا عبد الله ورسوله » . البخاري

تواضع عمر وعمر...

ولا نستطيع في مثل هذا الموضع أن لا نذكر كلا العمرين مضرب أروع الأمثلة في التواضع لله :

فقد روي عن قيس بن حازم أنه قال : لما قدم عمر بن الخطاب على الشام تلقاه علماؤها وكبراؤها فقبل : اركب هذا البرزون (يطلق على غير العربي من الخيل) يرك الناس . إنكم ترون الأمر من ههنا ، إنها أراه من ههنا ، وأشار بيده إلى السماء ، خلوا سبيلي .

وروي في رواية أخرى : أن عمر جعل بينه وبين غلامه مناوبة ، فكان يركب الناقة ، ويأخذ الغلام بزمام الناقة ، ويسير مقدار فرسخ ، ثم ينزل ويركب الغلام ، ويأخذ عمر بزمام الناقة ، ويسير مقدار فرسخ ، فلما قربا من الشام كانت نوبة ركوب الغلام ، فركب الغلام وأخذ عمر بزمام الناقة فاستقبله الماء في الطريق ، فجعل عمر يخوض في الماء ، ونعله تحت إبطه الأيسر ، وهو أخذ بزمام الناقة فخرج أبو عبيدة بن الجراح وكان أميراً على الشام وقال : يا أمير المؤمنين ، إن عظماء الشام يخرجون إليك فلا يحسن أن يروك على هذه الحالة . فقال عمر : إغما أعزنا الله بالإسلام ، فلا نبالي من مقالة الناس . وقد حمل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الدقيق على ظهره ، وذهب به إلى بيت امرأة لا تجد طعاماً لأطفالها اليتامى ، وأشعل النار ، وظل ينفخ حتى نضج الطعام ، ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وشبعوا .

ويحكى أن رجلا من بلاد الفرس جاء برسالة من كسرى ملك الفرس إلى الخليفة عمر ، وحينما دخل المدينة سأل عن قصر الخليفة ، فأخبروه بأنه ليس له قصر فتعجب الرجل من ذلك ، وخرج معه أحد المسلمين ليرشده إلى مكانه . وبينما هما يبحثان عنه في ضواحي المدينة ، وجدا رجلا نائماً تحت شجرة ، فقال المسلم لرسول كسرى : هذا هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فازداد تعجب الرجل من خليفة المسلمين الذي خضعت له ملوك الفرس والروم ، ثم قال الرجل : حكمتَ فعدلتَ فأمنتَ فمنتَ يا عمر .

وقد خلفه في التواضع حفيده عمر بن عبد العزيز إذ آتاه ذات ليلة ضيف ، فلما صلى العشاء وكان يكتب شيئاً والضيف عنده ، كاد

السراج أن ينطفئ ، فقال الضيف : يا أمير المؤمنين ، أقوم إلى المصباح فأصلحه ؟ قال : ليس من مروءة الرجل أن يستعمل ضيفه . قال: أأنبه الغلام ؟ قال : لا ، هي أول نومة نامها . فقام عمر وأخذ البطة فملاً المصباح، فقال الضيف: قمت بنفسك يا أمير المؤمنين ؟ قال: ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر.

وقيل لعمر بن عبد العزيز : إن مت ندفنك في حجرة النبي ﷺ ؟ فقال : لأن ألقى الله بكل ذنبٍ إلا الشرك أحب إلي من أن أرى نفسي أهلاً لذلك .

التواضع....لماذا؟

إن قدرة الإنسان على التواضع هي مقياس لمدى ثقته بنفسه، فالكبر يعد خلل في الشخصية ، فإما أن تكون لديه عقدة نقص فيتظاهر بالكبر والتعالي معتقداً أن ذلك يخفي هذا النقص، وإما نتيجة لسوء تربية قائم على الأنانية وحب الذات ، ولذلك فإن الشخص المتواضع هو شخص متزن نفسياً، وممتلئ ذاتياً .

وقد قال ابن المعتز: لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا، ويرفع حقيرا، وليس بفاعل. الكبر يمنع صاحبه من قبول النصح، أو الخضوع لتأديب، فهو بذلك يدفع الخير عن نفسه .

العجب أول طريق الكبر، والكبر أول طريق الهلاك. التواضع يكسب الأصدقاء ومحبة الناس.

أكثر الناس تواضعاً أوسعهم حكمة ، وأرفعهم شأنًا.

وأثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال : « ويلك ، قطعت عنق أخيك - ثلاثا - من كان منكم مادحا لا محالة فليقل : أحسب فلانا ،

والله حسيبه ، ولا أزي على الله أحدا ، إن كان يعلم». البخاري

التواضع منتهى القوة

فقد يظن البعض أن التواضع ضعف ، بينما العكس هو الصحيح، فمن السهولة بمكان أن تجبر شخص ما على القيام بشيء ما ، بينما من أصعب الأشياء أن تقسر نفسك أنت على أن تلين أو تتواضع في مواقف معينة .

• التواضع يجلب السعادة والطمأنينة والسلام مع النفس

• الإنسان المتواضع إنسانٌ منفتح على العالم ، بينما الإنسان المتكبر يكون مغلق على نفسه ، يمنعه تعاليه أن يختلط أو يتعامل مع أي أحد .

• يختم الله تعالى على قلوب المتكبرين فتمتلئ قسوة وغلظة .
يقول الله : {كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار} غافر

كيف تتعلم التواضع، وتحمي نفسك من الكبر؟

وصف الحق تواضع المؤمنين في تعبير واحد فقال : { وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا } . الفرقان
ولخص عمر بن الخطاب قاعدة التواضع في بضعة كلمات فقال :
رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت من المسلمين، وأن ترضى بالدون من المجلس ، وأن تكره أن تذكر بالبر والتقوى.

• عليك أن تتفكر في بدايتك ونهايتك

فقد خلقك الله من طين الأرض ، ومآلك إلى ذلك في النهاية ، ثم وقوفك بين يدي العزيز الجبار ، فإذا تأملت ذلك الموقف ، فسيذوب أي خاطر للكبر قد مرَّ على قلبك .

فقد قال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْءًا مَّا كُنُورًا} * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}. الإنسان

• لا تتحدث عن نفسك ولا إنجازاتك بل اترك أعمالك تتحدث عنك.

• إقرأ سيرة النبي ﷺ ، وسير الصحابة في التواضع .

• تعلم الحلم والصبر في مختلف المواقف .

فالعصب غالباً ما يكون سببه كبر خفي في النفس ناتج عن عدم تقبل الرأي الآخر ، وتعالى النفس عن أي نقد لها ، وقد كان النبي ﷺ لا يغضب لنفسه أبداً مهما حدث، إنما كان يغضب لله ، وذلك إنما يشير إلى قمة إنكار الذات والتواضع .

• تجنب الجدل

فالجدل يولد الخصومة ويورث الحقد ، والباعث عليه غالباً ما يكون إظهار الفضل والانتصار للنفس ، وتجنبه يكسر الكبر الباعث على ذلك.

• قم بأعمال لست معتاداً عليها ، أو كنت تنظر إليها باستعلاء كل فترة مثل :

- القيام بأعمال حرفية مثل البناء أو السباكة أو النجارة أو غيرها من الأعمال .

فقد كانت حكمة الله تعالى في أن كل أنبياء الله عملوا بالحرف اليدوية كرعي الغنم مثل النبي ﷺ ، أو بالنجارة مثل نوح عليه

- السلام ، فعمل المرء بيديه تكسبه تواضعاً واستكانة .
- مجالسة الفقراء والمساكين .
- ركوب المواصلات العادية.
- اللعب مع الصغار
- احمل حقائبك بنفسك .
- تربية الطيور والحيوانات الأليفة مثل العصافير والقطط وغيرها .
- احمل حقائبك بنفسك .
- اجلس على الأرض
- البس ملابس عادية
- قابل أي شخص تعرفه أو لا تعرفه بترحاب وابتسام كأنك تعرفه
- وابداً أنت بالسلام.
- اشترك في أعمال جماعية وتطوعية.
- كل أنت وخادمك من طبق واحد وعلى نفس المائدة .
- المساعدة في أعمال المنزل
- وقد روي عن الحسن عن النبي ﷺ أنه قال : « **من خفف نعله، وورق ثوبه ، وحفر وجهه لله في السجود ، فقد برئ من الكبر** ».
- إذا حدثتك نفسك بأنك الأفضل ، أو أحسست بشيء من العجب فاكسرهما

وقد كان الصحابة والصالحين يفعلون ذلك .

مَا رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ نَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ صَعِدَ الْمُنْبَرُ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ لَقَدْ رَأَيْتَنِي أُرْعَى عَلَى خَالَاتِ لِي مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ فَيَقْبِضُ لِي الْقَبْضَةَ مِنَ التَّمْرِ وَالزَّيْبِ فَأَظِلُّ الْيَوْمَ وَأَيُّ يَوْمٍ.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا زِدْتَ عَلَيَّ أَنْ قَصَرْتَ بِنَفْسِكَ. فَقَالَ عُمَرُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنِّي خَلَوْتُ فَحَدَّثْتَنِي نَفْسِي، فَقَالَتْ أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ ذَا أَفْضَلَ مِنْكَ فَأَرَدْتَ أَنْ أَعْرِفَهَا نَفْسَهَا.

وقال عروة بن الزبير: رأيت عمر بن الخطاب على عاتقه قربة ماء: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا. فقال: لما آتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أكسرهما.

وكان الشيخ الشعراوي رحمه الله إذا ذهب إلى مكان ووجد الناس يهلهلون له ويعظمونه فكان يذهب إلى مكان يختفي فيه عن الأنظار ويشتغل بأي عمل مثل تنظيف حمام المسجد، أو الاشتغال مع عمال البناء، فكان إذا سأله ابنه لماذا تفعل ذلك؟! كان يرد عليه: حتى تعرف نفسي قدرها.

أفهدا من الكبر؟

لطالما كانت النية هي الحد الفاصل دائماً بين الحق والباطل، والخير والشر في السلوكيات الظاهرة، والكبر والتواضع، وثواب الله وعقابه إنما لا يعلمه إلا هو وحده، حيث لا يحص النوايا إلا هو، والدليل على ذلك...

ما رواه ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**من جر ثوبه خيلاً لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» فقال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ: إن إزارِي يسترخي إلا أن أتعاheadه، فقال له النبي ﷺ: «**إنك لست ممن يفعل خيلاً**». البخاري ومسلم

وروي عن حبيب بن أبي ثابت عن يحيى بن جعدة أن النبي ﷺ

قال ﷺ: « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ». قال رجل : يا رسول الله ﷺ، إنه ليعجبني نقاء ثوبي وشراك نعلي وعلاقة سيوطي أفهذا من الكبر ؟ فقال النبي ﷺ : « إن الله تعالى جميل يحب الجمال ، ويحب إذا أنعم على عبده نعمة أن يرى أثرها عليه ، ويبغض البؤس والتبؤس ، ولكن الكبر يسفه الحق ويغص الخلق ». مسلم وأحمد والترمذي

وهذا يدل على أن العجب إنما هو شعورٌ في القلب إذا خالط العمل أفسده، فإذا تحول إلى كبر كان خطره أكبر ، وعاقبته أعظم، بينما إذا خلا العمل وخلص من هذين الداءين فلا غبار عليه.

ومتى يكون التواضع في غير محل؟

إن التواضع ليس معناه القبول بالذلة والهوان، وليس معناه الضعف والخضوع والاستسلام ، فالفارق بينهما كبير فالهوان لا يقبله الإسلام . وفي الحديث : « من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا ». الطبراني

وروى عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : « من جلس إلى خني فتضع له ، لدنيا تصيبه ، ذهب ثلثا دينه ، ودخل النار ». البيهقي

ولكن التواضع هو الانبساط مع الناس دون حاجة تدعوك إلى ذلك غير وجه الله تعالى ، ولا يثنيك منصب أو مال أو شهرة أو غير ذلك في التبسط مع من دونك .

والمؤمن مطلوبٌ منه أن يجمع بين خلقي العزة والتواضع كلٌ في مكانه ، وقد كان الصحابة يصفون النبي ﷺ بأنه كان متواضعاً في

غير ذلة .

ويكون التواضع في غير محله عندما يضيع معه الحق، ويورث الهوان والمذلة.

ولكن قد يكون للكبر مكاناً .. فعلى من يكون الكبر إذا ؟

إن حكمة وتوازن الإسلام تدعو المؤمن أن يرقى بخلقه ويفرق بين الكبر الذي هو العزة بالاثم ، والعزة التي هي كبرٌ عن وجه حق .

• الكبر على المتكبر.

فقد روي عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا رأيتم المتواضعين فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم ، فإن ذلك لهم صغار ومذلة ، ولكم بذلك صدقة » . وقال بعض الفلاسفة : أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه .

وقال المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

• الكبر على الأعداء أو من يهين دينك.

ومثال على ذلك عندما رأى النبي ﷺ أبا دجانة يتبختر بين الصفين . فقال : « إنها لمشيئة يبغضها الله ، إلا في هذا الموضع » . الطبراني .

وفي حديث آخر « إن من الخيلاء ما يحبها الله ، ومنها ما يبغضها الله . فالخيلاء التي يحبها الله : اختيال الرجل في الحرب » .
فالكبر والتواضع مطلوبين على حدٍ سواء ، ولكن متى وأين هو ما

يشير إليه المعنى في هذه الآية.

قال : { يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزجة على الكافرين } المائدة

• كبرياء الإيمان وكبرياء الطغيان

إن الكبرياء المطلوب من المؤمن هو كبرياء الإيمان وهو المرادف لعزة المسلم بنفسه ودينه وربّه ، فلا يهين نفسه من أجل مال أو سلطان ، بل يترفع عن مغريات الدنيا التي تضع الإنسان في موضع ذلة ، بينما هو منبسط مع الناس ومع المسلمين وفي خدمتهم فهو واحدٌ منهم مهما علت مكانته ، و سبيل العزة إنما هو في طاعة الله .

بينما كبرياء الطغيان ، هو الاختيال والغرور بشيءٍ لا قيمة له بعرض من أعراض الدنيا والتعالي به على خلق الله ، ولذلك تجد نفس الشخص المتكبر بالباطل يرضى لنفسه بالذل في مقابل عرض زائل من أعراض الدنيا ..

وفي حديث عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ « المؤمن كالجمل الذلول . والمنافق والفاسق ذليل » . (من كشف الخفاء: عن أبي هريرة)

وقال بعض الحكماء : افتخار العبد المؤمن بربه ، وعزه بدينه ، وافتخار المنافق بحسبه ، وعزه بماله .

تواضع اليابانيين

لفت انتباهي التواضع المذهل للشعب الياباني ، بالرغم من التقدم الفائق التي وصلت إليه اليابان ، بل أيّ أعتقد أن هذا الخلق من الأسباب الرئيسية لتقدمهم وازدهار حضارتهم ، فتحيتهم باللغة

التواضع وأغلب مجالسهم هي الجلوس على الأرض ، وهذه قصة تبين تواضعهم :

يحكي مهندس عربي ذهب إلى اليابان تجربته فيقول:

تبين لي طيبة الشعب الياباني وتواضعه حيث ذهلت لما علمت أن مدير الشركة السياحية والتي تعتبر من أكبر شركات السياحة في اليابان هو من كان في استقبالنا في المطار، ورافقنا إلى الفندق، والأعجب من ذلك أنه في صباح اليوم التالي كان بانتظارنا في مطعم الفندق ويقوم بخدمتنا وتفقد ما ينقصنا

كذلك لاحظنا هذه السمة منتشرة في غالب الشعب الياباني ... فمثلاً عند زيارتنا لحاكم مدينة (نجاواي) - وكانت مقابلة رسمية وقد غُطَّت من قبل وسائل الإعلام اليابانية قد لمسنا تواضع الحاكم ومستشاريه، حيث تم استقبالنا بموجه من الترحيب الحار كأنما بيننا علاقة سابقة بل قدموا لنا الهدايا التذكارية بهذه المناسبة، وصورة أخرى من صور المجتمع الياباني كله ، عندما زار امبراطور اليابان وزوجته متضرري الزلزال الأخير ، وجلس على الأرض مع كل واحد منهم على حدة مع تحيتهم التحية المشهورة لديهم وأخذ يستمع إليهم .

لقد تخلص اليابانيون من عقدة النقص و من عقدة العظمة التي تعاني منها أغلب الشعوب الاخرى..

الياباني لا يشعر بأنه أحسن من الآخرين فهو يتعامل ببساطة و تواضع زاده مثابرة و تجلداً و صبراً في كل أعماله التي توكل إليهو يبدو وكأنه خادم للجميع .

و هو كذلك لا يشعر بان أحد خيرٌ منه أو مميز عنه فزاده ذلك تفانياً و دقة لا متناهية في الإنجاز و الإبداع في العملجعله يبدو في عمله وكأنه سيد الجميع.

ومضات من التواضع....فهل تلتقطها؟

• عندما كان أبوبكر عبد الكلام رئيساً للهند زار دولة خليجية، وكان ضمن برنامجه أن يزور إحدى الكليات ويلقي كلمة لأساتذتها وطلبتها وجمهور من الحاضرين، وأثناء وقوفه أمام المنصة، قال للجمهور الغفير الذي كان ينتظر كلمته: اسمحوا لي بدقيقة أسلم فيها على صديق لم أراه منذ فترة، وقد رأيته الآن بينكم، ثم نزل من على المنصة واتجه إلى باب القاعة حيث كان يقف حارس الأمن الهندي في تلك الكلية، واحتضنه وسلم عليه وتبادل معه بعض الكلمات، ثم عاد إلى المنصة وألقى كلمته.

وبعد أن غادر موكب الرئيس هرع المسؤولون في الكلية إلى ذلك الحارس يسألونه عن علاقته بالرئيس، فقال لهم: إن الرئيس رجل متواضع ومحترم، ولم يقل لكم طبيعة عملي معه، فأنا لست سوى السائق الذي كان يعمل عنده قبل أن يصبح رئيساً!!

• وأعرف شخصاً ذو مكانة عالية في القضاء ، عندما كان يبنى منزله كان يجالس العمال ويأكل معهم على الأرض ويضحك معهم ، بل وأحياناً يشتغل بيده معهم ، فكان أحياناً يشترك في دهان المنزل ، ويحمل الطوب والحجارة ، وينظف .

• كان والدي رحمه الله لا يطلب طلباً مني ولا من إخوتي إلا

على استحياء وكانت كلماته دائماً في منتهى التهذيب ، وكان كل عيد بعدما يصلي صلاة العيد يذهب ليزور أقاربه جميعاً ولا يأكل إلا عند الفقراء منهم الطعام المتواضع فإذا قلنا له : كنا ننتظر لك لتأكل معنا ، فيقول : خشيت أن أكسر بخاطرهم، ولم يعلم أحد بما كان ينفق على الفقراء في السر إلا بعدما توفي .

كلمة أخيرة :

وإن كانت الأخلاق جميعها مهمة لارتقاء النفس البشرية ، والسبيل لخيري الدنيا والآخرة ، إلا أن خلق التواضع في نظري هو الدافع والمحرك لجميع الأخلاق ، فالشخص المتواضع تجده صبوراً حليماً صادقاً دمس الأخلاق محبوباً من الناس ، فكأن خلق التواضع هو العربة الرئيسية التي تجر وراءها باقي عربات قطار الأخلاق .

«التواضع الحقيقي أبو كل الفضائل»

ألفرد دو موسيه

وإن كانت نفس الإنسان وشيطانه يوقعانه في شرك الأخلاق السيئة، والانحراف عن القيم المستقيمة ، إلا أن الكبر والغرور هما أسهل هذه الانحرافات وصولاً للقلب ، ووقوع الإنسان في شراكها من أيسر الأمور. فالإنسان كلما طال أمله ونسي أجله ، وظن أنه مخلص ، كلما وجد الكبر والغرور إلى قلبه طريقاً .

قال تعالى : {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ * أَن رَّاهُ اسْتَعْصَمَ * إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ

بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى { العلق

ومن رحمة الله تعالى بالإنسان الذي خلقه وهو أعلم به ، لم يتركه لنفسه ، بل أخذ في تقويمه ، وتأديبه وكسر شوكته وطغيانه إما بمرض ، أو حادثة ، أو نازلة لعلها تردده فيتذكر الله ويخضع له ، ويتواضع ، ولو تركه لطغيانه لهلك ، فإذا أبى الإنسان إلا أن يطغى فتح عليه أبواب كل شيء ، وتركه لنفسه .

{فَلَمَّا تَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ}. الأنعام

والكبر شرٌ كله ولذلك كان عقابه شديداً ، فهو يجعل المرء يغلق على نفسه ، ويضع نفسه في قوقعة ممنوع الاقتراب منها ، وهذا نوع من تقديس الذات ، ووضعتها في غير موضعها .

الخلاصة:-

إن الإيمان بالله تعالى ومباشرته للقلب هو أقوى وأقصر الطرق للتحلي بخلق التواضع ، فمن عرف الله حق المعرفة فكيف يخالطه كبرٌ في قلبه وهو مستشعر لضالة حجمه أمام الخالق العظيم ، فالإيمان يطرد الكبر من القلب ، وكلما علا إيمانك ازدادت تواضعاً ، وإن كان الإنسان المتواضع سيجني ثمرة تواضعه في الدنيا ، فالؤمن سيجني ثمرة تواضعه في الدنيا والآخرة.

إن من أكمل الأخلاق التواضع في غير ذلة ، والعزة في غير كبر.

الحياء

هو ما يمنع النفس من فعل القبيح والتقصير في حق ذي الحق ، وهو فضيلة من فضائل الفطرة، وحياة القلب في الحياء ، وإنسانٌ حيي أي إنسان حي القلب والضمير، فالحياء ملاك الخير كله ، فهو خلق يمنع صاحبه من فعل المنكرات ، وتجنب الوقوع في الآثام ترفعاً وخشية أن يُرى على نقيصة أو يوضع موضع قد يلام عليه . والحياء وقار ومروءة وهيبة.

وقد عرف العلماء الحياء بقولهم :

هو الكف عن كل ما يستخفه العقل ويهجهُ الذوق ، واستنكار كل ما لا يرضى به الخالق والمخلوق، وهو خُلُق شريف يمنع المرء فعل المحرمات وإتيان المنكرات ، ويصونهُ عن الوقوع في الأوزار والآثام ،ومن فقد الحياء فقد مروءته، ومن فقد مروءته خسر كل خير وفضل.

إلى أين وصلنا مع خلق الحياء؟

لقد كان العرب قديماً يتخرجون من القبائح في الأقوال و الأفعال، ولم تمنعهم العصبية والجاهلية من الرقي في الألفاظ واستهجان الأفعال الشائنة ، و كانت المرأة الحرة تموت ولا تتعري .

ولم يكن الحياء خلقاً مقتصرأً على العرب فقط، بل كان الرقي في الألفاظ و الكلمات المهذبة ، سمة من سمات المجتمعات الغربية في العصور الوسطى على الرغم من فترات الظلام التي عاشتها في هذه

العصور، حتى الملابس كان يراعى فيها الاحتشام وتغطية الجسد كله . لقد كانت هناك فواصل وحدود بين البشر يخطها خلق الحياء سواءً في المظهر أو في السلوكيات أو في استعمال الكلمات، ثم ما لبثت حقبة بعد حقبة تتحلل من حيائها ورقبها شيئاً فشيئاً .

ثم أصبح هذا الخلق يتراجع شيئاً فشيئاً بسبب اعتلال الفطرة ، وفساد السجية ، ومع ضعف وتراجع الإيمان في القلوب بدأ ينحسر هذا الخلق الرفيع شيئاً فشيئاً إلى أن انتقل غياب خلق الحياء لكل صور الحياة حتى وصل إلى درجة الآن أصبحت ترتكب فيها الفواحش علانيةً دون رادع ، والجهر بالألفاظ البذيئة دون استنكار ، وتستخدم الشتائم والسباب كوسيلة للتواصل والمزاح ، بل إنها وصلت إلى درجة لم تعد تستطيع معها أن تحمي نفسك ولا أولادك من سماع الفاحش من القول أو الفعل من كثرة انتشارها ، فتسمعها في الشارع وفي المدرسة وفي التلفاز وعلى الإنترنت ، وحدث ولا حرج عن عدم احترام الصغير للكبير، والمجاهرة بالمعصية في وضح النهار ، وأصبح التعري والمجون سمة من سمات هذا العصر، وصور انعدام الحياء تلاحقك في كل مكان .

أما في الغرب فقد تطور هذا الأمر تطوراً سريعاً حتى وصل لأقصى مراحلها ، فأصبح هناك ما يسمى بالأدب المكشوف والقصص الجنسية ، وكافة أساليب إثارة الغرائز، حتى أفلام كرتون الأطفال لم تسلم من ذلك.

ولكن ... قد يكون ذلك من الطبيعي مع فساد الفطرة وانعدام الدين، أما الغير طبيعي أن ننزل نحن المسلمون لهذه الهاوية. وإن كان من خلق لم يستطع الغرب الرقي إليه فإنه يكون خلق الحياء ، وإن كان من خلق أولى لنا نحن المسلمون من التمسك به

والحفاظ عليه فإنه يكون خلق الحياء ، غير أننا ما فتأنا أن نفرط تدريجياً بأهم خلق يميزنا عن غيرنا ، وقد اكتفين من الآخرين بتبعات جهلهم بقيمة هذا الخلق ، فصدرنا لهم أحسن ما عندنا واستوردنا منهم أسوأ ما عندهم ، وبذلك نكون قد تنازلنا عن كل شيء في مقابل لا شيء .

الحياء خلق الإسلام :

إن جميع الأديان التي نزل بها الرسل والأنبياء تدعو إلى الفضائل، وإذا كان لكل دين خلق ، لوجدنا الصرامة خلق اليهودية ، ولكانت السماحة خلق المسيحية ، أما الإسلام فخلقه الحياء . محمد الغزالي (خلق المسلم)

قال النبي ﷺ : « **إن لكل دين خلقاً ، وخلق الإسلام الحياء** » . مالك

ولقد جاء الإسلام ليعزز ويبين أهمية خلق الحياء .

فقد قال النبي ﷺ : « **الحياء لا يأتي إلا بخير** » . متفق عليه

فالإنسان الحي لا يكذب ولا يسرق ولا يرتكب الفواحش ، ولا يتفوه بالبغي من الكلام فالحياء يدفع الإنسان دفعاً لكل خلق حسن استحياءً من أن يراه الناس على قبيح .

وقال أيضاً : ﷺ « **ما كان الفحش في شيء إلا شانه ، وما كان الحياء في شيء إلا زانه** » . الترمذي

وقد صور النبي ﷺ في حديث له يبين فيه خطورة الاستهانة في الحرص على هذا الخلق ، فقال ﷺ :

« **إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء ، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقبلاً ممقلاً ، فإذا لم تلقه إلا مقبلاً ممقلاً نزعته منه الأمانة ، فإذا نزعته منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً** »

مخونا ، فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً ، نزعته منه الرحمة ، فإذا
نزعته منه الرحمة لم تلقه إلا رجيماً ملعناً ، فإذا لم تلقه إلا رجيماً
ملعناً نزعته منه ربة الإسلام .» ابن ماجه

وربط الحياء بالإيمان إذ قال :

« الحياء من الإيمان ، والإيمان من الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء
في النار .» أحمد والترمذي

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « الإيمان بضْعٌ وسبعون
شعبة . أو بضْعٌ وستون . فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة
الأذى عن الطريق . والحياء شعبة من الإيمان » . متفق عليه

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ مر على رجل وهو يعاتب أخاه في
الحياء يقول : إنك تستحي كأنه يقول قد أضر بك ، فقال النبي ﷺ :
: « دعه فإن الحياء من الإيمان » . متفق عليه

وقال بعض الحكماء:

من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه.

أنواع الحياء:-

١- حياء الوقوع في المعاصي

وهذا النوع من الحياء ينقسم بدوره لثلاث أنواع :

• الحياء من الله

والاستحياء من الله يكون بامتنال أوامرهِ واجتناب نواهيه ، والحياء من أن يرانا على معصية ، وهو أرقى أنواع الحياء ، لأن هذا النوع من الحياء هو قرين الإيمان أو قل هو (ترمومتر الإيمان) فكلما زاد الإيمان زاد الحياء من الله ، وكلما نقص الإيمان نقص الحياء من الله . قال : « الحياء والإيمان قرناء جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر » .
الحاكم

وقد روي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : إنا نستحي يا رسول الله ، والحمد لله . قال : ليس ذلك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، وتحفظ البطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ، وأثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » .
الترمذي

وقد روي أن علقمة بن علاثة قال : يا رسول الله عظمي . فقال النبي ﷺ « استع من الله تعالى استحياءك من ذنوبي الصيبة من قومك » .

وقال الفضيل بن عياض : لا تغلق بابك وترخي سترك وتستحي من

الناس ، ولا تستحي من القرآن الذي في صدرك ، ولا تستحي من الجليل الذي لا يخفى عليه خافية .

• الحياء من النفس

وهو عفة النفس وترفعها عن كل فعل أو قول ينقص من قدرها ، أو يقلل من احترامها ، فكما يستحي الإنسان فعل المعاصي أمام الناس فيستحي منها أيضاً في خلوته .
وقد قال بعض الأدباء : من عمل عملاً في السر يستحي منه في العلن فليس لنفسه عنده قدر .
وقال بعض الحكماء : ليكن استحيائك لنفسك أكثر من استحيائك لغيرك .
ودعا قوماً رجلاً كان يألف عشرتهم ، فلم يجبههم وقال : إني دخلت البارحة في الأربعين ، وأنا أستحي من سني .
وقال بعض الشعراء :
فسري كإعلاني وتلك خليقتي وظلمة ليلي مثل ضوء نهاري

• الحياء من الناس

وهو الكف عن الأذى أو الجهر بالمعصية خشية ملامة الناس ولأن هذا النوع من الحياء هو الأدنى بين أنواع الحياء فإن من خرج عليه استحق العقاب الشديد من الله لأنه قد تفلت من هذا الخلق نهائياً ، فلم يعد له منه إلا الجرأة والقحة .
ولذلك قال عَلَيْهِ السَّلَام : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافِي إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ » . البخاري

أي أن من يستحي من المجاهرة بالمعصية يكون قريباً من عفو الله ، لأن عدم الحياء من الناس سبباً في تفشي المعاصي . ومن الطبيعي ومن الفطرة أن يستحي المرء أن يراه الناس على قبيح ، ولذلك جاء قول النبي ﷺ : « **الإثم ما حاك في صدرك وكهرته أن يطلع عليه الناس** » . مسلم

وإنما الغير طبيعي هو أن ينقلب هذا الوضع فلا يبالي المرء بمن يراه ، بل إنه قد يفضح نفسه بنفس ويصف المعصية التي ارتكبها بل يفاخر بها أيضاً ، فهذا قد وصل لمرحلة خطيرة انعدم فيها إحساسه بالذنب ، أو شعوره بالإثم ، استوجبت هذا العقاب الشديد من الله له وهو خروجه من عفو الله نهائياً . وهذا ما يحدث بين كثير من الشباب ، ولهذا كان أهمية اختيار الأصدقاء .

وقد روى شعبة عن منصور بن ربيعي عن أبي منصور البصري قال: قال النبي ﷺ : « **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: يا ابن آدم إذا لم تستح فاصنع ما شئت** » . مسلم

وفي هذا المعنى قول الشاعر:

إذا لم تخش عاقبة الليالي *** ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير *** ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير *** ويبقى العود ما بقي اللحاء

وروي أن حذيفة بن اليمان أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا فتنكب الطريق عن الناس، وقال: لا خير فيمن لا يستحي من الناس. فالإنسان الحيي نفسه كريمة عليه لا يقبل أبداً أن يهينها بارتكاب

معصية ، أو يضعها موضع نقيصة تنقص من قدره أمام الناس، أو أمام نفسه، أو أمام الله ، وقد عنيت ذلك الترتيب في أنواع الحياء، فالحياء درجات أدناها الحياء من الناس، ويليهما الحياء من النفس، وأرفعها وأسمى منازلها الحياء من الله تعالى، وفي كل خير ، فالحياء يثني صاحبه عن كل فاحش وبذئ .

وقال بعض السلف يعظ ابنه : إذا دعتك نفسك إلى كبيرة فارم ببصرك إلى السماء واستح ممن فيها، فإن لم تفعل فارم ببصرك إلى الأرض واستح ممن فيها، فإن كنت لا ممن ما السماء تخاف ، ولا ممن ما في الأرض تستحي فاعدد نفسك في عداد البهائم .

• حياء الإجلال والاحترام

وهذا النوع من الحياء يندرج تحته احترام الصغير للكبير، واحترام الطالب للمعلم ، والأبناء للآباء ، واحترام العلماء والشيوخ، وهذا النوع من الحياء يعين على الانضباط في المجتمع وإعطاء كل ذي حق حقه

ولكن ما نجده الآن هو واقع مغاير لما يجب عليه أن يكون الأمر ، حيث انكسرت هيبة الكبير وقل احترام الصغير ، وأصبح هناك طلاباً يتناولون على معلمهم ، وأبناء يصرخون على آبائهم ، فضاعت هيبة العلم، وغيضت قيمة التربية .

عن عبد الله بن عمر وكان دون الحلم أن النبي ﷺ قال : « إن من الشجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي . قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت . ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ﷺ ؟ قال : هي النخلة .» وفي رواية : ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهت أن أتكلم ، فلما قمنا حدثت أبي بما وقع في نفسي

، فقال : لأنك كنت قلتها أحب إلي من أن يكون لي حمر النعم.
البخاري

وعن أبي سعيد قال : لقد كنت على عهد النبي ﷺ غلاماً ، فكنت أحفظ عنه ، فما يمنعي من القول إلا أن ههنا رجلاً هم أسن مني.
متفق عليه

• حياء الستر والعفة :

فالفتاة التي تعرف معنى الحياء والعفة هي الفتاة الحريصة على مظهرها بأن يكون محتشماً ساتراً لجسدها ، وهي الفتاة التي تتجنب الكلام أو الضحك بصوت عالٍ يلفت الانتباه ، وهي الفتاة التي تعرف حدودها و تتحاشى علاقات ما قبل الزواج حفاظاً على نفسها .

إن لخلق الحياء دور كبير جداً في حفظ المجتمع وصيانتة ، فما بالك بمجتمع تتفنن فيه النساء بلبس الضيق والقصير والعارى بحجة الموضة ، وتصبح هذه المشاهد مألوفة في الجامعات وفي الشوارع وفي النوادي وفي الأسواق ، وما بالك بشاشات التلفزيون التي يشاهدها الكبار والصغار ولا يخلو منها بيت وهي تعج بكل صور التعري والتمايل وإثارة الغرائز وما بالك بمجتمع يطلق فيه الرجال أبصارهم دون رادع، وتسجل الإحصائيات الأرقام المفزعة للاستخدام السيئ لشبكة الإنترنت بالدخول على المواقع الإباحية ، واستخدام الشات وشبكات التواصل الاجتماعي في الفضائح وكشف عورات الغير.

ثم بعد ذلك نجد المجتمع يصرخ من انتشار حالات

التحرش والاعتصاب والقتل، وشيوع ظاهرة الخيانة الزوجية ، وزيادة معدلات الطلاق .

ولأهمية خلق الحياء في صحة المجتمع وتقويمه كانت تعاليم الإسلام التي تدعم هذا الخلق وتعين عليه
فكان الأمر :

• بغض البصر للرجال والنساء على حدٍ سواء.
قال الله تعالى : {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ { النور

- أمر النساء بالحجاب واللباس الفضفاض الذي لا يصف ولا يشف
- بعدم الاختلاط بين الرجال والنساء.
- بعدم خلوة الرجل بالمرأة .
- بعدم خضوع النساء بالقول.
- تحريم صداقة الرجل بالمرأة .
- عدم التطيب للنساء عند الخروج من البيت .

وغير ذلك مما يصون المجتمع ويحافظ على الفرد والأسرة .
وقد كانت تتحدث عن قصة التزامها بالحجاب والزي الشرعي ، أنها كانت ذات يوم تسير في الشارع وكانت معتادة على لبس الضيق والقصر وفي ذلك اليوم لاحظت رجل رث الهيئة بغيض المنظر ينظر إليها ويحدق في جسدها ، فتقول : أحسست ساعتها بالاشمئزاز والتقزز ، وقلت في نفسي : حتى أنت أيها المقزز تنال مني وتنظر إلي ، وقررت في يومها أن أرتدي الحجاب وأصلح من طريقة لبسي .

وقصة أخرى عن فتاة شفاها الله بسبب شدة حياؤها، فقد أصيبت بمرض خطير في مكان ما بجسدها، وكان لابد من عملية في هذا المكان لإنقاذها من هذا المرض، ومع يسر الدين بأن الضرورات تبيح المحظورات إلا أنها أخذت تبكي وتدعو الله وتتوسل إليه أن لا تتكشف على أحد، وفي اليوم المقرر للعملية أجرت الأشعات للمرة الأخيرة ففوجئ الأطباء بأن شيئاً لم يكن ولا أثر لمرض أو ورم، فسبحان الله الذي استجاب لها وسترها.

• حياء اللسان :

وهو الحرص على استخدام الألفاظ المهذبة في التعامل مع الناس. وعفة اللسان عن البذاءة وقبيح الكلام، وتجنب الشتائم والسباب والألفاظ الغير لائقة.

• ألا تستع من حياء الله :

روي عن عمر أنه دخل على النبي ﷺ فوجده يبكي، فقال : ما يبكيك يا رسول الله ﷺ ؟ قال : « أخبرني جبريل أن الله تعالى يستحي من عبد يشيد في الإسلام أن يعذبه ، أفلا يستحي الشيخ من الله أن يعذبه بعدما شاب في الإسلام ». رواه أحمد وقد ورد في بعض الكتب المنزلة يقول : (ما أنصفني عبي ، يدعوني فأستحي أن أردّه ، ويعصني فلا يستحي مني).

قال ابن القيم : إن حياء الله كرم وبر وجود وجلال. فإنه تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً . ويستحي أن يعذب ذا شيبة في الإسلام .

وقال يحيى بن معاذ : من استحي من الله مطيعاً ، استحي الله منه وهو مذنّبأي لكرامته عليه يستحي أن ينظر إليه وهو على معصية .

وعن أبي يعلى بن أمية أن النبي ﷺ رأى رجلاً يغتسل في الفلاة بلا إزار ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « **إِنَّ اللَّهَ حَيِي سَتِيرٌ يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتَرَ ، فَإِذَا اخْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ** » . أبو داود والنسائي

وفي حديث ﷺ : « **أَنَّ اللَّهَ حَيِي كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّاهُمَا صَفَرًا** » . أحمد

• حياء النبي ﷺ :

عن أبي سعيد الخدري قال : « كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئاً عرفناه في وجهه » . متفق عليه

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ إذا أراد قضاء الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض . الترمذي وأبو داود

ومن حياته ما جاء في الصحيحين ، عن أنس في قصة زواج النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش ، أنه بأن تناول الصحابة طعامهم تفرق أكثرهم ، وبقي ثلاثة منهم في البيت يتحدثون ، والنبي ﷺ يرغب في خروجهم ، ولكن ، ولشدة حياته لم يقل لهم شيئاً ، وتركهم وشأنهم ، حتى تولى الله بيان ذلك ، فأنزل عليه قوله تعالى : { **فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ** } الأحزاب .

ومن صور حياته أن كان لا يرد سائلاً ، فعن أبي سعيد الخدري قال : كان النبي ﷺ حياءً ، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه .

وكان عثمان بن عفان يضرب به المثل في الحياء

قال النبي ﷺ: «أشدُّ أمتي حياءً عثمان»...»

قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها- : استأذن أبو بكر على النبي ﷺ وهو مضطجع على فراش ، عليه مِرْطٌ لي ، فأذن له وهو على حاله ، ففضى الله حاجته ، ثم انصرف ثم استأذن عمر فأذن له ، وهو على تلك الحال ، ففضى الله حاجته ، ثم انصرف ثم استأذن عثمان ، فجلس النبي ﷺ وأصلح عليه ثيابه وقال:

« اجمعني عليك ثيابك »... فأذن له ، ففضى الله حاجته ثم انصرف ، فقلت : يا رسول الله ﷺ ، لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان !! .

فقال : « يا عائشة إن عثمان رجل حيي ، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إلي حاجته ... » وفي رواية أخرى : « ألا أستحي ممن تستحيي منه الملائكة »... أحمد

متى يصبح الحياء مذموماً ؟

وهذا النوع من الحياء يكون مذموم شرعاً لأنه يحول بين المرء وبين قول الحق وفعل الخير، فقد يصدّه عن طلب العلم الواجب ويجر صاحبه إلى فعل المحرمات والوقوع في الكذب ويجر إلى ترك الواجبات والفرائض، فهو تلبيس من الشيطان وليس بحياء في الحقيقة.

قال النووي رحمه الله : « وأما كون الحياء خيراً كله ولا يأتي إلا بخير فقد يُشكل على بعض الناس من حيث إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يجلّه ، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وقد يحمل الحياء على الإخلال ببعض الحقوق

وقد قال النبي ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ** ». الترمذي
وقال القاضي عياض: والحياء الذي ينشأ عنه الإخلال بالحقوق ليس
حياءً شرعياً بل هو عجز ومهانة، وإنما يطلق عليه حياءً لمشابهته
للحياء الشرعي.

وصور الحياء المذموم كثيرة منها :

• **الحياء من قول الحق :**

فلا حياء في قول الحق كما فعل النبي ﷺ عندما شفع أسامة بن
زيد حب النبي ﷺ وابن حبه فلم يمنع الحياء النبي ﷺ أن يقول
لأسامة في غضب: « **أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ** يا أسامة والله لو
سُرقت فاطمة لقطعتم يدها ». البخاري ومسلم

• **الحياء من المطالبة بالحق :**

وذلك لا يسمى حياء بل هو ذل ومهانة وجبن.

• **الحياء من حمل الخير خشية الرياء :**

وقد جاء في الحديث: « **إِذَا جَاءَكَ الشَّيْطَانُ وَأَنْتَ تَصَلِّي فَقَالَ إِنَّكَ
تُرَى فَرْدَهَا طَوَّلاً** ».

ومعناه أن المرء يريد أن يعمل الخير فيدعه حياءً من الناس يخشى
الرياء .

• **الحياء من مسألة وطلب العلم :**

ولنا في أم سليم الأنصارية خير مثل حيث لم يمنعها الحياء أن تسأل
النبي ﷺ وتقول له : **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ** فهل على المرأة
من غسل إذا هب احتلمت ؟ فيقول لها النبي ﷺ ولم يمنعها الحياء

من الرد : « نعم إذا رأت الماء ».

وقد قيل : لا يتعلم العلم مستحيا ولا متكبرا.

• الحياء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

مجاراة الأصدقاء في سوء قول أو عمل حياءاً منهم ..

كأن يشرب معهم السجائر ، أو السخرية والغيبة من شخص ما ، أو عدم إقامة الصلاة في وقتها لأنه جالس معهم فيستحي أن يتركهم ليصلي .

وقال بعض الحكماء :

حياء الرجل في غير موضعه ضعف

ولن نستفيق من هذا الكابوس، ولن ننشل من هذا المنحدر إلا إذا تداركنا أنفسنا سريعاً وعدنا إلى حياء الفطرة الإيجابي الذي يحث على كل خير ويردع عن كل شر، ونفذنا تعاليم ديننا التي هي المنقذ لنا من أنفسنا ومن الهاوية .

القوة والشجاعة

إن الشجاعة في الرجال غلاظه
ما لم تزنه رأفة وسخاء

إن الشجاعة في القلوب كثيرة
ووجدت شجعان العقول قليل

رتب الشجاعة في الرجال جلائل
وأجلهـن شـجاعة الآراء

أحمد شوقي

القوة والشجاعة :

غالباً ما يعتقد الناس أن القوة والشجاعة هما وجهان لعملة واحدة، ولكن في الحقيقة أن لكلٍ منهما وصفاً مختلفاً عن الآخر، بيد أنه تربطهما علاقة تكاملية تجعلهما وثيقي الصلة ببعضهما البعض.

فإن كانت القوة توصف بالقدرة على التحمل، فالشجاعة توصف بأنها القدرة على المواجهة ، ولقد تأملت حيناً العلاقة التي تربط القوة بالشجاعة، فوجدت أن القوة هي المحرك الداخلي للشجاعة، فلا بد للشجاعة أن تحفّز بنوعٍ ما من القوة ، ليست بالضرورة أن تكون جسدية ، ولكنها قد تكون معنوية أو روحانية كالتي دفعت عبد الله بن مسعود لقراءة القرآن بصوتٍ عالٍ ليسمعه المشركين بالرغم من ضعف جسده فلم يخف من أذيتهم وضربهم له.

فإذا اجتمعت القوة الجسدية مع القوة الروحية استطاعت أن تصنع الأعاجيب ، ولخلقت شجاعة كشجاعة عمر بن الخطاب عندما خرج من مكة إلى المدينة مهاجراً وحده جهاراً نهاراً قائلاً قولته الشهيرة : من أراد أن تثكله أمه وييتم ولده ويرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي.

رعاية الإسلام لقوة الكيان الإنساني :

والقوة التي يراها الإسلام ويحث عليها ليست فقط قوة الجسد ، بل هي قوة الكيان الإنساني بكامله، أي قوة الروح والجسد والأخلاق

،وهي القوة التي تحقق الحق ، وتبطل الباطل ،وهي القوة التي تقيم العدل في الأرض، حتي أن شرائع الإسلام وتعاليمه جميعها تدفع بمسلم قوي البنية والعقل والروح .

فقد قال ﷺ: « **المؤمن القوي خيرٌ من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ، أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز**». مسلم
وكان حرص الإسلام على القوة البدنية فحرص على تربية الأطفال منذ نعومة أظفارهم على كل ما يقومُّ القوة النفسية والبدنية فيهم فوجه الآباء للرياضة:

فقد مر النبي ﷺ على قومٍ يتصلون - أي يرمون بالسهام يصيبون بها الأغراض - فقال : « **ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان راميا**». البخاري

ومما ينسب لعمر بن الخطاب أن قال :

« **علموا أولادكم السباحة والرمية وركوب الخيل**».

وشرائع الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج هي تمرينات وتدريبات روحية وبدنية لتحفيز القوة .والحرص على الطهارة، والغسل والوضوء الذي يعد قوة ونظافة للبدن وحماية له من الأمراض، وحرَم الخبائث من الطعام والشراب كالخمر ولحم الخنزير والميتة والدم ، واجتناب كل ما يضعف الجسد ويصيبه بالأمراض .
فقد قال في كتابه العزيز: ﴿ **يَحِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَيُحَرَّمُ عَلَيْكُمُ الْخَبَائِثُ** ۖ الْأَعْرَافُ

ولك أن تعرف مدى الأضرار والأمراض التي توصل إليها علماء الغرب الناتجة عن استهلاك هذه الأطعمة والأشربة في مجتمعاتهم .
وفي سبيل قوة المسلم والاهتمام بصحته حث على التداوي، فقال ﷺ: « **تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وله دواء خير داء واحد**

: **الهمزم** « أصحاب السنن

وقال عليه السلام: « لكل داءٍ دواء ، فإذا أصاب دواء الداء برى ، بإذن الله عز وجل ». البخاري ومسلم
فقد وضع سبلاً للوقاية من ناحية، ورفض الاستسلام لليأس والضعف والمرض من ناحية أخرى.

وكان حرصه على تربية النفس على القوة الروحية والعقائدية :

فقد قال عليه السلام: « لا يمنعن أحدكم هيبة الناس من التكلم بحق إذا علمه ». الترمذي
وقال عليه السلام: « لا يكن أحدكم إمعة . يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنن وإن أساءوا أسأنت !! ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تتجنبوا إساءتهم ». الترمذي

وأمره بالتحصن بحصن الأخلاق والترفع عن الأخلاق الدنيئة التي تذلل صاحبها وتضعفه ، فأمره بالصدق والأمانة و العزة وحفظ اللسان ، فالكذب جبن والخيانة دناءة ، وأغلاط اللسان ذلة والمسلم ليس بذليل ولا جبان. والإسلام يرفض كل أنواع الخزي والذل والضعف الذي يمكن أن يجره سوء الأخلاق .
إن القوة التي يرتضيها الإسلام ، هي القوة التي لا تسمح للضعف والوهن أن يتسلل لأي جانب من جوانب النفس المؤمنة.
وإن كان جُل هذا الحديث عن القوة، فإن الشجاعة هي نبت هذه القوة وثمرتها، فإذا تأهل المسلم وأصبح قوي البنيان في هيئته

ونفسيته أصبح مستعداً لمواجهة عدوه بكل شجاعة وإقدام، أياً كانت ضخامة هذا العدو وهيمنته.

الشجاعة الحقّة :

هي الدفاع عن الحق بكل جرأة دون الخشية من لومة لائم ، والعقيدة السليمة عندما تكون متمكنة من القلب والعقل فإنها تكون بمثابة الزاد الداعم والمرسخ لهذا الخلق . وإذا كان الإيمان بفكرة ما، أو بما يُرى أنه الحق يكسب المرء قوة يعجز هو نفسه عن تفسيرها، فما بالك بالإيمان بالله تعالى الذي هو مصدر كل القوى والطاقات.

إن الإيمان بالله تعالى يجعل الإنسان يقف أمام أعتى الطواغيت ليقول كلمة حق لا يخشى فيها إلا الله ، ويقف في وجه الباطل دون أن يردعه رادع حتى ولو كان الموت نفسه.

والإيمان القوي يكسب صاحبه قوة قد تزلزل الجبال، وتحطم الصخور، وتفجر البراكين ، وهذه القوة هي قوة الحق واليقين، هذه القوة هي التي استطاعت بها ماشطة بنت فرعون أن تقف في وجه الطاغوت دون خشية منه لتقول كلمة حق ، ودون أن يردعها رادع ، حتى وإن ألقى أولادها أمامها في النار، حتى وإن ألقيت هي نفسها في النار.

عن ابن عباس قال :

قال النبي ﷺ : « لما أسرى بي مرت بي رائحة طيبة فقلت : ما

هذه الرائحة ؟

فقالوا : ماشطه (من تسرح الشعر بالمشط) بنت فرعون وأولادها سقط مشطها من يدها فقالت : بسم الله . فقالت ابنة فرعون : أبي ؟ قالت : ربي هو ربك ورب أبيك . قالت : أولك رب غير أبي ؟ قالت :

نعم ، فدعاها فقال : ألك رب غيري ؟ قالت : نعم ربى وربك الله . فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها لتلقى فيها وأولادها فألقوا واحدا واحدا حتى بلغ رضيعا فيهم فقال : قعى يا أم ولا تقاعسي فإنك على الحق » . أحمد والبزار

ونفس هذه القوة هي ما جعلت المسلمون الأوائل يثبتون على الحق بالرغم من تعرضهم لأقصى درجات التعذيب والإيذاء ، ولا يزيدهم ذلك إلا قوة وإصراراً على إعلاء كلمة الحق .

وهذه القوة هي ما جعلت الأعرابي يقول للنبي عندما أعطاه قسمته من غنائم الحرب : ما على هذا اتبعتك ، ولكني اتبعتك على أن أرمى بسهم هاهنا - وأشار بالسهم إلى حلقه - ثم ما يلبث أن يجده في ساحة المعركة قتيلاً بسهم حيث أشار ، فيحملوه للنبي فيقول : « أهو هو » ، قالوا : نعم ، قال « صدق الله فصدق الله » النساء.

وما زالت ولا تزال تتوالى صور البطولة في كل زمن من الأزمان طالما وجد الإيمان الذي يغلي في عروق الرجال . وما كان لهذا الدين أن يقوم إلا على أكتاف الأقوياء الشجعان، تلك القوة التي تحمي الحق وتدافع عن العقيدة، والقوة التي نتحدث عنها هنا ليست القوة في الميدان فقط بل أيضاً قوة الكلمة، وقوة المنطق، والإصرار على المبدأ، وصد الطغيان في كل شكل من أشكاله. ولذا لن تقوم هذه الأمة مرةً أخرى، وتعود لعزها وسلطانها إلا عندما تنفض غبار الضعف والذل، وتستخدم ما ملّكها الله من أسباب القوة ، قوة الحق ، وقوة العقيدة، حتى تسود الأمم ، وتعلي كلمة الحق من جديد.

يقول الحق : { يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا } . مريم إن الشجاعة والقوة في الإسلام إنما هي قوة بصيرة تفرق بين الحق

والباطل ، فتحقق الحق وتبطل الباطل ولا تحايي، بينما الشجاعة بلا إيمان إنما هي شجاعة مبتورة، إن كانت في الحق كانت للرياء والفخر ، وإن كانت في الباطل كانت ظلمً بين.

ولقد كانت الشجاعة عند العرب في الجاهلية خلقاً يضرب به في الأمثال ويتحاكى به الشعراء، وتتفاخر به القبائل ، ولكن غايتها كان التعصب القبلي والحمية الجاهلية لأتفه الأسباب.

بينما القوة والشجاعة في الإسلام فغايتها الدفاع عن الحق ونصرة الضعيف، فهي ليست قوة مجردة وكفى بل قوة يحكمها العدل وتضبطها الحكمة، فهي شجاعة بصيرة لأنها مستمدة من الإيمان بالله العزيز القدير.

شجاعة النبي ﷺ :

كان النبي ﷺ أشجع الناس على الإطلاق وأجرئهم في الحق ولقد تجسد التوازن النفسي لخلق الشجاعة في شخص النبي ﷺ في ثلاثة أبعاد مختلفة هي :

• الشجاعة المبصرة :

لقد شهد أصحاب النبي ﷺ له بالشجاعة التي لا تحدها حدود، حتى أن أشد الرجال منهم كان يقول بأنهم كانوا يحتمون به إذا اشتد الأمر عليهم .

فيُروى عن علي بن أبي طالب أنه قال: كنّا إذا احمرّ البأس ولقي القوم ، اتقينا بالنبي ﷺ ، فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه.

ولنرى بعض مواقفه التي تلقى الضوء على قوته وشجاعته:

• حين تأمر كفار قريش على قتله ، وأعدوا القوة والرجال لذلك،

حتى أحاط بمنزله قرابة الخمسين رجلاً، فثبت عندها النبي ﷺ ولم يُصبه الخوف، بل نام ولم يهتم بشأنهم، ثم خرج عليهم في منتصف الليل بشجاعة وقوة، حاثياً التراب على وجوههم، ماضياً في طريقه، مخلفاً علياً مكانه.

• ويتحدث أنس بن مالك عن شجاعة النبي ﷺ عندما فزع أهل المدينة يوماً عند سماعهم لصوت عالٍ، فأراد الناس أن يعرفوا سبب الصوت، وبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم النبي ﷺ على فرس، رافعاً سيفه قائلاً لهم: « **لَمْ تَرَاهُمْ لَمْ تَرَاهُمْ** ». أي (لا تخافوا ولا تفزعوا) رواه البخاري و مسلم

• وذات مرة استظل تحت ظل شجرة لينام القائلة، وكان متعباً من أثر إحدى الغزوات، وقد علق سيفه على غصن الشجرة، وبينما هو كذلك إذ أقبل عليه أحد المشركين، أخذاً بسيف النبي ﷺ، قائلاً له: من يمنعك مني؟ فأجاب النبي ﷺ بقوة: الله! فوقع السيف من يده، ثم قام وأخذ النبي ﷺ السيف، وقال للمشرك من يمنعك مني؟ فأجاب قائلاً للنبي ﷺ: كن خير آخذ.

• ولما أصاب الصحابة يوم حنين من الأذى والهزيمة ما أصابهم، وفر أكثرهم من أرض المعركة، أما النبي ﷺ فلم يفر، فلقد كان على بغلته و أبو سفيان بن الحارث أخذ بلجامها والنبي ﷺ يقول بصوت عالٍ: « أنا النبي ﷺ لا كذب أنا ابن عبد المطلب ». رواه البخاري و مسلم

الاحتياط والأخذ بالأسباب وعدم التهور :

ولأن النبي ﷺ كان رمز الحكمة فكان يضع كل شيء في نصابه ،

فإن كان هذا النبي ﷺ الكريم الذي كان يحتمي به أصحابه ساعة الشدة ، وما المواقف السالفة الذكر إلا نبذة صغيرة من مواقفه التي لا تحصى في الشجاعة والإقدام ، إلا أنه هو نفسه النبي ﷺ الذي اختبأ في غار حراء هو وصاحبه أبو بكر الصديق تخفياً من الكفار وعملاً بالأسباب .

عدم استخدام القوة للانتقام للنفس وإنما لله تعالى :

ولنتأمل التوازن الخلقي للنبي فلم تطغى قوته وشجاعته على حلمه ورحمته ، بل لم تكن قوة النبي ﷺ وشجاعته في غير محلها ، فهذه عائشة رضي الله عنها تقول : (ما ضرب النبي ﷺ بيده شيئاً قط ، ولا امرأة ولا خادماً ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله) رواه مسلم .

فلم تدفعه شجاعته للتهور والتصدي للأمور بغير تحكيم العقل ، ولم تجعله قوته طاغياً ، بل كان يستخدم هذه الشجاعة في وقتها وفي محلها .

وإذا تخيلنا أن معنا كاميرا بها زووم يقربُ لنا هذه الصفة في شخص النبي ﷺ ونُدور حولها لنراها من كافة جوانبها لرأينا الآتي : إن هذه الصفة أصيلة في شخص النبي ﷺ ويعلمنا من خلال مواقفه متى نستخدمها ومتى نكف أيدينا ، متى نقدم ومتى نحجم ، مع من نستخدم قوتنا بلا هوادة ومع من نرحم ، أي حتى تكون شجاعة مبصرة فإننا نضعها داخل قالب من الحكمة ومقياس العقل .

متى تكون الشجاعة تهوراً؟

الشجاعة الحقيقية التي يرتضيها الإسلام هي الشجاعة

الواعية ، التي تستخدم القوة في مكانها ، وتظهرها في وقتها المناسب حتى تجنى ثمارها، بينما الشجاعة الثائرة بدون تفكير، والتي تشعلها العاطفة دون أن يضيف عليها العقل بحكمته فإنها قد تؤدي إلى نتائج عكسية تضر فضلاً عن أنها لا تفيد.

ففي بعض المواقف يكون التأني واستخدام المرونة أجدى، بل وأحياناً يكون تقديم بعض التنازلات من الحكمة بمكان.

ففي صلح الحديبية مثلاً وافق على شروط زعماء قريش بما فيها من تنازلات ، والتي كانت بنودها كالتالي:

- أن من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه.

- هدنة مدتها ١٠ سنين

- أن يعود المسلمون ذلك العام على أن يدخلوا مكة معتمرين في العام المقبل.

- عدم الاعتداء على أي قبيلة أو على بعض مهما كانت الأسباب

- أن يرد المسلمون من يأتيهم من قريش مسلماً بدون إذن وليه، وألا ترد قريش من يعود إليها من المسلمين.

وافق النبي ﷺ على شروطهم بالرغم مما كان فيها من إجحاف، حتى أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر الصديق غاضباً : لم نرضى الدنية طالما نحن على الحق وهم على الباطل ، وذلك لأنه لم يكن يرى الحكمة والنظرة البعيدة لالنبي ﷺ ، فلقد كان هذا الصلح فتحاً عظيماً على المسلمين ودخل الآلاف في الإسلام بسببه.

وهنا نستطرد الحديث ألم يكن من الممكن أن يرفض المسلمون الشروط والتنازلات ويدخلوا مكة ليعتمروا من قبل الشجاعة والجرأة؟ نعم ... ولكن ماذا كان سيترتب على هذه الشجاعة؟.....وهل كانت هذه الآلاف المؤلفة ستدخل في الإسلام ؟

وقد استخدم الحكمة وعدم التهور أيضاً خالد ابن الوليد عندما انسحب بجيشه في معركة مؤتة في الوقت المناسب. و شجاعة بدون تحكيم للعقل تصبح تهور يترتب عليه عواقب وخيمة.

صور القوة والشجاعة :

- كلمة حق عند حاكم ظالم شجاعة :
- اجتناب الغيبة ورد غيبة أخيك المسلم شجاعة.
- فالغيبة هي شيمة الضعفاء وصورة من صور الجبن حيث المغتاب لا يستطيع أن يذكر معاييب من يغبته إلا من وراء ظهره ، ورد الغيبة قوة وشجاعة حيث لا ينجرف مع كلام الآخرين على شخص آخر لمجاراتهم أو التقرب منهم بل إنه يذب عن أخيه وهو غائب.
- الصدق شجاعة.
- فالكذب جبن عن قول الحقيقة خوفاً من العواقب ، أما الصادق فإنسان شجاع لأنه يؤثر الصدق حتى ولو كان يرى فيه هلاكه.
- التحكم في النفس عند الغضب قوة.
- قال النبي ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة ، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .متفق عليه
- فالتحكم في المشاعر والانفعالات عند الغضب تتطلب قوة وقدرة على النفس ليست بالهينة.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شجاعة.
- الدفاع عن الحق شجاعة.
- عدم مجارة الناس في الخطأ شجاعة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ :
**« من أَرْضَى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأَسخط عليه الناس
 ومن أَرْضَى الله بسخط الناس رضي الله عليه وأَرْضَى عليه الناس »**.
 رواه الترمذي

• الأخلاق قوة :

إن الإنسان صاحب الخلق السيء إنما هو إنسان ضعيف منهزم من داخله، بل في بعض الأحيان يداري ضعفه بإظهار السوء للناس ، بينما الذي يتحلى بالأخلاق الحسنة أخلاقه تنبع من قوة تنبع من داخله فتجده يحيط به هالة غامضة تفرض احترام الناس له ومهابته.

• الإيجابية شجاعة :

إن السلبية أصبحت ظاهرة جليلة الآن في مجتمعنا وهذه هي النتيجة الطبيعية لحالة التخاذل والضعف والوهن التي أصابت الأمة ، فاستسلمنا للدعة والخمول والهزيمة النفسية والروحانية التي أصابتنا، فلننهض وكلٍ يقدم ما عنده دون خوف أو خشية من أحد، فنصرة الحق وصد الباطل ، وتقديم العون للمحتاج ، والمشاركة في الأعمال الخيرية ، وغيرها من الأمور الإيجابية التي لا يبادر بها إلا من يتصف بالشجاعة .

• الاعتراف بالخطأ شجاعة.

• مواجهة الخاطئ بخطئه شجاعة.

فقد قال : **« من رأى أحدكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فليغيره بلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »**.

وهنا تجدر الإشارة إلى توضيح المغزى من هذا الحديث ، حيث اللبث

الناتج عن عدم فهم هذا الحديث يسبب جدل وفوضى كثيرة، فاملتأمل لهذا الحديث يجد أنه ينطلق من مفهوم شامل يشمل حركة الحياة كاملة ، بينما يحصره ضيقوا الأفق على المعنى الضيق فقط .

ولنبداً من نهاية الحديث، بل من خارج دائرته
فهناك من يرى منكراً ولا ينكره بأي وسيلة ولا حتى بقلبه وكأنه
أمراً عادياً ، فهذا يخرجهم من دائرة الإيمان أصلاً. « من لم يهتم بأمر
المسلمين فليس منهم ».

وهناك من يرى منكراً فيهتز له قلبه فيرفضه ويستهجنه في نفسه
دون أن يحرك له ساكناً، فهذا يملك إيماناً ولكن ضعفه لم يرقى به
لأكثر من ذلك لكنه مازال داخل دائرة الإيمان.

إن هذا الحديث إنما يرمي إلى نقاط عدة :

- يريد هذا الحديث أن يخرجك من دائرة السلبية ، فالمهم أن يكون
عندك قدر من الإيجابية حتى تدخل دائرة الإيمان ، ثم لك حق
الاختيار بعد ذلك بأن ترتقي في درجة إيمانك.
- إن كان في استطاعتك أن تغير بالأعلى فاكتفيت بالوسيلة الأدنى فهذا
ضعف في الإيمان ، مثل من يترك زوجته تخرج بزي غير محتشم ، أو
يترك ولده يعتدي على غيره دون أن يردعه ، ومن يستطيع أن ينصح
زميله فيكتفي بالاستنكار بالقلب ، أو مدير يرى الفساد من موظفين
تحت إمرته فيتركهم دون ردع منه.
- أن هناك علاقة وثيقة بين الإيمان والشجاعة، فكلما قوي الإيمان في
القلب كلما ازدادت قوة وشجاعة .

هذا هو المعنى العام للحديث ، ولكن دعنا نتعمق أكثر في الحديث، ونسير على درب الحكمة التي علمنا إياها الإسلام ، ودرب التوازن الذي تتعقبه خطى هذا الكتاب من بدايته والذي نريد ان نصل إليه ...

إن المؤمن يستطيع أن يستنكر الباطل ويرفضه بقلبه في جميع الأحوال ، بل إن هناك أنواع من المنكر لا ينفع معها إلا أضعف الإيمان لأنه خارج عن دائرة الاستطاعة أصلاً ، وبذلك لا يكون هذا دليل على ضعف الإيمان.

والمفاضلة بين اليد واللسان أيضاً يحكمها ميزان الاستطاعة فهناك منكر لا يمكن تغييره إلا باللسان فتكون له أفضلية اليد مثل كلمة حق لصحفي في جريدة ، او كلمة حق في وجه حاكم ظالم .
وهناك منكر يمكن تغييره باليد أو باللسان فالتغيير باليد هنا له الأفضلية على ان تكون لي شرعية تغييره مثل الجهاد في سبيل الله ، أو تكون الأمور بيد مدير شركة أو حاكم دولة أو حتى رب أسرة فهو قادر على تغيير المنكر بأي وسيلة كانت .

والأفضلية هنا أيضاً بالتغيير بما أبرع فيه ، فيمكن أن أكون صحفياً أو كاتباً، فأفضل وسيلة للتغيير هي كلمة حق تدفع الباطل وتكون لها الأفضلية في الإيمان.

والتغيير باليد ليس المقصود به الضرب أو القتل أو الكسر وإن كان لكل مكانه، ولكن المقصود الأعم هو بذل أقصى استطاعة دون تخاذل أو جبن لإحقاق الحق وهدم الباطل وتغيير المنكر.
وإنكار المنكر إنما يكون من كل شخص حسب موقعه !!

فمثلاً موظف مرتشي ، أو مهممل في عمله يكون موقف التغيير منه مختلف ، فزميله له أن ينصحه باللسان ، أما رئيسه في العمل فله أن يفصله أو يجازيه ، بينما ابنه فله أن يستنكر بقلبه إن خشي عقابه وبطشه .

أما مفهوم البعض للتغيير بالأيدي بالضرب أو التخريب أو الإرهاب أو كسر المحلات أو استباحة القتل وفي ظنهم أن هذا أعلى درجات الإيمان ، إنما يكون أبشع أنواع الفساد ، ولا أراه من الإسلام في شيء ، بل أراه الخراب والدمار والإفساد في الأرض، وتشويه سمعة الإسلام وحسب ، وما كانت معاملات النبي ﷺ إلا بالسماحة والرحمة والحكمة حتى مع أقبح الأخطاء والمنكرات .

قال تعالي : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } النحل

كيف تصبح قويا؟

• استغفر الله :

لأن الذنوب والخطايا تثقل العاهل ، وتضعف النفس ، وتوهن البدن ، فنحتاج دائماً أن نخفف عن عاتقنا بالاستغفار والتوبة لله .. قال تعالي : { استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوةً إلهي فوكم ولا تتولوا مجرمين } . هود

• توكل على الله :

فعندما توقن بأن هناك من هو أقوى من كل الخطوب والمحن تركن له وتثق به عند الشدائد فسيبتدد الخوف وتستقر الروح . فقد جاء في الحديث « من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل

على الله .».

وقال تعالى : { وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتموننا وعلى الله فليتوكل المتوكلون } .
إبراهيم

• كن صادقاً :

فالصدق يعطيك الثقة بنفسك ، والقوة بداخلك .

• لا تتردد :

فالتردد نوع من الضعف ، ويخلق جو من الريبة والتوجس وخشية اتخاذ القرار والخوف من أي نتيجة .

قال النبي ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب عند الله من المؤمن الضعيف . وفي كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتتح عمل الشيطان » .
مسلم

• اتق الله :

من خشي الله خشيه كل شيء ، وخوف المؤمن من الله يورث هيبة له عند الناس قال النبي ﷺ : « من خافه الله تعالى خافه كل شيء ، ومن خافه غير الله خوفه الله من كل شيء » . الترمذي

وقالوا عن الشجاعة :

• الجبناء يهربون من الخطر والخطر يفر من وجه الشجعان

(الكونتيسة دوديتو)

• أشجع الناس من قاوم هوى نفسه وحبسها عن الدني (فولتير)

- وَمَنْ يَتَّهَيْبَ صُعُودَ الْجِبَالِ يَعْشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحَقَرِ
(أبوالقاسم الشابي)
- الشجاع من يخلق من اليأس أمل لأن اليأس فيه طعم الموت
ولأن الشجاعة معني الحياة
(علي الجارم).
- الجبن عبودية ، والشجاعة حرية (فرجيل)
- الشجاعة هي ينبوع الخصال الحميدة ومعظمها منشؤها منها
(أبراهام لنكولن)
- من الأفضل ان تكون أسدا ليوم على أن تكون نعجة طوال حياتك
(إليزابيث كيننج)
- قيل لـعلي بن أبي طالب الأسد الغالب، كيف تصرع الأبطال وكيف
تغلبهم، ما تنزل
في معركة إلا وقتلت من أمامك:
فقال: إذا لقيته كنتُ أقدرُ أني أقتله، ويُقدَّرُ هو أني قاتله فأجتمعُ أنا
ونفسه عليه فنهزمه.
- قال ابن القيم : ومن أسباب السعادة الشجاعة فإن الله يشرُّ
صدر الشجاع بشجاعته وإقدامه.

من يفقد ثروة يفقد كثيراً ..

ومن يفقد صديقاً يفقد أكثر ..

ومن يفقد الشجاعة يفقد كل شيء ...

الجود والكرم

لقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته فقال له : يا إبليس أخبرني بأحب الناس إليك ، وأبغض الناس إليك ، قال : أحب الناس إلى المؤمن البخیل ، وأبغض الناس إلى الفاسق السخي ، قال له : لم؟ قال : لأن البخیل قد كفاني بخله ، والفاسق السخي أتخوف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله ، ثم ولى وهو يقول : لولا أنك يحيى لما أخبرتك .

إياكم والشح...خطر الشح على المجتمع.

إن الشح أساس كل ظلم ، ووراء كل خلق سيء ، فالمجتمع الذي يسيطر عليه حب المنفعة الشخصية ، واستئثار كل فرد بما عنده ، والأنانية وحب الذات ، فلا يكون عنده استعداد لبذل للمال ، أو بذل للنفس ، أو حتى بذل للمشاعر الإنسانية ، فلا تنتظر منه إلا الفساد والإفساد ، ولا تجد بين جنابه إلا تقطيع للرحم ، وسفك للدماء وتشريد الآمنين .

وبسبب الشح انتشرت ظاهرة أطفال الشوارع ، والرشاوى وشهادة الزور والكذب والتملق والنفاق ، والحقد والحسد وغير ذلك من الأمراض الاجتماعية المنتشرة في مجتمعنا الآن .

وقد صدق النبي ﷺ حين قال : « **إياكم والشح فإنه أهلك من قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم** » .

مسلم

وعن أبي هريرة أنه قال : قال ﷺ : « **إياكم والشح فإنه دما من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ، ودعاهم فاستحلوا محارمهم ،**

ودعاهم فقطعوا أرحامهم » . الحاكم .. صحيح على شرط مسلم

وقال ﷺ : « **إياكم والظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم الشح ، أمرهم بالكذب فكذبوا ، وأمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالقطيعة**

فقطعوا » . الحاكم

وقال محمد بن المنكدر : كان يقال إذا أراد الله بقوم شراً أمر الله عليهم شرارهم ، وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم .

وقال يحيى بن معاذ : ما في القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا فجاراً : وللبخلاء إلا بغض ولو كانوا أبراراً .

وقال ابن المعتز : أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه .

احذر البخل

فالبخل نقمة على صاحبه وأعظم خطره أنه يزداد شيئاً فشيئاً حتى يؤدي بصاحبه إلى المهالك، وقد صور النبي ﷺ المنفق والبخل من خلال مثل عجيب فقال ﷺ:

« مثل المنفق والبخل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثدييهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق شيئاً إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه ، وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع . » متفق عليه من حديث أبو هريرة .

قال تعالى: { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون } . الحشر
فقد قال تعالى : { ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌّ لهم سيطوفون ما بخلوا به يوم القيامة } . آل عمران

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة بخل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة » . أحمد والترمذي

وقال أيضاً ﷺ : « شر ما في الرجل شح هالع ، وجبن خالع » .
وقال الحسن البصري : لم أرى أشقى بماله من البخل ، عيشه في الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء .
والبخل أسوأ صفات الإنسان لأنه يستدرك صاحبه شيء أفسح حتى يصبح بخيلاً في كل شيء حتى في المشاعر والأحاسيس .

وفي قوله تعالى : { أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ }
قال السعدي : (أشحة على الخير الذي يراد منهم، وهذا شر ما في

الإنسان، أن يكون شحيحاً بما أمر به، شحيحاً بماله أن ينفقه في وجهه، شحيحاً في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله، شحيحاً بجاهه، شحيحاً بعلمه، ونصيحته ورأيه)

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ : « **خِطْلَانٌ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبَخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ** ». الترمذي

والبخيل مكروه من كل من حوله حتى أقرب الناس إليه ، بل قد يتمنون موته حتى يتمتعون بأمواله التي حرّمهم منها في حياته. وأيضاً لا يتمتع البخيل بماله بل يظل يكتزّه حتى يموت ويتمتع غيره به

فعن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ : « **أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟** » قالوا: يا رسول الله ﷺ ، ما منّا أحد إلا ماله أحب إليه. قال : « **فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ** » البخاري.

أسباب الشح والبخل :

- حب الشهوات
- طول الأمل
- الخوف على الأولاد
- وقد قال ﷺ : « **الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبُونَةٌ** ». الحاكم وابن ماجه
- الخوف من الفقر
- حب المال لذاته

وهو أسوأ أسباب البخل، إذ أنه يعشق المال لذاته ويصير متعة عنده أن يجمع المال و يكتزّه ،ويضن به حتى بإخراج الزكاة منه ،ويقول الإمام الغزالي في الإحياء عن ذلك : (هو مرض في القلب عظيم لا سيما في كبر السن ، وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه ، ومثال صاحبه : مثال رجل عشق شخصاً فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه :

واشتغل برسوله ، فإن الدنانير رسول يبلغ الحاجات فصارت محبوبة لذلك .)

علاج البخل :

إن معرفة أسباب البخل والتعامل معها بحكمة هو بداية الطريق لعلاج هذا المرض القلبي الخطير:

- فإذا كان الباعث الشهوات ، فيكون بإشغال النفس عنها بأشياء أخرى مفيدة ، والتفكير بعواقب هذه الشهوات .
- وإذا كان الدافع طول الأمل ، فالعمر مهما طال فله أمد وسيترك أمواله لا محالة لآخرين
- وإذا كان الأولاد فلقد ضمن لهم الله رزقهم ومعيشتهم .
- وإن كان عشق المال لذاته فليتذكر أنه وسيلة لجلب المنافع والإنفاق في سبيل الله وليس غاية .
- وعلاج الأمر بضده من أنجح الوسائل فمن يجد في نفسه شحاً فليعالج نفسه بالبذل والإنفاق حتى تصبح عادة ، بل إنه سيستشعر لذة العطاء بعد ذلك .
- حسن الظن بالله تعالى، والثقة بوعده بالرزق .
- معاهدة النفس الدائمة بتحفيزها المستمر على ثواب الله للمنفق، وعقابه الشديد عن مانع حق الله في أمواله .

حيلة ظريفة ..

وقد ذكر الإمام الغزالي حيلة ظريفة في علاج البخل ، وهي بأن يغري نفسه ويخدعها بالذكر والاشتغال بين الناس بالسخاء ، ويستمر على هذا حتى يتعود البذل ، ثم يكون التخلص من الرياء بعد ذلك سهلاً عليه بتخليص النية لله حيث أنه تخلص من الصفة الأقوى المتمكنة منه بالصفة الأضعف . فبذلك يسلط خلق سيئ على خلق

أسوأ حتى يتخلص منه.

ويذكر على ذلك مثال:

إن المييت تستحيل جميع أجزائه دوداً ثم يأكل بعض الديدان البعض ، حتى يقل عددها ، ثم يأكل بعضها بعضاً حتى ترجع اثنتين قويتين عظيمتين ، ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحدهما الأخرى فتأكلها وتسمن بها ، ثم لا تزال تبقى جائعة إلى أن تموت ، فكذلك الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها ، ويجعل الأضعف قوتاً للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة ، ثم تقع العناية بمحوها وإذابتها ، ومنع القوت عنها حتى تموت ، مثل البخل فإنه يقتضي إمساك المال ، فإذا منع مقتضاه ببذل المال مع الجهد مرة بعد مرة ماتت صفة البخل وصار البذل طبعاً من دون تعب .

أنفق ينفق عليك..

يقول تعالى : { وما أنفقتم من شيءٍ فهو يخلفه وهو خير الرازقين } . وقال تعالى : { وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ } . البقرة وفي الحديث القدسي عن الله : « يا عبدي أنفق أنفق عليك ، يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ؟ فإنه لا يغيض ما بيده ، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان ، يخفض ويرفع » . البخاري

وعن جابر قال: ما سئل النبي ﷺ شيئاً قط فقال: لا . متفق عليه ولقد جاءه رجلٌ، فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون

الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها . رواه مسلم .
وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل » مسلم .
وجاء في حديث ﷺ: « اتقوا النار ولو بشق تمرة ». البخاري

لماذا تنفق..؟

• لتكون قريباً من الجنة :

قال النبي ﷺ : « السخي قريبٌ من الله ، قريبٌ من الناس ، قريبٌ من الجنة ، بعيدٌ من النار ، والبخيل بعيدٌ من الله ، بعيدٌ من الجنة ، بعيدٌ من الناس ، قريبٌ من النار ، ولجاهلٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله تعالى من عابدٍ بخيل . » . الترمذي

• إذا أذنبت ذنباً فأنفق :

فالصدقة تطفئ غضب الرب ، وتذيب الخطايا .
قال الله تعالى : { إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خيرٌ لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير } البقرة

وعن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال : « فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره ، يُكفِّرُها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » . البخاري ومسلم
فعن أبي ذر أن النبي ﷺ قال : « تعبد عابد من بني إسرائيل فعبد الله في صومعة ستين عاماً ، فأمرت الأرض فاخضرت ، فأشرف الراهب من صومعته ، فقال : لو نزلت فذكرت الله فازددت خيراً !! فنزل ومعه رغيف أو رغيفان ، فبينما هو في الأرض لقيته امرأة فلم

يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها ، ثم أغمى عليه .
 فنزل الغدير يستحم ، فجاءه سائل ، فأوماً إليه أن يأخذ الرغيفين ،
 ثم مات .. فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية
 بحسناته ، ثم وضع الرغيف أو الرغيفان مع حسناته ، فرجحت
 حسناته ، فغفر له .» ابن حبان

وعن النبي ﷺ قال: « إِنْ أَلَّهَ أَمْرٌ بِعَبْدٍ مِنْ زَكَرِيَّا بْنِ خَمْسٍ
 كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا قَالَ...
 وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ كَمِثْلَ رَجُلٍ أُسِرَ الْعَدُوُّ فَأَوْثَقُوا
 يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ فَقَالَ : هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْدِيَ
 نَفْسِي مِنْكُمْ ؟ وَجَعَلَ يُعْطِي الْقَلِيلَ وَالكَثِيرَ حَتَّى فَدَى نَفْسَهُ .»
 الحاكم

• تزكية النفس وتحريرها من عبودية المال :

فإذا استعبد المال صاحبه فإنه يضحي بكل قيمه ومبدأ من أجله
 فلا يعود يفرق بين الحلال والحرام .

عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ
 وَالدَّرْهِمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِصَةِ إِنْ أُعْطِيَ رِضًى وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ
 يَرْضَ .» البخاري

داوي الأمراض بالصدقة :

قال ﷺ : « حَصَنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرَضَكُمْ بِالصَّدَقَةِ
 ، وَاسْتَقْبَلُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالْإِعْمَاءِ وَالتَّضَرُّعِ .» أبو داود

وقال ابن القيم في زاد المعاد: (ها هنا من الأدوية التي تشفي من
 الأمراض ما لم يهتد إليها عقولُ أكابر الأطباء ، ولم تصل إليها علومهم
 وتجاربهم وأقيستهم من الأدوية القلبية والروحانية وقوة القلب
 واعتماده على الله والتوكل عليه ، والاتجاء إليه ، والانكسار بين

يديه، والتذلل له ، والصدقة ، والدعاء ، والتوبة والاستغفار ، والإحسان إلى الخلق وإغاثة الملهوف والتفريج عن المكروب ؛ فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم أعلم الأطباء ولا تجربته ولا قياسه ؛ وقد جَرَّبْنَا نحنُ وغيرنا من هذا أموراً كثيرة ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية !)

• لم يجدوا أثراً للمرض بعد صدقتها:

وهذه امرأة أخرى أصيبت بفشل كلوي - نسال الله السلامة والعافية لنا ولجميع المسلمين من كل بلاء وداء - ، وقد عانت الأخت من مرضها هذا كثيراً بين مراجعات وعلاجات ، فطَلَبَتْ مَنْ يتبرع لها بكَلِيَّةٍ بمكافأة قدرها عشرون ألف ريال ، وقد تناقل الناس الخبر، ومن بينهن امرأة فقيرة ، وقد حَضَرَتْ للمستشفى موافقة على كافة الإجراءات وفي اليوم المُحَدَّد دخلت المريضة على المتبرعة فإذا هي تبكي ، فتعجبت وسألتها عن حالها ما إذا كانت مُكْرَهَةً ؟! ، فقالت : (ما دفعني للتبرع بكليتي إلا فقري وحاجتي للمال) ، ثم أجهشت بالبكاء ، فهدأتها المريضة وقالت : (المال لكِ ، ولا أريد منك شيئاً) ولا تسأل عن فرحة الفقيرة بذلك ! ، وبعد أيام جاءت المريضة للمستشفى وعند الكشف عليها كانت المفاجأة المدوية التي أذهلت الأطباء حيث لم يجدوا أي أثرٍ للمرض فقد شفاها الله تعالى - وله الحمد والمنة -

قرر الأطباء موت طفله فأنقذه الله بصدقة والده :

قال الشيخ / عبد الهادي بدلة إمام جامع الرضوان في حلب السورية , قال : (في بداية زواجي مَنَّ الله علينا بطفلنا الأول ، ففرحنا به فرحاً شديداً ، لكن شاء الله أن يُصاب هذا الطفل بمرض شديد ، عجزَ عنه الطب حينها ، وبَدَأَتْ تسوء حالة الطفل وتسوء حالنا نحن أكثر حُزناً على فلذة كبدنا ونور عيوننا.. وكلكم يعلم ماذا يعني الطفل لوالديه وخاصة أنه طفلنا الأول !! .

لكن الشعور الأسوأ هو شعورنا بالعجز لأن نقدم له العلاج لمعاناته!! إلا أننا سلمنا أمرنا لله وقضائه ، لكن كان علينا الأخذ بالأسباب وعدم ترك أي فرصة أو سبيل لعلاجه .
دلنا أهل الخير على طبيب ذي خبرة وشهرة فذهبتُ إليه بالطفل ، والطفل يشكو من الحمى - التي تَأكَل قبل الطفل جسدي وجسد أمه وقلبها وقلبي - فقال لنا : « إذا لم تنزِل حرارة الطفل هذه الليلة فسيفارق الحياة غدا !) .

عدتُ بالطفل حزينا كثيراً ، يقض الأمل قلبي حتى فارق النوم جفني، فقممت لأصلي ، ثم ذهبت هائماً على وجهي تاركاً زوجتي عند رأس ابني باكية حزينة ، مشيت في الشوارع لا أعرف ماذا اعمل لابني !!، لكنني تذكرت الصدقة وحديث حبيبي النبي ﷺ حينما قال : « داووا مرضاكم بالصدقة » ، ولكن من سأجد في هذا الوقت المتأخر لأطرق بابه وأتصدق عليه ، وماذا سيقول عني إن فعلت ذلك ؟! . وبينما أنا كذلك إذ بهرةٌ جائعة تموء في الليل الأسود .. تذكرت قول النبي ﷺ حينما سأله الصحابة : وإنَّ لنا في البهائم أجراً؟! فقال :

« في كل كبد رطبة أجر » البخاري ومسلم ، فدخلت منزلي وأخذت قطعةً من اللحم ، فأطعمتها الهرة .

أغلقت الباب خلفي ، غير أن صوت الباب اختلط بصوت زوجتي :
« هل عدت .. إليَّ .. إليَّ .. سريعاً » !! ، فهرعت إليها .. وجدت وجه زوجتي قد تغير وعلى صفحة وجهها تهليلية بشر ! .
فقلت : عدتُ لتوي .

قالت : « بعدما ذهبت ، أغفيت قليلاً وأنا جالسة .. فرأيت رؤيا عجيبة ! ..

لقد رأيت نفسي محتضنةً ابني .. وإذ بطيرٍ أسودٍ كبيرٍ يهوي من السماء لينقض على طفلنا ليأخذه مني وأنا خائفة أضمُّ ابني بشدة لا أعرف ماذا أفعل ! وإذ بي يَقُطُّ يدفع الطيرَ دفْعاً شديداً ويعاركه عِراكاً ما رأيت أقوى منه ، مع أن الطير كان ضخماً ، وظل يدفعه ويعاركه حتى دفع الصقرَ بعيداً ، واستيقظت على صوتك تأتي » ..
يقول الشيخ : فتبسمت واستبشرت خيراً ، نَظَرْتُ إِلَيَّ زوجتي مندهشة من تبسمي !.

فقلت لها : عسى أن يكون خيراً ..

هرعنا إلى طفلنا .. لا نعرف مَنْ يَصِلُ أولاً وإذ بالحمى تزول عنه ويفتح الطفل عيناه ، وصباح اليوم التالي - والذي لا إله إلا هو - كان الطفل يلهو مع الأطفال في الحي والحمد لله (انتهى كلام الشيخ .
بعد أن ذكر الشيخ هذه القصة العجيبة ألقى هذا الطفل - الذي بات شاباً وعمره الآن حوالي ١٧ سنة وقد أكمل حفظ القرآن الكريم ، ويتابع تعليمه الشرعي - ، ألقى موعظةً بليغة بالمسلمين في مسجد والده ، مسجد الرضوان في حلب ، في أحد آخر ليال العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك ..

• صنائع المعروف تقي مصارع السوء :

قال عليه السلام: « **صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر** ». الطبراني

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في الوابل الصيب : (فإن للصدقة تأثيراً عجبياً في دفع أنواع البلاء ، ولو كانت من فاجر أو من ظالم ، بل من كافر ! ، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء : وهذا أمرٌ معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم ، وأهل الأرض كلهم مُقرُّون به لأنهم جرَّبوه).

قصة :

يذكر أن رجلاً يسمَّى ابن جدعان، قال: خرجت في فصل الربيع، وإذا بي أرى إبلي سماناً، يكاد الربيع أن يفجّر الحليب من ثديها، وكلما اقترب الحوار-ابن الناقة- من أمه درّت عليه، وانهاled الحليب منها لكثرة الخير والبركة. فنظرت إلى ناقة من نياقي ابنها خلفها، وتذكّرت جاراً لي له بنيات سبع، فقير الحال، فقلت: والله لأتصدقن بهذه الناقة وولدها لجاري، والله يقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} آل عمران: ،

وأحب حلالي هذه الناقة. يقول: فأخذتها وابنها، وطرقت الباب على الجار، وقلت خذها هدية مني لك، فرأيت الفرخ في وجهه لا يدري ماذا يقول، فكان يشرب من لبنها ويحتطب على ظهرها، وينتظر وليدها يكبر ليبيعه، وجاءه منها خير عظيم.

فلما انتهى الربيع وجاء الصيف بجفافه وقحطه، تشققت الأرض، وبدأ البدو يرتحلون يبحثون عن الماء في الدحول -والدحول هي حفر في الأرض توصل إلى محابس مائية أو أقبية مائية تحت الأرض، له فتحات فوق الأرض يعرفها البدو-. يقول: فدخلت في هذا الدحل

حتى أحضر الماء لشرب -وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرون-، فتاه تحت الأرض، ولم يعرف الخروج.

وانتظر أبناؤه يوماً ويومين وثلاثة حتى يئسوا، قالوا: لعل ثعباناً لدغه ومات، أو لعله تاه تحت الأرض وهلك، وكانوا-عياذاً بالله- ينتظرون هلاكه؛ طمعاً في تقسيم المال والحلال. فذهبوا إلى البيت وقسموا، وتذكروا أن أباهم قد أعطى ناقه لجارهم الفقير، فذهبوا إليه وقالوا له: أعد الناقة خيراً لك، وخذ هذا الجمل مكانها، وإلا سنسحبها عنوة الآن، ولن نعطيك شيئاً. قال: أشتكيكم إلى أبيكم. قالوا: اشتك إليك، فإنه قد مات!!

قال: مات!! كيف مات؟ وأين مات؟ ولم لم أعلم بذلك؟

قالوا: دخل دحلاً في الصحراء ولم يخرج.

قال: ناشدتكم الله اذهبوا بي إلى مكان الدحل، ثم خذوا الناقة، وافعلوا ما شئتم ولا أريد جملكم.

فذهبوا به، فلما رأى المكان الذي دخل فيه صاحبه الوفيّ، ذهب وأحضر حبلاً، وأشعل شمعة، ثم ربط نفسه خارج الدحل، ونزل يزحف على قفاه حتى وصل إلى أماكن فيها يحبو، وأماكن فيها يزحف، وأماكن يتدحرج، ويشم رائحة الرطوبة تقترب، وإذا به يسمع أنين الرجل عند الماء، فأخذ يزحف تجاه الأنين في الظلام، ويتلمس الأرض، فوقعت يده على الطين، ثم وقعت يده على الرجل.

فوضع يده على أنفاسه، فإذا هو حي يتنفس بعد أسبوع، فقام وجزه، وربط عينيه حتى لا تنبهر بضوء الشمس، ثم أخرجه معه خارج الدحل، ومرس له التمر وسقاه، وحمله على ظهره، وجاء به إلى داره، ودبت الحياة في الرجل من جديد -وأولاده لا يعلمون-، فقال:

أخبرني بالله عليك أسبوعاً كاملاً وأنت تحت الأرض ولم تمّت!

قال: سأحدثك حديثاً عجباً، لما نزلت ضعت، وتشعبت بي الطرق،

فقلت: آوي إلى الماء الذي وصلت إليه، وأخذت أشرب منه، ولكن الجوع لا يرحم، فالماء لا يكفي.

يقول: وبعد ثلاثة أيام، وقد أخذ الجوع مني كل مأخذ، وبينما أنا مستلق على قفائي، قد أسلمت وفوضت أمري إلى الله، وإذا بي أحس بدفع اللبن يتدفق على فمي.

يقول: فاعتدلت في جلستي، وإذا بإناء في الظلام لا أراه، يقترب من فمي فأشرب حتى أرتوي، ثم يذهب، فأخذ يأتيني ثلاث مرات في اليوم. ولكنه منذ يومين انقطع ما أدري ما سبب انقطاعه؟

يقول: فقلت له: لو تعلم سبب انقطاعه لتعجبت.. ظنّ أولادك أنك مت، وجاءوا إلي وسحبوا الناقة التي كان الله يسقيك منها..

• ادخر عند الله في الآخرة :

فالصدقة تدخر عند الله فينميها له ، ويربيها له وقد قال تعالى :

{ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ } البقرة.

أي أن الله تعالى حرم علينا الربا، ولكن الصدقات يردها الله لنا بفوائدها أضعافاً مضاعفة .

قال تعالى : { مَا مَعَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا مَعَدَّ اللَّهُ بَاقٍ } النحل

والمؤمن الذي هو من يفتن إلى أن ما يستهلك في الدنيا ينتهي وينفذ إلا الذي ينفق في سبيل الله فهو مدخر ثوابه عند الله تعالى، وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - عندما ذبحوا شاة فقال النبي ﷺ : « ما بقي منها ؟ قالت : ما بقي منها إلا كتفها . فقال : بقي كلها إلا كتفها ». الترمذي

وعن النبي ﷺ في الحديث القدسي يقول الله : « يا ابن آدم أفرغ من كنزك وعندي لا حرق ، ولا غرق ، ولا سرق ، أو فكيه أحوج ما تكون إليه ». البيهقي

وعن سعيد بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال النبي ﷺ : « ما تصدق أحدٌ بصدقةٍ من طيبٍ ، ولا يقبل الله إلا الطيب ؛ إلا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة تربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل ، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله » . الترمذي

• تجارة رابحة في الدنيا :

يقول الله : { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } . البقرة ٢٤٥
ويقول : « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم اعط ممسكاً تلفاً » . مسلم

قصة :

تقول صاحبة القصة...

قبل حوالي ثلاث سنوات زرت واحده من اعز صديقاتي، بعد زواجها بفترة في منزلها المتواضع.. شقة صغيرة قريبة من بيت أهل زوجها، ثم انقطعت الزيارات بيني وبينها، وظل التواصل الهاتفي.. أحدثها عن أخباري وهي كذلك، وكنت اعرف ان أمورهم في تحسن بدأ في بعض الأعمال التجارية.. حتى سنحت الفرصة لزيارتها مره أخرى، لكن هذه المرة في منزلها الجديد بأحد أرقى أحياء الرياض ، وحقيقة منذ وطأت قدمي بيتها ..

وأنا أقول ما شاء الله تبارك الله ما شاء الله تبارك الله.. بصراحة تفاجأت بمنزل راقى جداً، وأثاث فخم لا يشتريه إلا ذوي القدرات

المالية العالية، وأنا لا اقول هذا الكلام تنقيص من قدر صديقتي وزوجها، ولكن لعلمي السابق بإمكانياتهما المادية؟؟ وبعد جلوسي عندها وتجاذب اطراف الحديث، دفعني الفضول بعد ان دعوت لها بالبركة ، لسؤالي لها عن سر هذا التحول المادي الكبير...؟ قالت لي سبحان الله.. والله اني كنت أنوي أن أفتح هذا الموضوع معك ...

وقصت حكايتها فقالت:

أنا وزوجي قررنا منذ اكثر من سنتين أن نضع حصاله للنقود في غرفة النوم وكل يوم نقوم من النوم أول شيء نفعله، نضع أي مبلغ في الحصاله ريال.. خمسة.. عشرة.. مئة، المهم لازم أن نضع مبلغ يوميا.. حتى نكون مثل الذي ذكرهم النبي ﷺ : « ما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وملكان يناديان: اللهم أعطي منفقا خلفا وأعطي ممسكا تلفا ».

ويقوم زوجي أسبوعيا بفتح الحصاله ، ووضع ما بها في جيبه الأيمن دون معرفة المبلغ.. ثم يتصدق بها بعد صلاة الجمعة من كل أسبوع ووالله أننا من يوم بدأنا نطبق ذلك ونحن بخير، وتفتحت لزوجي أبواب الرزق من كل مكان.

والملاحظ أن أكثر الناس غنى في الدنيا هم أكثر الناس إنفاقاً في أعمال الخير ، مثل بل جيتس أغنى رجل بالعالم، فقد أوقف هو وزوجته مليندا هبة تفوق ٢١ بليون دولار لمؤسسة تعمل على دعم مبادرات خيرية في مجالي الصحة والتعليم على امتداد العالم، وما يزيد عن ٢٠٠ مليون دولار لمشاريع مجتمعية في شمال غرب المحيط الهادي، وأكثر من ٢٩ مليون دولار لمشروعات خاصة وحملات سنوية لجمع المال.

وهذه أوبرا وينفري أشهر إعلامية بالعالم والتي تقدر ثروتها ١,٣ بليون دولار والتي قدمت العديد من الأعمال الخيرية والتبرعات العينية حتى أنها تبنت خمسين ألف طفل أفريقي ، وأنشأت ٢٠٠ مكتبة بأريكا ، وأخر أخبارها أنها قررت توزيع ثروتها على المنظمات الخيرية .

• الإنفاق والجود حسن ظن وثقة بالله :

أخبرنا الله أن رزقنا بيده وحده ولن يأخذ أحداً رزقاً آخر ، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فقال تعالى : { **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُعْمِدُونَ** } ، وأخبرنا أيضاً ﷺ أنه « **مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ** » فمن أيقن وآمن بكلام الله فلن يضره مال أبداً ، ومن يبخل ويمسك فقد خسر الدنيا والآخرة معاً.

وقد قال الله في الحديث القدسي : « **أَنَا مَعِدُ ظَنِّ عَبْدِي ، فَلْيُظَنِّ بِي مَا شَاءَ** » رواه أحمد بإسنادٍ صحيح.

روي عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال : « نشر الله عبيدين ممن أكثر لهما من المال والولد . فقال لأحدهما : أي فلان بن فلان . قال : لبيك رب وسعديك . قال : ألم أكثر لك من المال والولد؟ قال : بلى وكيف صنعت فيما آتيتك ؟ قال : تركته لولدي مخافة العيلة !! قال : أما أنك لو تعلم العلم لضحكت قليلاً ولبيكت كثيراً . أما أن الذي تخوفت عليهم قد أنزلت بهم .

ويقول للآخر : أي فلان بن فلان ، فيقول : لبيك رب وسعديك قال له : ألم أكثر لك من المال والولد ؟ قال : بلى أي رب ، قال : فكيف صنعت فيما آتيتك ؟ قال : أنفقت في طاعتك ، ووثقت لولدي من بعدي

بحسن طولك ! قال : أما إنك لو تعلم العلم لضحكت كثيراً ولبكيت قليلاً . أما إن الذي وثقت به قد أنزلت بهم .» الطبراني
ويقول علماء التنمية البشرية أن ما تفكر وتشعر به هو بالضبط ما يحدث لك ، لأنك أنت الذي استدعيته بأفكارك ومشاعرك وبالتالي جذبته إليك ، فمن يفكر ويستشعر الفقر، ويضن بماله خشية الفقر فإنه يعيش في فقر لأنه يرسل رسالة إلى الكون بأنه غير محتاج لأنه لا ينفق فلا يُعطى، ومن يفكر ويستشعر الغنى وينفق مما أعطاه الله فكأنه يبعث رسالة للكون بأنه محتاج لأن ينفق فيُعطى ، وبذلك فإنه يجذب كل ما يجلب الغنى إليه . وهو بالضبط ترجمة ل (أنا عند ظن عبدي بي) .

• أعظم وأحب الأعمال إلى الله :

قال النبي ﷺ : « **إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالي الأمور** .»
الطبراني والحاكم

عن ابن عمر مرفوعاً: قال ﷺ « **وإن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كرباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً** » ابن أبي الدنيا والألباني

يقول عمر بن الخطاب : « **إن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة: أنا أفضلكم** .»

• اليد العليا خير من اليد السفلى :

ألا تحب أن تكون يدك هي العليا كما أخبر بذلك النبي ﷺ بقوله: « **اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة** » . مسلم

ولذا كان ابن السماك يقول: يا عجبى لمن يشتري المماليك بالثمن، ولا يشتري الأحرار بالمعروف .

والجواد يسود قومه بكرمه

قال محمد بن حبان: «كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عرف بالسؤدد، وانقاد له قومه، ورحل إليه القاصي والداني، لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام وإكرام الضيف»
وقال : « أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ». الألباني.

ولن يستحق فضل الإنفاق إلا بشروط :

- إخلاص النية لله تعالى وليس رياءاً وسمعة
- أن تكون الصدقة من مالٍ طيب حلال.
- أن يكون مما تحب ، ومن الجيد وليس من الرديء.

قال تعالى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}. آل عمران
وقال تعالى أيضاً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ} البقرة: .

الجود والكرم بين الإسراف والتقتير:

إن الجود خلق جميل بين خلقين ذميمين هما الإسراف والتقتير أو البخل ، فالتبذير هو إنفاق المال بسفه من غير حاجة، وتضييعه على الشهوات الخاصة، وهذا النوع من الإنفاق ينبذه الدين وينهى عنه بينما الجود فهو إنفاق المال في مكانه و على من يستحقه راجياً بإنفاقه وجه الله .

ولذا قال الله تعالى : {وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا} الإسراء

أما التقدير فممنع زوي الحقوق حقوقهم ..

وقد قال تعالى : { هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لَتَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْذُلُ وَمَنْ يَبْذُلُ فَإِنَّمَا يَبْذُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ } محمد

وقد قال الإمام الغزالي : إن المال خلق لحكمة ومقصود، وهو صلاحه لحاجات الخلق ، ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه ، ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه ، ويمكن التصرف فيه بالعدل ، وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ، ويبذل حيث يجب البذل .. فالإمساك حيث يجب البذل بخل ، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير . وبينهما وسط وهو المحمود، وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه

وقد قال تعالى : { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ نَفْسِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ } الإسراء

وقال : { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } .
الفرقان

حدود الإنفاق :-

• أكرم نفسك أولاً:

ومعنى إكرام النفس ، أن لا تنفق كل ما معك ثم تتعفف الناس أو تسأل الناس ، بل إن الإسلام يحض على حفظ الكرامة ، وعفاف النفس عن السؤال ، وذلك بكفاية النفس من الحلال الذي يصونها عن الالتفات للحرام ، وحفظ عزتها، وصون كرامتها في المجتمع ، فإن لم يجد فهو فقير والصبر على الفقر له الجزاء الكبير عند الله ، ولكن المعنى أن لا يفقر ويذل نفسه بيديه طالما أن الله أنعم عليه ، فإن الله يحب أن تظهر نعمته على عباده .

والدليل على ذلك حديث النبي ﷺ : عن أبي سعيد الخدري قال: دخل رجل المسجد بهيئة بذة ، والنبي ﷺ يأمر بالصدقة فتصدق الناس . فأعطاه النبي ﷺ ثوبين ثم قال : تصدقوا ، فطرح الرجل أحد ثوبيه . فقال النبي ﷺ : « أترون هذا الذي رأيته بهيئة بذة فأعطيته ثوبين ؟ ثم قلت : تصدقوا فطرح أحد ثوبيه !! خذ ثوبك . وانتهره». أبو داود

يقول الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - : إن النبي ﷺ يريد أن يمحو من المجتمع مناظر العري والفاقة والبؤس ، وقد لا يبالى بعض الناس أن يعيش طاوياً عارياً بيد أن أمثال هؤلاء لا ينبغي أن يفرضوا مذهبهم في الحياة على تعاليم الدين نفسه ، فإن الإسلام يوجب أن يملك الإنسان من متاع الحياة ما يرفع رأسه ويحقن وجهه .

فعن جابر قال : جاء رجل بمثل بيضة من ذهب ، فقال : يا رسول الله ﷺ . أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها ! فأعرض عنه ، فأتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك . فأعرض عنه . فأتاه من قبل ركنه الأيسر فقال مثل ذلك . فأعرض عنه ، ثم أتاه من خلفه فقال مثل ذلك ، فأخذها النبي ﷺ فحذفه بها ، فلو أصابته لأوجعته .

وقال ﷺ : « يأتي أحدكم بجميع ما يملك فيقول : هذه صدقة ، ثم يقعد يتكففه الناس ، خير الصدقة ما كانت عن ظهر غنى .. ». أبو داود

وتخيل أن تكون صورة المسلمين في العالم هي صورة البؤس والفقر والملابس الرثة، فمن ذا الذي سيقبل على الإسلام ، أو حتى يفكر بهذا الدين الذي يفقر أصحابه ، ويحيلهم في هيئات رثة.

وفي نفس الوقت يأمرنا ديننا بالاعتدال والقصد في الإنفاق دون الإسراف فيقول على لسان لقمان لولده : { ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك

ولا تبسطها كل البسط فتقع ملوما محسورا}. الإسراء ٢٩
والمقصود أن الله يحب أن تنفق على نفسك وعلى غيرك ولكن مع مراعاة حد الاعتدال دون إسراف ودون تقتير، فالمبالغة في أي عمل تفسده وتنحرف به عن الطريق القويم .

• ثم أهلك وولدك:

ولأنه ليس من المنطق أن يترك الرجل زوجته وأولاده في حاجة وينفق نقوده على أناس آخرين حتى لو كان بنية الصدقة ، فهو مسئول عنهم أمام الله ، وهو معيهم فلا يصح أن يتركهم يتكفون الناس .

قال النبي ﷺ : « دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى أَهْلِكَ ، أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ » .مسلم

وقد اشتكى سعد بن عامر همة فجاءه النبي ﷺ فلما رآه سعد بكى وقال يا رسول الله أموت بالأرض التي هاجرت منها قال: « لا إن شاء الله » وقال : يا رسول الله أوصي بمالي كله في سبيل الله قال: « لا » قال : يعني بثلاثه قال: « لا » قال: فنصفه قال: « لا » قال: فثلثه ، قال النبي ﷺ : « الثلث والثلث كثير إنك أن تترك بنيك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكفون الناس » . البخاري

• ثم زوي رحمك :

وزوي الرحم أحق بالصدقة قبل غيرهم بعد الأهل والولد ، فهذا الترتيب للنفقات المشروعة يوطد علاقات أفراد المجتمع ببعضهم البعض ويجعله مجتمعاً قوياً مترابطاً ومتماسكاً ، وبهذا الترتيب نجنب المجتمع من أمراض القلوب من حسد وغل وحقد وكراهية إلى آخرها من عدم استخدام الحكمة في الإنفاق.

وفي الحديث : « يا أمة محمد : والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون إلى صلته ويصرفها إلى غيرهم ، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة » . الطبراني وقال النبي ﷺ : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى القريب صدقتان ، صدقة وصله » . الترمذي

وعن زينب امرأة عبدالله بن مسعود قالت : قال النبي ﷺ : « **تصدقن يا معشر النساء ! ولو من حليكن** » ، قالت : فرجعت إلى عبدالله فقلت : إنك رجل خفيف ذات اليد . وإن النبي ﷺ قد أمرنا بالصدقة . فأتته فأسأله . فإن كان ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلى غيركم . قالت : فقال لي عبد الله : بل أئتيه أنت . قالت : فانطلقت . فإذا امرأة من الأنصار بباب النبي ﷺ . حاجتي حاجتها . قالت : وكان النبي ﷺ قد ألقى عليه المهابة . قالت : فخرج علينا بلال فقلنا له : أئت النبي ﷺ . فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك : أتجزي الصدقة عنهما ، على أزواجهما ، وعلى أيتام في حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن . قالت : فدخل بلال على النبي ﷺ . فسأله . فقال له النبي ﷺ : « من هما ؟ » فقال : امرأة من الأنصار وزينب . فقال النبي ﷺ : « أي الزيانب ؟ » ، قال امرأة عبدالله . فقال له النبي ﷺ : « لهما أجران أجر القرابة أجر الصدقة » . البخاري ومسلم

• ثم سائر الناس :

وحين تكون وفيت من مالك على نفسك ثم أسرتك ثم رحمك ، وكان كرم الله عليك واسعاً فلك أن تنفق من فضول مالك على غير هؤلاء من المسلمين أو حتى غير المسلمين .

معايير التعامل مع المال :

كثيراً ما تختلط علينا الأمور في التعامل مع المال والنظر إليه من وجهة نظر الشرع ، فبعض المتدينين ينظرون إلى المال نظرة احتقار، فما دمت متديناً فلا بد أن تكون فقيراً لأن الفقر هو الزهد في الدنيا وطلب الآخرة في نظرهم ، فالمال يدعو إلى الفساد والاستغراق في الشهوات ، وعدم الاحتراز من المعاصي ، وينظرون إلى الأغنياء على أنهم طلاب دنيا ، ولكن تبقى هذه النظرة قاصرة وضيقة الأفق ، فلو كان الأمر كذلك فمن سيبنى المساجد ، ومن سيقوم السدود ، ومن سينفق على المحتاجين والمساكين ، ومن سيعمر في الأرض التي أورثنا الله إياها .

وقال تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِيهِ الْأَرْضَ خَلِيفَةً} . البقرة

ولماذا لا يحيا المؤمن حياةً كريمة ، يستمتع فيها بنعم الله عليه ، وهو يملك قلباً ذاكراً شاكراً لله تعالى، ومن قال أنه لابد أن يظل المسلمون فقراء ومتخلفين بين الأمم ، بينما يتنعم الكافرون والعصاة بنعم الله .

ولما العمل والإنتاج إذاً ؟

ولا أظن إلا أن هذه النظرة الضيقة ما هي إلا دعاوى للكسل والتراخي وضعف الهمة، وترك المجال لأمم ليست مؤمنة بالله تعالى لأن تسود وتحكم الدنيا ، بينما نحن المسلمون نتخاذل ونستكين بحجة الزهد في الدنيا وعبادة الله ، و لنعبد الله على مرادنا نحن وليس على مراد الله تعالى فينا .

ولقد كان ستة من العشرة المبشرين بالجنة من أغنى أغنياء المدينة، وكان الإمام أبو حنيفة ينفق من ماله الخاص على تلاميذه المجتهدين فقد كان تاجراً موسراً ، والليث ان سعد كان يلبث الثوب

بألف دينار ليصلي فيه .فأي دعاوى غير ذلك فليست من الإسلام في شيء.

وهناك فريق آخر له نظرة أخرى للمال ،فالمال هو كل شيء بالنسبة له ،وهو السيد المطاع ،وفي سبيل الحصول عليه يمكنه التنازل عن أي شيء ،فالمال عنده فوق القيم والمبادئ والمشاعر وكل شيء ، وإذا حصل عليه فيجعل مصرفه في الشهوات والملاهي والملذات ، ويصبح عبداً ذليلاً للمال فلا يأمره بشيء إلا فعله .

أما الفريق الثالث فيفهم حكمة وجود المال في الدنيا وحكمة خلق الله له ، فهو يسعى لاكتساب المال الحلال ، ويأخذ بالأسباب المعينة على ذلك وينفقه في مصارفه التي يرضيها الله تعالى دون تقتير أو تبذير ، بل قد يطمح في الغنى ووفرة المال حتى يعينه على أعمال الخير التي لا يستطيع بالفقر أن يصل إليها. وفي كل تعاملاته مع المال يخلص النية لله تعالى.

وقد قال ﷺ : « **نعم المال الصالح للرجل الصالح** ». أحمد وقال ﷺ : « **إن هذا المال حلوة خضرة فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة وأما من أخذه بغير حقه ووضعه في غير حقه فهو كالآكل لا يشبع** ». البخاري

وقد شبه الإمام أبي حامد الغزالي في الإحياء المال بالحية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق ، ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري . ووضع أربعة معايير للتعامل مع المال ليستفيد من خيره ويسلم من شره و بالقياس عليها لن يضره وجود المال:-

أن يعرف أن المال وسيلة وليس غاية، ويتعلم الحكمة من خلق الله للمال، فلا يعطيه فوق حجمه، ولا يجعله كل همه في الدنيا. تحري مداخل المال، والحلال والحرام فيه ، واجتناب أي دخل فيه شبهة كالرشاوي والإكراميات .

تحري مخارج المال فيراعي فيه القصد في الإنفاق من غير تبذير ولا إقتار، فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه، فإن الإثم في الأخذ من غير حقه ، والوضع في غير حقه سواء. أن يصلح نيته في الأخذ والترك والإنفاق والإمساك ، فيأخذ ما يستعين به على العبادة ، ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاراً له ، إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ، ولذلك قال علي : لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد .

المال خادمٌ جيد .. لكنه سيدٌ فاسد

دعاء..

وقد كان النبي ﷺ يستعيز من البخل في دعائه فيقول : « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات » مسلم.



الباب الخامس

الفصل الأول

صفات يجب أن نتجنبها

الغيبة

النميمة

بذاءة اللسان

الفصل الثاني

صفات يجب أن نحرض عليها

الإتقان

الكلمة الطيبة

الابتسامة

صفات يجب أن نتجنبها

كلمة.. وكلمة

أتعرف ما معنى الكلمة

مفتاح الجنة في كلمة

دخول النار على كلمة

وقضاء الله هو كلمة

الكلمة لو تعرف حرمه زاد مزخور

الكلمة نور .. وبعض الكلمات قبور

و بعض الكلمات قلاع شامخة يعتصم بها النبل البشرى

الكلمة فرقان بين نبي وبغي

بالكلمة تنكشف الغمة

الكلمة نور ودليل تتبعه الأمة

عيسى ما كان سوى كلمة

أضاء الدنيا بالكلمات وعلمها للصيادين فساروا يهدون العالم

الكلمة زلزلت الظالم

الكلمة حصن الحرية

إن الكلمة مسؤولية

إن الرجل هو كلمة

شرف الله هو الكلمة

من مسرحية الحسين ثائراً

لعبد الرحمن الشرقاوي

إن اللسان أيسر حركات الجوارح وأعظمها خطراً على الإنسان ، فاللسان يمكن أن يرفع صاحبه لأعلى درجات الرقي ويكسبه حب الناس والنجاح والفلاح في الدنيا ، ورضا الله والمنازل العليا في الجنة ، أو أن يهوي به إلى أدنى المستويات فلا يكسب إلا بغض الناس وانصرافهم عنه ، بل ويجره لأعظم الذنوب والمعاصي كالشرك بالله والقول على الله بغير علم ، وشهادة الزور ، والقذف وارتكاب ما حرم الله كالكذب والغيبة والنميمة والسباب وغير ذلك من المعاصي التي تغضب الله عز وجل وتهوي به إلى أسفل سافلين في النار .

ولا تستطيع كلمات أن تصف خطره مثلما صاغها النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم فقد سأل معاذ النبي ﷺ عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار ، فأخبره النبي ﷺ برأسه وعموده وذروة سنامه ، ثم قال : « ألا أخبرك بملك ذلك كله ؟ » قال : بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسان نفسه ثم قال : « كف عليك هذا » ، فقال : « وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصاد ألسنتهم ؟ » قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً ؛ يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً ؛ يهوي بها فهي نار جهنم » . متفق عليه

وقال الله تعالى : { ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } ق : وقد عدَّ الله عدم الخوض في أحاديث السوء وعدم الاستماع إليها من صفات المؤمنين .

فقد قال تعالى : { قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون } المؤمنون وقال تعالى : { وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين } القصص .
وفي الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

فما ينطق به اللسان يمكن أن يصلح بين متخاصمين أو يوقع بينهما ، ويمكن أن ينقذ أسرة أو يهدمها ، وبكلمة يسترد بها حق أو يسلب ، وكلمة أخرى تجبر الخواطر أو تكسرهما ، وبكلمة تصنع عالم أو فاشل بل الكلمة ممكن أن تقيم دولة وترفعها أو تحدث فتنة وتهدمها .

الغيبة

يحكى أن الأنبياء الذين لم يكونوا مرسلين بعضهم كانوا يرون في المنام ، وبعضهم كانوا يسمعون الصوت ولا يرون شيئاً ، وكان نبي من الأنبياء ممن يرى في المنام رأى ذات ليلة في المنام أنه قيل له : إذا أصبحت فأول شيء يستقبلك فكله ، والثاني اكتمه ، والثالث اقبله ، والرابع لا تؤيسه ، والخامس اهرب منه . فلما أصبح أول شيء استقبله جبل أسود عظيم فوقف وتحير

وقال : أمرني ربي أن أكله أأكل هذا؟ ثم رجع إلى نفسه وقال : إن ربي لا يأمرني بما لا أطيق ، فلما عزم على أكله ومشى إليه ليأكله ، فلما دنا منه صغر ذلك الجبل ، فلما انتهى إليه وجده لقمه أحلى من العسل ، فأكله وحمد الله تعالى. ومضى فاستقبله طست من ذهب وقال : أمرت بأن أكتمه . فحفر بئراً في الأرض ودفنه فيها ومضى ، والتفت فإذا الطست فوق الأرض ، فرجع مرتين أو ثلاثاً وهو يدفنه و مضى ، فالتفت فإذا هو على وجه الأرض، قال : إني فعلت ما أمرت به .

فذهب فاستقبله طائر خلفه بازي يريد أن يأخذه فقال : يا نبي الله أغثنى . فقبله وجعله في كفه ، فجاء البازي فقال : يا نبي الله إني كنت جائعاً وإني كنت في طلب هذا الصيد منذ الغداة حتى أردت أن أخذه فلا تؤيسني من رزقي .

فقال في نفسه : إني قد أمرت أن أقبل الثالث وقد قبلته ، وقد أمرت أن لا أؤيس الرابع والرابع هذا البازي فكيف أصنع؟ فلما تحير في ذلك أخذ السكين ، وقطع من فخذ نفسه قطعة من لحم فرمى بها إلى البازي حتى أخذها ومضى ، ثم أرسل الطائر ومضى ،

فرأى الخامس جيفة منتنة فهرب ، فلما أمسى قال : يارب إني قد فعلت ما أمرتني ، فبين لي ما كان من أمر هذه الأشياء . فرأى في منامه أنه قيل له ، أما الأول الذي أكلته فهو الغضب ، يكون في الأول كالجبل ، وهو في آخره إذا صبر وكظم غيظه أحلى من العسل . والثاني : فهو من عمل حسنة فإن كتمها فإنها تظهر . والثالث : من ائتمنك أمانة فلا تخنه . وأما الرابع : فإذا سألك إنسان حاجة فاجتهد في قضائها وإن كنت محتاجاً إليها . والخامس : الغيبة فاهرب من الذين يغتابون الناس .

خطر الغيبة ..

الغيبة هي ذكر شخص ما بما يكره وهو غائب لا يستطيع أن يدافع عن نفسه، سواءً كان مصيباً أو مخطئاً.

وسئل النبي ﷺ عن الغيبة قال: « **ذَكَرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ** » قال: « رأيت إن كان في أخي ما أقول يا رسول الله ﷺ؟ » قال: « **إن كان في أخيك ما تقول فقد اختبته** ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ».

مسلم وأحمد

ولتعظيم حجم البشاعة والجرم لهذه الصفة البغيضة والتي يستهتر بها ويقع فيها غالب الناس مستهينين بما تتسبب به من أذى شبه الله من يغتاب شخصاً كمن يأكل لحمه ميتاً فقال:..

{يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم {الحجرات

وفي قصة ماعز عندما سمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم كالكلب فسكت النبي ﷺ عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: « أين فلان وفلان » فقالا: نحن ذان فقال: « **انزلا فكلَا من جيفة هذا الحمار** » فقالا: يا نبي الله غفر الله لك ومن يأكل من هذا قال: « **فما نلتما من عرض أخيكما أنفاً أشد من أكل الميتة والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها** ».

ففي هذه القصة استطاع النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم أن يوصل المعنى لأصحابه عملياً عندما أمرهم بأكل جيفة ميتة أمامهم فتخيل

كيف أوصل لهم المعنى كم أن خوضهم في عرض صاحبهم هو أمر مقزز أكثر من أكل جيفة حمار أمامهم يرونه بأعينهم ويشمون رائحته النتنة.

ويستمر النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم في تبغيض الناس لهذه الصفة وبيان بشاعتها وسوئها فيقول أنس : أمر النبي ﷺ الناس بصوم يوم. فقال: « لا يُفطرنَّ أحد حتى آذن له » فسام الناس حتى إذا أمسوا، جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله ﷺ ظللت صائماً، فأذن لي لأفطر، فيأذن له، والرجل حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله ﷺ فتأتان من أهلي ظلتا صائميتين، وإنهما يستحيان أن يأتياك، فأذن لهما أن يفطرا. فأعرض عنه ثم عاوده، فأعرض عنه ثم عاوده

فقال: « إنهما لم تصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحوم الناس، اذهب فمرهما إن كانتا صائميتين أن تستقينا » فرجع إليهما فأخبرهما فاستقيا، فقأت كل واحدة منهما علقة من دم. فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: « والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار ». رواه أحمد وأبوداود وابن أبي الدنيا والبيهقي

وفي رواية: أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك، فقال: يا رسول الله ﷺ إنهما قد ماتتا أو كادت أن تموتا. فقال : « اتوني بهما » فجاءتا فدعا النبي ﷺ بقدرح. فقال لإحدهما: « قيئي » فقأت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدرح. وقال للأخرى: « قيئي » فقأت كذلك. فقال: « إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلسته إحداهما إلى الأخرى فبعلتا تأكلان لحوم الناس ». أحمد

والغيبة هي مرض خبيث متفشى بصورة كبيرة في مجتمعنا، بالكاد من يسلم منه ، ينخر كالسوس في الجدران فيخرب ويفسد حتى يخلق مجتمعاً متآكلاً متهاوياً يأكل بعضه بعضاً ، ولما لا وقد أصبح الآن من الطبيعي أن يتحدث أي شخص عن شخص آخر ويخوض في عرضه ، وينال من سمعته بكل سهولة والناس تصفق ، وآخر يسخر ويستهزئ من فلان والناس تضحك وتهلل .

لقد أصبح المجال مفتوحاً وواسعاً لكل من يريد أن ينهش من لحم أخيه، فها هي القنوات الفضائية لا تخلو برامجهما من مهاجمة الناس وتشويه صورهم، وكل من يريد أن يشفي غليله من فلان، أو يسفه من قدره . فلم يعد من الصعب بمكان أن يخرج شخص ما على أي فضائية تبحث عن الإثارة والفضائح ليقول ما بدا له ، وما بالك بالصحف والمجلات فأغلب محتواها قائم على ذلك ، وحدث ولا حرج فإن لم تسنح لك الفرصة في صحيفة أو فضائية ، فلا تبتئس فعندك الإنترنت وما أدراك ما الإنترنت فاشبع رغبتك كما تشاء في أكل لحوم البشر ولن تجد هناك من يحاسبك ، وارتع على حريرتك في ملعب الغيبة والنميمة الواسع دون أن يراقبك أحد .

ولكن... لحظة من فضلك ، فعليك أن تنتبه جيداً ... فإن لم تجد من يراقب أو يحاسب في الدنيا فلا تغتر ، فهناك من يراقب ويحاسب في الدنيا قبل الآخرة ، وإن كان الخوض في أعراض الناس أو تسفيههم أصبح أمراً عادياً ، ولكنه أمرٌ عند الله عظيم .

كنت قد ذهبت ذات مرة إلى السوق لشراء بعض العطارة فوجدت شارعاً كل ما فيه متعلق بالعطارة والروائح النفاذة ، فأخذت أعطس وأعطس من بداية دخولي الشارع ولم أستطع أن أكف عن العطس ، بينما استغربت كثيراً عندما تلفت حولي فلم أجد أحد من البائعين حولي يعطس مثلي بالرغم أنهم مخالطين لهذه الروائح باستمرار ، وكان هذا هو السبب في عدم التأثر بهذه الروائح وكأنها غير موجودة وهو أنهم تعودوا عليها لأنها حولهم في كل مكان ومتعاشين معها.

إن هذا المثل ينطبق تماماً على الغيبة ، فللغيبة رائحة منتنة ، ليس معنوياً فقط بل مادياً كذلك ، تستطيع شمها إذا كنت في مجتمع نظيف غير مألوف فيه هذه العلل الغير أخلاقية ، والدليل هو حديث النبي ﷺ :

فعن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ، فهاجت ريح منتنة فقال النبي ﷺ: « **هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين** ». أحمد والبخاري

ولكننا الآن من المحال أن نتشم هذه الرائحة ، فكيف وقد عبأت رائحتها كل مكانٍ حولنا ، فأصبحت رائحة عادية لا نشعر بها ، مثل من يتعاملون مع القمامة ليل نهار لا تؤذيهـم الرائحة لأنهم تعودوا عليها، بينما نستغرب كيف يتحملون هذه الرائحة .

وما كان تحريم الإسلام للغيبة والنميمة إلا لخطرهما الكبير على المجتمع، فكم من صلاتٍ قطعت ، وصادقاتٍ أنهيت، وقلوبٍ أوغرت ، ومصائب عضال بسبب كلمة ، وكم من أناس ظلموا وشوهت صورهم ، فماذا تتوقعون من مجتمع متفشي فيه هذه الرزيلة الهينة في نظر الناس إلا أن يكون مجتمع مفكك متهالك يبغض فيه كل واحد الآخر ويتجنبه.

قال النبي ﷺ : « **إِنْ حَمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ** ». البخاري ومسلم

وعن عائشة قالت: قال النبي ﷺ لأصحابه: « أتدرون* أربي الربا عند الله؟ » قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « فإن أربي الربا عند الله استحلل عرض امرئ مسلم »، ثم قرأ النبي ﷺ : {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً} رواه أبو يعلى ورواته رواة الصحيح.

(*يريد عدم غيبة المسلم وذكره بما يكره)

إن انتشار الغيبة والنميمة في مجتمع ما دليل على مجتمع عليل، وفطرة غائبة، إذ أن المجتمع السليم الفطرة هو الذي يرفض أن يأكل بعضه بعضاً، ولا يرضى إلا بالاحترام المتبادل بين أفراد، واحترام غيبتهم، ونبذ كل من يخرج على قوانينه الأخلاقية، بل ويعاقب أيضاً إذا استدعى الأمر.

قال تعالى { **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** }. القصص

وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « **مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ». الترمذي

وروي عن الحسن البصري أن رجلاً قال له : إنك تغتابني ، فقال : ما بلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي .

وقال سفيان بن الحصين : كنت جالساً عند إياس بن معاوية فمر رجل فنلت منه ، فقال : اسكت ، ثم قال لي سفيان : هل غزوت الروم ؟ قلت : لا ، قال : هل غزوت الترك ؟ قلت : لا ، قال : سلم منك الروم وسلم منك الترك ولم يسلم منك أخوك المسلم . قال : فما

عدت لذلك بعد .

فالمجتمع النظيف هو الذي ينهى بعضه بعضاً عن كل ما يندسه أو يلوّثه حتى يصير مجتمعاً راقياً مترابطاً .

وقد يعتقد البعض أن الغيبة إنما هي أن ينبث شخص بكلمة تسيئ إلى آخر فقط ولا يدري أنه قد يقع في مآثم الغيبة بأشكالها الأخرى ، فالتعريض مثل التصريح سواءً في الاثم طالما قصد به الانتقاص من شخص ما ، فقد تكون إيماءة أو إشارة أو غمز أو تقليد بغرض الضحك والاستهزاء ، أو بالكتابة ، فالإسلام هنا إنما يريد صياغة إنسان محترم راقٍ، ويريد لكل فرد في المجتمع أن يكون محترماً لذاته ، آمناً على نفسه وعرضه ، محترماً للآخرين ، طاهر القلب والروح ، فبالله عليكم أئى لمجتمع بهذا الرقي إلا أن يكون في مقدمة الأمم ، وفي رفعة وعلو دائماً .

إن اعتياد الإنسان على الاحترام والكرامة وعلمه أنه آمن على نفسه وعرضه يجعله أحرص الناس على نزاهته وصورته أمام نفسه و أمام الآخرين .

عن عائشة قالت: قلت للنبي : حسبك من صفية كذا وكذا. قال بعض الرواة: تعني قصيرة. فقال : «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته». الترمذي

وروي خالد الربعي قال : كنت في المسجد الجامع فتناولوا رجلاً فنهيتهم عن ذلك فكفوا وأخذوا في غيره ثم عادوا إليه ، فدخلت معهم في شيءٍ من أمره فرأيت تلك الليلة في المنام كأني أتاني رجل أسود طويل، ومعه طبق عليه قطعة لحم خنزير ، فقال لي : كل . فقلت : أكل لحم الخنزير ، والله لا آكله ، فانتهرني انتهاراً شديداً، وقال: قد أكلت ما هو أشر منه . فجعل يدسه في فمي حتى استيقظت من منامي،

فو الله لقد مكثت ثلاثين يوماً أو أربعين يوماً ما أكلت طعاماً إلا وجدت طعم هذا اللحم ومنتنه في فمي .

أقوال بعض الصالحين ..

قال عمر : عليكم بذكر الله فإنه شفاء ، وإياكم ذكر الناس فإنه داء.

قال الحسن: والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد.

وعن يحيى بن معاذ الرازي قال : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال لتكون من المحسنين : أحدها : أنك إن لم تنفعه فلا تضره ، والثاني : إن لم تسره فلا تغمه ، والثالث : إن لم تمدحه فلا تزمه .

وقال ابن عباس : إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك.

وقال أبو هريرة : يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ، ولا يبصر الجذع في عين نفسه.

رُوي عن الحسن البصري أن رجلاً قال: إن فلانا قد اغتابك. فبعث إليه طبقاً من الرطب وقال: بلغني أنك أهديت إلي حسناتك، فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنى فأني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام.

أقوال بعض الحكماء

إن ضعفت عن ثلاث فعليك بثلاث: إن ضعفت عن الخير فأمسك عن الشر، وإن كنت لا تستطيع أن تنفع الناس فأمسك عنهم ضرر، وإن كنت لا تستطيع أن تصوم فلا تأكل لحوم الناس.

يقال: اتبع رجل رجل حكيم سبعمائة فرسخ في سبع كلمات، فلما قدم عليه، قال: إني جئتكَ للذي آتاك الله تعالى من العلم أخبرني: عن السماء وما أثقل منها. وعن الأرض وما أوسع منها. وعن الصخر وما أقسى منه. وعن النار وما أحر منها. وعن الزمهرير وما أبرد منها. وعن البحر وما أغنى منه. وعن اليتيم وما أذل منه.

فقال له الحكيم:

البهتان*على البريء أثقل من السماوات، والحق أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر، والحسد أحر من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمّام إذا بان أمره أذل من اليتيم.

البهتان(هو القذف بالباطل)

قال رجل ينصح ابنه:

لا تفضح عيوب الناس، فيفضحك الله تعالى في دارك!.. فالله تعالى الستار، ويحب من يستر!.. ولا تظلم أحدا!.. وإذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فتذكر أن الله هو الأقدر!..

جزاء الغيبة..

ولخطر الغيبة العظيم في الدنيا كان جزاءها عظيم أيضاً في الآخرة.

• الفضيحة في الدنيا..

فعن أبي برزة الأسلمي قال : قال النبي ﷺ : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه : لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته ». أبو داود

• العذاب في الآخرة ..

وعن أنس عن النبي ﷺ قال : « لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم ». أبو داود

وعن أبي يعلى من حديث عائشة ، ومن حديث أبي هريرة رفعه : « من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب له يوم القيامة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا ، فأكله ويكلح ويصيح » سنده حسن .

الفضيحة (داين تدان)

وقال النبي ﷺ : « من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلهما في جهنم ، ومن كسى ثوباً برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم ، ومن قام برجل مسلم مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة ». أبو داود

والذي يستمتع للغيبة إنما هو بذلك يكون مشاركاً في إثمها ، إلا أن ينكر بلسانه ، أو يغير الموضوع ، أو يمدح من يُغتاب ، أو يقوم من هذه الجلسة .

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من أذل عنه مؤمن وهو يقدر أن ينصره أذله الله على رؤوس الخلائق ». أحمد وقال : ﷺ « من حمى مؤمناً من منافق يعيبه ، بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ». أبو داود

أسباب الغيبة ..

- التشفي • الحسد • مجارة الأصدقاء ومجاملة الجلوس .
- اللعب والمزاح
- غاية إثبات فضل النفس بالخط من قدر الآخرين.

علاج الغيبة..

- التسامح وتنقية القلب من أي بغض أو كراهية لأحد .
- الانشغال بعيوب النفس عن عيوب الآخرين .
- الخوف من عقاب الله وغضبه ، والحرص على الحسنات أن تذهب لآخر ويستبدل مكانها السيئات .
- مراقبة كبر النفس بكسره دائماً وإضعافه .
- عدم إرضاء الناس بسخط الله ، فمن أَرْضَى الناس بسخط الله ، سخط عليه ، وأَسْخَطَ عليه الناس .
- لا ترضى لغيرك ما لا ترضى لنفسك .

٧ أشياء لا تكون الغيبة بها غيبة..

- المظلوم عندما يشكو لمن يمكن أن يأخذ له حقه.

- الاستعانة على تغيير المنكر .
- أخذ رأي شخص ما في مشكلة ما .
- ففي حديث هند حين قالت : إن أبا سفيان رجل شحيح ، ولم ينكر النبي ﷺ عليها ذلك.
- تحذير المسلمين من شخص ما لدفع الضرر .
- الاستشارة في أمور الزواج وإيداع الأمانة ، فيجب ذكر ما يعرف بأمانة.
- أن يكون مجاهراً بالفسق والفجور.
- وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « اذكروا الفاجر بما فيه لكي يحذره الناس » .
- وروي أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال : « من ألقى جلباب الحياء فلا نخبة له » . البيهقي
- أن يكون معروفاً بقلب ما، كالأعرج، والأعمش وما إلى ذلك

النميمة

قال حماد بن سلمة : باع رجل عبداً وقال للمشتري : ما فيه عيب إلا النميمة ، قال : رضيت ، فاشتراه ، فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجته مولاه : إن سيدي لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك ، فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك ، ثم قال للزوج ، إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك ، فتناوم لها ، فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها . فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ، ووقع القتال بين القبيلتين .

والنمام هو الذي ينقل الكلام من شخص لآخر ، ويحدث الواقعة بين الناس ، والنميمة لا تقل خطورتها عن الغيبة فكلاهما لهما نفس الخطورة على سلامة المجتمع وترباطه ، وهما من الأمراض المنتشرة التي لا يلقي أحد لها بالاً ، ولا يعيرها أحد اهتماماً ، بيد أن أثرهما واضحاً وجلياً ، فلا يحلو الكلام بين الناس إلا بالكلام على فلان أو الخوض في سيرة فلانة ، أو نقل الكلام عن هذا في حق هذا أو ذاك، هذا غير ما يتناقله الناس من إشاعات وأخبار كاذبة تفتت وتدمر أواصر المجتمع .

وعن الحسن البصري قال : من نقل إليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك.

وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر عنده رجلاً فقال له عمر : إن شئت نظرنا في أمرك ، إن كنت كاذباً فأنت من أهل الآية : { إن جاءكم فاسقٌ بنبأٍ فتبينوا } . الحجرات ، وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية : { همازٍ مشاءٍ بنميم } . وإن شئت عفونا عنك . فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود لمثل ذلك .

والواجب على من يأتيه شخص ينقل له كلاماً أو يقول له قد قال عليك فلاناً كذا وكذا أوقد فعل كذا وكذا أن لا يصدقه ، ولا يظن بأخيه السوء ، بل يرده ولا يقبل منه كلاماً .

وعن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « هل تدرون من شراركم؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « شراركم ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاً بوجه وهؤلاً بوجه » . البخاري وأحمد

وعن ابن عباس قال : مر النبي ﷺ بقبرين جديدين فقال : «

إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، فأما أحدهما فكان لا يتنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» ، ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين وعرز في كل قبر واحدة ، فقالوا : يا رسول الله ﷺ لم صنعت هذا ؟ فقال : « لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » . البخاري ومسلم

عن حذيفة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة قتات » . البخاري ومسلم
القتات : النمام

بذاءة اللسان

ليس من الإسلام!!

إن من الأوبئة التي أصابت المجتمع الآن هو إطلاق اللسان بالسباب واللعن والألفاظ البذيئة ، حتى لم يعد فقط استخدام هذه الألفاظ حال الغضب أو الانفعالات ، بل أصبحت مستخدمة في الكلام العادي المتداول بين الناس أيضاً، ومظهر من مظاهر المزاح، ولم تعد تلك الظاهرة قاصرة على وسط معين من الناس ، بل أصبحت تلاحظها حتى في المستويات الراقية والمثقفة ، لقد أصبحت ظاهرة مأساوية توغل شيئاً فشيئاً في المجتمع ، فتثير الضغائن وتقلب الأحقاد، وكم من جريمة وقعت كانت بدايتها اللعن والسباب .

يقول الله : {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً} الأحزاب

وقد صدق النبي ﷺ الكريم عندما قال: « لا تقوم الساعة حتى يظهر الفُحْشُ والتفاحشُ ، وقطيعة الرحمِ وسوء المُجاورة » أحمد

والحاكم عن عمرو بن العاص

إن الفحش في اللغة هو القبيح من الأقوال والأفعال ، ولقد أصبح الفحش بكل صوره لغة دارجة بين الناس الآن.

كلمات بذيئة يندى لها الجبين ، وتخدش الحياء تسمعها هنا وهناك ، بل من الصعوبة بمكان أن تتجنبها ، أو تكون بمنأى عنها ، فهي تحيط بك في كل مكان في وسائل الإعلام ، وفي الشارع ، وفي وسائل المواصلات، وفي العمل ، وفي الأسواق.

عندما تشاهد فيلماً قديماً على سبيل المثال ، تجد التحفظ في استخدام الكلمات ، واستخدام كلمات راقية في الحوار حتى في أكثر الأفلام كوميديا، بالمقارنة بأفلام اليوم التي تعج بالألفاظ السوقية والإباحية التي لا ضابط ولا رابط لها ، وقد ذكرت هكذا مثال لأنه يعكس ما آل إليه المجتمع من تدني، وانحدار في الذوق والرقى .

تعلم الرقي من ديننا العظيم..

لا أتخيل أن شخصاً يدعي أنه ينتسب للإسلام بذئ اللسان أبداً ، أو يروج للفاحشة بأي صورة كانت ، أنا أنادي بالعودة للرقى والاحترام والأسلوب المهذب في التعبير عن الرأي ، ولماذا نرضى بالدون من أخلاقنا وديننا برئ من ذلك كله ، فديننا هو دين الرقى والوقار والأخلاق السامية والحياء في التعبير والرقى في استخدام الكلمات .

فها هي أخلاق نبينا الكريم كما وصفه أصحابه:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص يقول عن النبي ﷺ : لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ، ولا لعاناً ، ولا سباباً . وفي لفظ : لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً . البخاري ومسلم

وقد كان النبي ﷺ إذا بالغ في المعاتبة قال: « **ما له تربج جبينه** » .

ولقد كان الحبيب الأسوة الحسنة الذي علم الدنيا كلها الأدب والخلق يقول أنس بن مالك في الصحيحين : خدمت النبي ﷺ عشر سنين والله ما قال لي أفأ قط ، ولا قال لي شيء : لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا ؟

ومن حديث أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ﷺ ادع على المشركين ، قال: « **إني لم أبعث لعاناً ، وإنما بُعثت رحمة** » .

وقد ندد الإسلام بكل أنواع الفحش والبذاءة..

فعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إياكم والفحش، فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش». النسائي والحاكم
وقال ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء»
البخاري وأحمد

لقد كان حرص الإسلام على تربية إنسان مسلم كريم عف اللسان، يحترم كل الناس، ويحترمه كل الناس، فهو إنسان محترم في ذاته .
عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء». الترمذي بإسناد صحيح
وعن جابر بن سمرة قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ وأبي أمامي فقال ﷺ: «إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلاماً أحاسنهم أخلاقاً». أحمد وابن أبي الدنيا
بإسناد صحيح

وقال أعرابي للنبي ﷺ: أوصني فقال ﷺ: «لعلك بتقوى الله، وإن امرئ يحرك بشيء فيك فلا تعيره بشيء فيه يكن وباله عليه وأجره لك، ولا تسب شيئاً». فما سببت شيئاً بعده .أحمد
والطبراني بإسناد جيد

إنه من المؤلم الآن أن يكون من المؤلفون أن ترى العراك والشتائم بين الناس على أتفه الأسباب .

عن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر». متفق عليه

وقال عياض بن حمار: قلت يا رسول الله ﷺ، إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني، هل علي من بأس أن أنتصر منه؟ فقال:

« المتسبانان شيطانان يتعاونان ويتهارجان ». أبو داود
وعن أبي هريرة قال: قال عليه السلام: « المستبان ما قالاً فعلى البادئ
منهما حتى يعتدي المظلوم ». وقال : « مالم يعتد ». مسلم
وقال عليه السلام : « ملعون من سب والده » وفي رواية « من أكبر
الكبائر أن يسب الرجل والده » قالوا: يا رسول الله عليه السلام كيف
يسب الرجل والده ؟ قال : « يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه ».

احذر أن تلعن فتلعن ..

هل تدري أنك عندما تلعن شيءاً تعود إليك اللعنة مرة أخرى إذا
لم تجد من يستحقها ؟

فعن أبي الدرداء قال: قال النبي عليه السلام : « إن العبد إذا لعن شيئاً
صعدت اللعنة إلى السماء ، فتخلق أبواب السماء دونها، ثم
تهبط إلى الأرض، فتخلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يميناً وشمالاً،
فإن لم تجد مسالحاً رجعت إلى الذي لعن فإن كان أهلاً، وإلا
رجعت إلى قائلها ». أبو داود وحسنه الألباني لغيره

وقد نهى النبي عليه السلام عن اللعن حتى وإن كان لجماًداً أو حيواناً.
فعن عمران بن حصين ، قال : بينما النبي عليه السلام في بعض أسفاره،
وامرأة من الأنصار على ناقه، فضجرت، فلعننها، فسمع ذلك النبي
عليه السلام فقال: « خذوا ما عليها ودعوها، فإنها ملعونة ». قال عمران:
فكأنني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد. مسلم
وقال النبي عليه السلام : « لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة ». أبو داود
وابن حبان وصححه الألباني

وعن ابن عمر ، أن رجلاً لعن الريح عند النبي عليه السلام فقال: « لا

تلعن الريح فإنها مأمورة ، من لعن شيئا ليس له بأهل، رجعت
 اللعنة عليه ». أبو داود والترمذي وصحه الألباني
 وعن جابر أن النبي ﷺ دخل على أم السائب فقال: « هالك
 تفرين؟ » قالت : الحمى ، لا بارك الله فيها. قال: « لا تسبي
 الحمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير الخبز
 ». مسلم

المؤمن نقي اللسان حتى مع الأعداء..

ليس ما يبرر إطلاق اللسان بالسوء شيء حتى وإن كان مع الأعداء
 فنقاء اللسان ينعكس على نقاء القلب والسريرة، بل ويكسب احترام
 الناس حتى وإن كانوا يكونون لك ضغينة ، بل وقد يكسبك حبه
 بعد العداوة فيغدون أصدقاء.
 ولنتأمل هذا الموقف مع السيدة عائشة

تقول عائشة رضي الله عنها : إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا : السام
 عليكم (الموت عليكم) فقال النبي ﷺ : « وعليكم » قالت عائشة
 : السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال النبي ﷺ : «
 مهلا يا عائشة !! عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش » فقالت
 عائشة : أو لم تسمع ما قالوا فقال النبي ﷺ : « أو لم تسمعي
 ما قلت رددي عليهم فيستجاب لي ولا يستجاب لهم » البخاري
 وفي رواية مسلم قال ﷺ :

« لا تكوني فاحشة فإن الله لا يحب الفحش والتفحش ».

وهنا فإني ألمح لمحة جميلة في كلام النبي ﷺ :
 المعنى من هذا الحديث أن الله يحب الرفق والأدب حتى في الرد على
 من اعتدى علينا، وقد رد النبي ﷺ عليهم بدون أن ينطق بكلمة
 شائنة ، بل إنه وصف رد السيدة عائشة عليهم باللعنة بالفحش ،

فما القول فيمن يسب ويلعن بأبشع الألفاظ اليوم ويشتم بالأب والأم ، بل إن القول الفاحش ملازم للسانه بسبب أو من دون سبب . فلنتعلم من نبينا الكريم الأدب والسمت الحسن، فإن شاتمنا أحد أو تعدى علينا بالقول فإننا نرد عليه ولكن دون فحش أو سوء في الحديث . وهذه الأدلة من القرآن والسنة تبين حرص الإسلام الشديد على طهارة القلب واللسان ، وأنه لا يجوز للمسلم أن يدنسهما بقول قبيح حتى مع أعدى الأعداء ، أو حتى مع الحيوانات أو الجمادات . وإن كان لكل خلق استثناءات تبيح الحياد عنها ، فإنه لا عذر أبداً لتداول القبيح من القول أو العمل ، و الارتقاء في الألفاظ والأفعال لا بديل لهما أبداً مهما كانت الظروف والمواقف .

قال الأحنف بن قيس : ألا أخبركم بأدوأ الداء : اللسان البذيء والخلق الدنيء .

وقال الشافعي:

احفظ لسانك أيها الإنسان *** لا يلدغك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه *** كانت تهاب لقاءه الأقران

ومما سبق يتبين أن الإسلام حرص على أن يكون المؤمن طاهر اللسان حلو المنطق ، عذب الكلمات ، لا يشينه شيء، ولا يقدح في مروءته قاذح.

الفصل الثاني

صفات يجب أن نحرص عليها

الإِتقان

كان هناك رجل بناء يعمل في إحدى الشركات لسنوات طويلة ..
 فبلغ به العمر أن أراد ان يقدم استقالته ليتفرغ لعائلته ..
 فقال له رئيسه :
 سوف أقبل استقالتك بشرط ,
 أن تبني منزلاً أخيراً ..
 فقبل رجل البناء العرض ..
 و أسرع في إنهاء بناء المنزل دون تركيز وإتقان
 ومن ثم سلم مفاتيحه لرئيسه ..
 فابتسم رئيسه وقال له :
 هذا المنزل هدية نهاية خدمتك للشركة طول السنوات الماضية
 فَصِدِّمْ رجل البناء ..
 وندم بشده أنه لم يتقن بناء منزل العمر !!

صورة من مجتمع يفتقد لقيمة الإتقان.

منصور...موظف في مصلحة حكومية ... يبدأ يومه مبكراً وبالرغم من ذلك يذهب دائماً لعمله متأخراً متثاقلاً، يجلس على مكتبه متجهماً ثم يتناول الفطور ويشرب الشاي ثم يقرأ الصحف ، ثم يستقبل الناس متأففاً ، منصور يتحدث في الهاتف مع البيت والأصحاب ، والناس ينتظرون ، ويقوم ليقضي مصالحه الشخصية والناس ينتظرون أن تقضى مصالحهم ولا جدوى فمنصور يضع لهم العراقيل ، ويؤجل المواعيد ، ثم قبل أن ينتهي اليوم يتسابق منصور مع زملاؤه ليوثق انصرافه قبل ساعه من انتهاء موعد العمل .

ماذا خسرننا ..

وماذا خسر المجتمع من غياب قيمة الإتقان؟

قد يظن البعض أنه من الذكاء أن يتهرب من بعض أعماله، أو أن يستقطع جزءاً من وقت العمل لقضاء مصالحه الشخصية، أو حتى يفاخر بتحقيق الإنجاز السريع بغض النظر عن جودة العمل وإحكامه، بل وقد يتفاخر بعض الناس بأنه استطاع التلاعب بهذا والضحك على ذاك في تجارة أو عمل ما . ولا يدري أنه بذلك قد خدع نفسه هو لأنه سيصبح في نظر الناس موصوفاً بالخيانة والغش، وإنسان مفقود الثقة فيه وفي تعاملاته.

ومجتمع أفراده ينتهجون هذه الطريقة في الحياة من الالمبالاة وعدم الشعور بالمسؤولية والإهمال والتسيب وابتكار أساليب الغش والخداع لا يستحق إلا أن يكون في أذنان الأمم.

لقد فقدنا الكثير بسبب تخلينا عن خلق الإتقان وعدم التعامل معه على أنه أمانة مسؤولون عنها يوم القيامة، ولذا كانت النتيجة أننا

فقدنا الثقة في أنفسنا ، وفقدنا ثقة الآخرين بنا ، فها هي صناعاتنا ومنتجاتنا وقراراتنا وسياساتنا خير شاهد وأوضح دليل فكل ذلك غير معترف به في العالم ، بل هي ساقطة أصلاً من حسابات الدول في التعامل معها إن وجدت ، ولا تمثل عندهم شيئاً . ولما نلومهم ونحن أول من يفضل المنتج المستورد من الخارج عما ننتجه في الداخل لأننا نعلم أن منتجاتنا تفتقد للجودة والإتقان .

نحن نشاهد الصور المحزنة والمخزية لصور عدم الإتقان تحيطنا في كل مكان وفي كل اتجاه ، ونتحسر عليها وعلى حالنا دون أدنى حراك ، ولا نفعل شيء غير الأمانى أو الرضا بالأمر الواقع أو المحاولات الدؤوبة للهروب ، والخيارات الثلاثة أسوأ من بعضها البعض ، فجميعها سلبية وانهزامية ونكوص عن المسؤولية، فإن لم تساعد في التغيير وتكون جزء منه فأنت لا تستحق الحياة الكريمة التي تطمح إليها، بل إنك تريد أن تعيش تحت ظل نجاحات الآخرين دون جهد أو تعب .

هذا التأخر والتراجع لأمتنا الذي نراه الآن هو بسبب افتقارنا لمبدأ الإتقان في كل شيء ، فنحن نعمل لنعيش ونأكل ونشرب ونتزوج وننجب ونزوج أولادنا ثم نكون بذلك قد حققنا كل غاياتنا.

أما هم فيتعلمون ويعملون ويتقنون ويدعون حتى يتميزون ويتفوقون ويتقدمون ويرفعون من شأن بلادهم ثم يقودون بها العالم ، وهذا هو الفارق الكبير بيننا وبينهم ، وبين غاياتنا وغاياتهم ، ولذلك فهذا حالنا وهذا حالهم .

الإتقان سبيل النجاح والتقدم للفرد والمجتمع

• على مستوى الفرد:

إن أول الطريق نحو التميز هو الإتقان ، فالإنسان الذي يجود ويتقن في عمله حينها يكون قد وضع قدمه على أول الطريق نحو النجاح، ومن ثم الترقى لأفضل الدرجات ، فالعامل المتقن يتهافت أرباب العمل عليه ، والطبيب المتقن تمتلئ عيادته بالمرضى لثقة الناس به ، والمهندس المتقن يطلبونه الناس بالاسم لإنشاء بيوتهم و دورهم ، والداعية المتقن يلتف الآلاف حوله ، والمدير المتقن تحقق شركته أعلى إنتاجية وأعلى أرباح .

وقد كان الدكتور ابراهيم الفقي - عليه رحمة الله - الذي وصل لأعلى المراتب وأصبح أشهر مدرباً عالمياً يفتخر دائماً ويقول : لقد بدأت حياتي العملية بغسيل الصحون ، وقد كنت أفضل من يغسل الصحون في الفندق وإبتقانه في أقل الأعمال مكانة في المجتمع أصبح يترقى في العمل تلو العمل إلى أن وصل لأن أصبح مدير الفندق الذي كان يغسل به الصحون ، ثم أصبح مدير أكبر الفنادق في مونتريال بكندا .

ويقول الدكتور صلاح الراشد: إذا عملت من أجل المال فلن تجني الكثير ، أما إذا عملت من أجل الإتقان فستجني أموالاً كثيرة. فالإتقان يرتقي بصاحبه ويصقل قدراته ويجعل منه إنساناً متميزاً ومبدعاً ، ويرفع من مستواه المادي والمعنوي.

• على مستوى المجتمع :

الحياة بدون إتقان هي حياة بلا روح ، بل حياة تدعو للملل والرتابة ، وأيضاً حياة مفتقدة للجمال ، فالإتقان هو السعي الدائم

للكمال ، والسعي لتحقيق الإتقان هو أمر ناتج عن الإحساس بالجمال والتطلع إليه .

وعندما تترسخ قيمة الإتقان في عقولنا ومعتقداتنا وسلوكياتنا فإن ذلك يحول العمل من مجرد واجبات نسعى للانتهاء منها ، ومسؤوليات نتسابق لإلقائها عن كواهلنا إلى مهام نقضي فيها أوقاتاً ممتعة ، وعندما يتحول العمل إلى متعة ، يصبح المجال رحباً للإبداع والابتكار .

وعندما توجد الأمة التي يحرص جميع أفرادها على إتقان وإجادة العمل ، فحينها يُنظر إليها على أنها أمة جديرة بالاحترام والتقدير ، وقد وجدت طريقها للتقدم والتميز وسيادة الأمم ، وسيتسابق جميع دول العالم للتعامل معها .

الإتقان نهج الإسلام..

والإسلام يدعو للإتقان في كل شيء

الدعوة للتأمل في خلق الله تعالى وإتقانه وإبداعه في خلق الكون ، فسبحان من خلق فأتقن فأبدع .

{والسمااء بنيناها بأيد وإنا لموسوعون} . الذاريات

{الذي خلق سبع سماوات طباقا، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين،

ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير} الملك

{صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون} النمل

ثم التدريب على الإتقان من خلال إقامة العبادات بصورة متقنة .

فعند الصلاة مثلاً لابد من الخشوع التام وإقامة كل أركانها بصورة صحيحة ، ولا تصح ولا تقبل إلا إذا كان الوضوء تاماً مسبغاً للأعضاء أي إعطاء كل عضو حقه من الطهارة والغسل.

وقد دخل رجل المسجد فصلى، والنبى ﷺ في ناحية المسجد، فجاء فسلم عليه، فقال له «ارجع فصل فإنك لم تصل» فرجع فصلى ثم سلم، فقال «وعليك، ارجع فصل فإنك لم تصل» قال في الثالثة: فأعلمني، قال «إذا قمت إلى الصلاة، فأَسْبِغِ الوضوء، ثم استقبل القبلة، فكبر واقراً بما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تستوي وتطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تستوي قائماً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها». متفق عليه

والصيام يرد على صاحبه إن لم يصاحبه صيام الجوارح أيضاً عن المحرمات ، فيقول : «رُبْ صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» أحمد وابن ماجه والحاكم.

والحث على قراءة القرآن بالتجويد والترتيل السليم فيقول : «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه ، وهو عليه شاق له أجران» . مسلم

ثم تعميم الأمر بالإتقان لكل عمل يقوم به المسلم في حياته ، فنجد النبى ﷺ يقول :

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه ».البیهقي

«إن الله كتب الإحسان على كل شيء». مسلم

الإتقان والإحسان حتى عند الموت..

« إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ،

وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته». مسلم

«من قتل وزغا لأول ضربة، فله كذا وكذا حسنة، ومن قتلها في الثانية: فله كذا وكذا أدنى من الأولى، ومن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة أدنى من الذي ذكره في المرة الثانية». مسلم

فإن كان هكذا أمر بالإتقان عند الموت فما بالك بالإتقان في الحياة.

ويظل التحفيز على الإتقان في مواضع كثيرة منها قوله تعالى:

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى

عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾. التوبة

وقال صلى الله عليه وسلم: « رحم الله عبداً عمل عملاً فأثقنه ».

البيهقي

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن أحدكم يعمل في

صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة ، لأخرج الله عمله للناس كائناً

ما كان ». أحمد

ثم يقرر الله في كتابه العزيز أنها الحياة والموت هو ابتلاء واختبار

جزاؤه يقاس بأفضلية العمل سواءً كان هذا العمل للدنيا أو للآخرة

فيقول : {تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير. الذي

خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور}

الملك

ما الأسباب التي ساعدت على غياب الإتقان في مجتمعاتنا ؟

لقد ساهمت أسباب عدة على غياب خلق الإتقان في بلادنا ومنها التعليم والنظرة الخاطئة لأنماط عمل معينة ، فترفع من شأن أعمال وتحط من أخرى، ثم غياب قيم أساسية مثل الصدق والأمانة والاحترام المتبادل ، والتهوين من شأن أخرى كقيمة العمل وقيمة الوقت .

لقد ساعدت منظومة كاملة على انتهاج نهج عدم الإتقان في كل شيء، تلك المنظومة بدأت باضمحلال الإيمان في القلوب ثم بالتحلل من أخلاقيات أساسية شيئاً فشيئاً مثل الأمانة والصدق والإخلاص والوفاء بالوعد وغيرها، وحل محلها أخلاقيات رديئة أخرى مثل الكذب والغش والحنث بالوعد واللامبالاة وعدم الاعتداد بالوقت وتهوين قيمة العمل .

ومن ناحية أخرى التعليم الذي يسير بعكس الاتجاه ، وبدلاً من أن يكون مؤسسة لتعليم وغرس المبادئ والقيم أصبح مؤسسة لخلخلة هذه المبادئ ، فالطالب يتعلم الخلق ونقيضه في آن واحد ، وهذا أخطر من ألا يتعلم شيئاً

فهو يلحق أن الكذب حرام وصفة مذمومة وفي نفس الوقت يجد الأب أو الأم أو المدرس يكذب أمامه ، ويتعلم أن الغش حرام وصفة مذمومة ثم يشاهد أمامه المدرس يلحق التلاميذ الإجابات في الامتحان ، والكتب التي تملئ بالحديث عن قيمة النظافة والنظام وفي نفس الوقت يرى المدرسة بوجه آخر حيث تصرخ من الإهمال والفوضى والفناء المليء بالقاذورات والفصول المتسخة حيطانها وأرضياتها والحمامات التي لا تعرف للنظافة طريقاً ، وهكذا تتميع الأخلاقيات أمامه وتصبح تعابير خاوية لا قيمة لها ، ومعها تضيع قيمة الإتقان ،

ولذا فإنه لكي تربى لابد من أن تكون أنت قدوة أولاً .
ثم يأتي دور الجامعة حيث يدخل الطالب كلية مفروضة عليه وليس
تبعاً لميوله ورغباته ثم يتخرج ليعمل في مجال مفروض عليه وليس
لمجال الذي يحبه وفي نفس الوقت لا يمت للدراسة بصلة .

ما هي العوامل التي تعين على إتقان العمل ؟

- التنظيم والترتيب .
- التخصص .
- التعلم المستمر واكتساب الخبرات والتماس المعرفة الدائم.
- اختيار الإنسان للعمل الذي يحب .

قصة :

دخل فتى صغير إلى محل تسوّق وجذب صندوق مشروبات غازية إلى
أسفل كابينه الهاتف.. ووقف فوق الصندوق ليصل إلى أزرار الهاتف
وبدأ باتصال هاتفي ..
انتبه صاحب المحل للموقف و بدأ بالاستماع إلى المحادثة التي يجريها
هذا الفتى ..

قال الفتى للطرف الآخر: سيدي ، أيمكنني العمل لديك في تهذيب
عشب حديقتك؟

أجابت السيّد عبر الهاتف: لديّ من يقوم بهذا العمل
قال الفتى: سأقوم بالعمل بنصف الأجرة التي يأخذها هذا الشخص
أجابت السيدة : بأنها راضية بعمل ذلك الشخص ولا تريد استبداله
أصبح الفتى أكثر إلحاحا وقال: سأنظف أيضا ممر المشاة والرصيف
أمام منزلك ، وستكون حديقتك أجمل حديقة في مدينة بام بيتش
فلوريدا

ومرة أخرى أجابته السيدة بالنفي

تبسم الفتى وأقفل الهاتف

تقدم صاحب المحل- الذي كان يستمع إلى المحادثة -إلى الفتى وقال

له: لقد أعجبتني همتك العالية، وأحترم هذه المعنويات الإيجابية

فيك وأعرض عليك فرصة للعمل لدي في المحل

أجاب الفتى الصغير: لا ، وشكرا لعرضك ، غير أنني فقط كنت أتأكد

من أدائي للعمل الذي أقوم به حاليا.. إنني أعمل لهذه السيدة التي

كنت أتحدث إليها

الكلمة الطيبة

تقول إحدى الزوجات:

قال لي بغلظة سوف أذهب للغداء مع أصدقائي هل تريدني شيئاً ؟

قلت له: حسناً ولكن لا تتأخر لأن الكهرباء سوف تنقطع.

استدار نحوها في تعجب وقال:

من قال لك أنها سوف تنقطع ؟

أجابته بقولها:

أنا أقول لك ذلك،

بمجرد خروجك من البيت يظلم كل شيء وبمجرد دخولك البيت يضيء كل

شيء. تبسم

بعد أن أدرك ما ترمي إليه وذهب وكله شوق للعودة إلى البيت.

يقول في كتابه الحكيم:

{ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء* تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون*} ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار* يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء}. إبراهيم

وقال : {وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً}. الإسراء

الكلمة الطيبة هي لمسة حانية تمسح جروح القلوب ، وتطيب الخواطر، وتؤلف النفوس، وتشع نوراً فتملأ الدنيا سعادة ، والكلمة الطيبة تصنع المعجزات ، وتذيب الجليد ، وتلين الصخور، فهي معاً ننشر الكلمة الطيبة بين الناس، حتى نخلق مجتمعاً مترابطاً متآلفاً ، قلوب أفرادها على قلب رجل واحد، يجمع بينهم رباط الحب والألفة والأمان فيصبحوا كنسيجٍ واحد.

الكلمة الطيبة..... لماذا؟

• الكلمة الطيبة هي سمت الصالحين .

• تصعد إلى السماء وتفتح لها الأبواب .

قال : { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه }.

• أسهل طريقة لكسب الحسنات

فالكلمة الطيبة عداد لا نهائي من الحسنات التي تحسب لك ، فقد

قال ﷺ : « **الكلمة الطيبة صدقة** ». متفق عليه

وقال أيضاً ﷺ : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة** ، فمن لم يجد فبكلمة

طيبة». متفق عليه

• الكلمة الطيبة تحول العدو إلى صديق ، وتبدل الضغينة إلى محبة ومودة.

قال تعالى : { **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن**

فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم } . فصلت

• طريقاً للجنة.

فعن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال : « **إن في الجنة**

خرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنهما من ظاهرها » ، فقال أبو

مالك الأشعري : **لمن هي يا رسول الله ﷺ ؟** ! قال : « **لمن ألان**

ال كلام ، واطعم الطعام ، وبات قائماً والناس نيام » . الألباني . حسن

صحيح

• تمتص الغضب.

فيمكن للكلمة أن تفعل مفعول السحر عند الغضب فتحيل الغضب

إلى هدوء وسكينة في لحظة.

• تصنع مستقبلاً

فكم من كلمة تشجيع من أب أو أم أو معلم صنعت عبقرياً أو عالماً.
يحكي بنيامين وست عن السبب وراء موهبته الفذة في الرسم
فيقول : « ان أمه ذات يوم تركته مع أخته سالي فعثر علي بعض
زجاجات الألوان ..وقرر أن يرسم وجه سالي , وفي أثناء ذلك أفسد
ترتيب الشقة وسكب الألوان في كل مكان ..
فلما عادت أمه لم تقل له شيئاً عن الفوضى العارمة التي سببها..بل
أخذت الورقة التي كان يرسم عليها ..ثم هتفت بفرح قائلة:« إنها
صورة سالي يا بنيامين ..» ، ثم أقبلت عليه بشدة واحتضنته وقبلته ..
يقول وست معلقاً : (هذه القبة جعلتني رساماً)!!

• تؤثر القلوب

فالكلمة الطيبة تفعل مفعول السحر في القلوب
قال علي بن أبي طالب : فمن لانت كلمته وجبت محبته ، ومن
عذب لسانه كثر إخوانه.

• سبيلاً للدعوة

فقد حث الله على دعوة الناس بالحكمة واللين في الكلام فقال:
{ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن }. النحل
حتى مع أعتى الطغاة أمر الله رسله بالكلمة الطيبة...
فقد أمر الله تعالى موسى وهارون بالقول اللين مع فرعون الطاغية
فقال: { اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولا لينا لعله
يتذكر أو ينشى } . طه

وقال تعالى :

{ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين} .فصلت

أهمية وتأثير الكلمة على الدماغ..

هذه دراسة تؤكد الأثر الكبير الذي تتركه الكلمة الطيبة أو الكلمة الخبيثة على الآخرين، حيث وجد العلماء منطقة في الدماغ تختص بالذكريات المؤلمة.

قال الباحثون في هذه الدراسة إن التغيرات التي تطرأ على المخ وتسمح لنا بالعمل في إطار جماعي أو مجتمعي يمكن أن تكون المفتاح لفهم هذا الأمر. وطلب في هذه الدراسة من عينة البحث، وهم متطوعون جميعهم من الطلاب، أن يكتبوا عن تجاربهم المؤلمة البدنية والعاطفية ثم يجرى لهم اختبار ذهني صعب بعد كتابة تلك التجارب بوقت قصير.

والمبدأ الأساسي الذي اعتمدت عليه الدراسة أنه كلما كانت التجربة التي تذكرها الطالب أكثر إيلاماً كلما كان أداؤه في الاختبار أسوأ. وكانت النتائج أفضل لدى تذكر تجارب الألم البدني عن الألم العاطفي. وقال الباحث شينسينج زين من جامعة بوردو في ولاية إنديانا الأمريكية إنه من الصعب إحياء ذكرى الألم البدني مقارنة بالألم العاطفي والاجتماعي.

إن هناك جانباً في المخ قد يكون مسئولاً عن التجارب والكلمات المؤلمة التي يتعرض لها الإنسان هي القشرة المخية التي تقوم بعمليات

معقدة تشمل التفكير والإدراك واللغة. إن هذا الجزء من المخ يحسن قدرة الإنسان على التكيف مع الجماعات والثقافات كما أنه مسئول عن رد الفعل على الألم الذي له علاقة بالجماعة. ونرى تكرار الأمر الرباني بالكلام الطيب يؤكد ما اكتشفه العلم اليوم يقول :

{وقولوا للناس حسناً} .البقرة:

{وقل لهم قولاً معروفاً} .النساء:

{فقل لهم قولاً ميسوراً} .الإسراء

ويؤكد النبي ﷺ على ذلك فيقول:

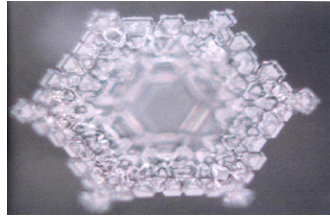
« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

أثر الكلمة الطيبة على جميع المخلوقات :

صنع الله الذي أتقن كل شيء صنعا ، فكل مخلوقات الله تتأثر بالكلمة الطيبة أو بالكلمة الخبيثة ، وقد أجريت أبحاث وتجارب كثيرة في هذا المضمار لتثبت هذا الكلام .

ففي دراسة أجريت على الماء وجد أن جزيئات الماء تتغير وتنظم عند قول كلمات مريحة قبل شربها ، فقد اكتشف العالم الياباني (إيموتو) تحول جزيئات الماء عند تلاوة القرآن وتأثره بالكلام الطيب والكلام القبيح.....

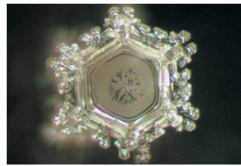
فهذه صورة بلورة ماء بعد تأثرها بكلمة شـكراً



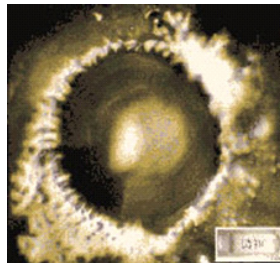
وبعد تأثرها بكلمه غبي...



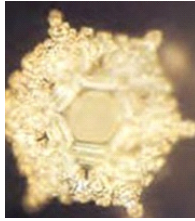
وهذا تأثير البسملة على جزيئات ماء زمزم



عند وضع موسيقى صاحبه..



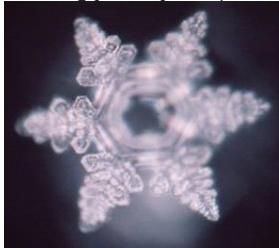
صورة لجزيئات الماء بعد كلمة أحبك



صورة لجزيئات الماء لعبارة سوف أقتلك



جزيئات الماء بعد قراءة سورة الفاتحة عليها



وقال (إيموتو) في حديثه أمام أكثر من ٥٠٠ باحث ومهتم في أبحاث المياه، أن إضافة قطرة واحدة من ماء زمزم إلى ١٠٠٠ قطرة من الماء العادي تجعل الماء العادي يكتسب الخصائص ذاتها لهذا الماء المقدس.

يتضح من هذا البحث مدى تأثير الكلام الطيب على الماء وذلك في

اتخاذها أشكال هندسية جميلة

ومدى تأثير الكلام السيئ على الماء وذلك في اتخاذها أشكال مشوهة وعشوائية.

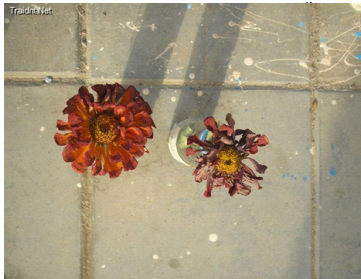
ولذلك أوصى النبي ﷺ بالتسمية عند الأكل و الشرب لأن جزئيات الماء تسمع لفظ الجلالة فتنتظم جزئياتها مما يعكس أثراً غير مباشر على الصحة .

يقول ابن القيم : «فظللت في مكة زمنا لا أجد طبيبا و كان يصيبني بعض الأدوية فأقرأ في ماء سورة الفاتحة فأجد صحة لم أجدتها في غيره. وقال تعالى: {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنَّكُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ}. الأنعام

وفي دراسة أخرى اكتشفوا أن جزئيات شريحة اللحم المذكور عليها اسم الله تعالى منتظمة بشكل سداسي جميل ، بينما الشريحة التي لم يذكر عليها اسم الله جزئياتها مبعثرة.

• وفي مصنع ألبان في نيوزلندا له فرعان أحدهما في شمال البلاد والآخر في جنوبها ، ولكن وجد أن الإنتاج كان متفاوتاً بينهما بشكل كبير رغم تطابق جميع الظروف للموقعين ، وتجهيزاتهما وآلية العمل بهما ، ونوعية الأبقار ، مما جعل المالك يحترق عن سبب اختلاف كمية إنتاج الألبان بين الأول والثاني . وبعد إجراء الأبحاث والدراسات توصلوا إلى النتيجة التي كانت مفاجئة لهم .. وهي أن المصنع الأول يعمل فيه نفس العدد من الأشخاص لكنهم مختلفون في تعاملهم مع الأبقار حيث إن لديهم تقديرا كبيرا لها ويعبرون عنه يوميا كل صباح قبل بدء حلب الأبقار حيث يطلون عليها مبتسمين مخاطبين كل بقرة شخصياً بقول : صباح الخير يا بقرة!! (GOOD MORNING COW) وهذا هو سبب زيادة إنتاجها.

• وفي تجربة على زهرتين وضعتا في نفس الظروف لمدة أسبوع ، الزهرة الأولى قرأ عليها قرآن وقيل لها كلام طيب ، والأخرى قيل لها كلاماً سيئاً ورسائل سلبية، وكانت المفاجأة بعد الأسبوع كانت الزهرة الأولى مازالت نضرة ، بينما الزهرة التي تلقت الرسائل السلبية أصبحت ذابلة ، حتى الماء الذي وضعت فيه الأولى كان أروق وأقل رائحة من الزهرة الثانية



حتى الجمادات تتأثر بالكلمة الطيبة..

فقد ثبت علمياً بتجارب كثيرة سابقة أن كل مخلوق حي بل كل شيء حولنا يشعر ويتأثر بالكلمة الطيبة حتى الجمادات .. وقد ورد في السيرة النبوية أن جذع الشجرة حنَّ للرسول حين تركه وكان يستند عليه في الخطبة واستبدله بالمنبر حتى سمع الصحابة أنه لم يهدأ إلا حين نزل من فوق المنبر واحتضنه وهدأه بالكلام الطيب .

وإذا كانت الكلمات تؤثر على الجماد والنبات والحيوان وكل الكائنات .. فكيف بالإنسان وهو أكرم المخلوقات ، ومن ميزه الله بالعقل والإحساس المرهف ، فبال تأكيد سيكون تأثيره أكبر وأعمق بكل كلمة يسمعها سواء كانت طيبة أو سيئة ، بل أن الكلمة الطيبة يبقى أثرها لما بعد رحيل الإنسان من الدنيا وتثقل بها موازينه في الآخرة .

أثر الكلمة الطيبة على النفس...

يعلّمنا النبي ﷺ الكريم كيف نخاطب أنفسنا قبل أن نخاطب الآخرين ، فحديث النفس يؤثر فينا كما الكلمات تؤثر في الآخرين ، فيجب أن تملأ نفسك بكل ما هو جميل حتى تتمكن من العطاء للآخرين ، وتوجه لنفسك أيضاً الكلمات الطيبة، والتلطف مع النفس. ولذا يعلّمنا الحبيب فيقول:

« لا يقولن أحدكم خبث نفسي، ولكن ليقل لقسست نفسي».

ماذا لو؟

• ماذا لو دخل الزوج على زوجته مبتسماً وأسمعها كلمات رقيقة بأنه يحبها وأنها أجمل امرأة في عينيّه ، وما إلى ذلك من كلمات الإطراء ، ما ذا لو شكرها كلما قدمت له طعاماً أو أصلحت له قميصاً أو قدمت له خدمة، وقال لها أنه يقدر تعبها من أجله ومن أجل أولاده ؟.

• ماذا لو استقبلت الزوجة زوجها بابتسامة ، وأخبرته أنها تشّاق إليه كلما ابتعد عنها ، وأخبرته أنها تقدر عمله وتعبه من أجلها ومن أجل أولاده ، وأشعرته أنها ممتنة له في كل الأوقات وأنها لا تستطيع أن تستغني عنه أبداً.

وتخيل جو السعادة التي ستغمرهما في البيت ، وكم سيكون أجمل مكان في العالم يجمعهما.

• ماذا لو كانت دائماً كلمات الأب والأم لأولادهما كلمات تشجيع وإعجاب ، وحب وحنان، فتخيل ماذا يمكن أن يكون عليه هؤلاء الأولاد في المستقبل من توازن نفسي ، وشخصية واثقة من نفسها ،

وعبقريات وإبداعات تتفجر.

● ماذا لو تعامل الناس مع بعضهم البعض بالكلمات الرقيقة والشكر والاحترام والتقدير ، سواءً في العمل ، أو في الأسواق ، أو في المصالح والمؤسسات ، فتخيل كيف ستسير الحياة بسلاسة ويسر وبدون تعقيد.

● ماذا لو تعامل المدير مع مرؤوسيه بكلمات التقدير والتشجيع ، كيف سيزدهر العمل وتزداد الإنتاجية .

● ماذا لو تناقش اثنان وتحاورا بدون جدال ، وكل واجد منهما يحترم رأي الآخر ويظهر له التقدير ، ويختلف معه بأدب وبكلمات لطيفة ، وانظر كيف ستنتهي الحوار بالحب والمودة برغم الاختلاف.

● ماذا استخدم كل داعية إلى الله كلمات طيبة ورقيقة لدعوة الناس وهدايتهم إلى الله ، وحاول أن يظهر الحسن من الذي يدعوه ، وأوصل إليه المراد من خلال الكلمات المحببة والغير جارحة ، فتخيل كم من الناس ستهتدي على يديه .

وتعالوا نعي قصة عبد الله بن مسعود

إذ ذات يوم عندما مر ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة ، فإذا فتيان قد اجتمعوا يشربون، و فيهم مغن يقال له: زاذان، يضرب و يغني، وكان له صوت حسن.

فلما سمع ذلك عبد الله قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله، و جعل الرداء على رأسه و مضى.

فسمع زاذان قوله فقال: من كان هذا؟

قالوا: عبد الله بن مسعود صاحب النبي ﷺ ، قال: و أي شيء قال؟
قالوا: إنه قال: ما أحسن هذا الصوت، لو كان بقراءة كتاب الله تعالى.

فقام وضرب بالعود على الأرض فكسره ثم أسرع فأدركه ، و جعل المنديل في عنق نفسه،
وجعل يبكي بين يدي عبد الله بن أم مسعود، فاعتنقه عبد الله بن مسعود،

وجعل يبكي كل واحد منهما. ثم قال عبد الله: كيف لا أحب من قد أحبه الله فتأب إلى الله من ذنوبه.

ولازم هذا الشاب عبد الله بن مسعود حتى تعلم القرآن ، و أخذ حظا من العلم

حتى صار إماما في العلم، و روى عن عبد الله بن مسعود و سلمان وغيرهما.

- ماذا لو شكرنا السائق الذي أوصلنا ونحن نعطي له الأجرة ،
والسيدة التي ابتعنا منها الخضار.

قال لقمان الحكيم :

القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة ،

فإن لم تتمتع بثمرها فتمتع بخضرها

قصة الزوجة وحماتها...

يحكى أن أمّاً زوجت ابنها الوحيد شابة جميلة من أصل طيب، ولكن علاقة العروس بحماتها لم تكن على ما يرام منذ اللحظة الأولى لدخول العروس بيت الزوجية، وكانت الخلافات تنشب بينهما لأتفه الأسباب، ولدى عودة الابن من عمله تشكو له أمه سوء معاملة زوجته لها، وعدم اهتمامها بها، وكانت الزوجة تقوم بالسلوك ذاته، فتشكو له سوء معاملة أمه، وإهانتها المستمرة لها بالفعل والكلام، فيما يجد الشاب نفسه مستاء ويحтар ماذا يفعل، حتى إنه كره العودة إلى المنزل، وصار يمضي معظم وقته في العمل أو الخروج مع الأصدقاء.

وذات يوم زارت إحدى الصديقات هذه الزوجة الشابة، وكعادة النساء جلستا يتبادلان أطراف الحديث وتتهامسان وتتضحكان، وعندما سمعت الحماة ضحكاتهما، شعرت بأنهما تسخران منها، وذلك لأن سوء الظن مستحكم في العلاقة بينهما، فخرجت إليهما ووبخت زوجة ابنها وطردت ضيفتها، وعندما اعترضت الزوجة على سلوك حماتها تعرضت للإهانة والضرب منها.

وعندما عاد الابن مساء بدأت الأم تشكو له سوء سلوك زوجته معها، ولما دخل غرفته وجد زوجته باكية وعلى وجهها آثار الضرب الذي تعرضت له من أمه فأسقط في يديه وما عاد يدري ماذا يفعل؟

هنا تدخلت الزوجة وطلبت من زوجها أن يسكنها في بيت خاص بهما ويتركها بيت أهلها، فاعترض الزوج بشدة لأن أمه وحيدة وهو المعيل الوحيد لها، ولا يمكن له أن يتركها نهياً للفراغ والوحدة.

وبعد مسلسل طويل من الخلافات والمناوشات قررت الزوجة ترك بيت زوجها والعودة إلى بيت أهلها، ومر وقت طويل وهي في بيت أهلها ترفض كل محاولات زوجها للإصلاح والعودة إلى بيت الزوجية، إلى أن تعرضت أمه لمرض شديد أقعدها الفراش، هنا كان لابد من عودة الزوجة إلى بيتها لرعاية زوجها وأمها المريضة.

وبالفعل عادت والشیطان یوسوس لها متمنية موت حماتها.

ولكن الأمور لم تسر حسب هذا المنوال، فقد استردت الحماة صحتها سريعاً، وعادت الأمور بينهما إلى سابق عهدها من التوتر والمشاحنة وفي كل مرة كانت المشكلة تنتهي بضرب الحماة زوجة ابنها التي قررت أخيراً التخلص من حماتها بقتلها بالسم ليخلو لها بيتها وزوجها.

وبالفعل صارحت الزوجة صديقتها بنيتها، لكن الصديقة أبدت تخوفها من الفكرة، فهذا سلوك مرعب لا يمكن أن تشارك فيه، لكن الزوجة قالت لها إنها ستنفذ خطتها سواء ساعدتها الصديقة أم لم تساعدتها. ومهما كانت النتائج، لأنها إن لم تقتل حماتها فسوف تموت قهراً وكمداً وحنناً.

وفكرت الصديقة كثيراً ثم قالت لصديقتها: سأساعدك بشرط أن تنفذي كل ما أطلبه منك حرفياً ودون زيادة أو نقصان، على الفور وافقت الزوجة شاكراً تعاون صديقتها معها.

وفي اليوم التالي جاءت الصديقة ومعها علبة صغيرة من الزجاج مغلقة بإحكام وملفوفة بقطعة قماش، وهمست في أذن صديقتها بأن الزجاجاة تحتوي على سم قاتل لا يمكن اكتشافه، وطلبت منها أن تضع كل يوم منه قطرة واحدة في طعام الحماة أو شربها وذلك لمدة شهر كامل، وبعد الشهر سيفعل السم مفعوله ويقضي على الحماة دون أن يحس أحد بالأمر.

واشترطت على الزوجة أن تحسن معاملة حماتها وتحمل إهاناتها
بصدر رحب طيلة الشهر كيلا يشعر أحد بالأمر.

وبالفعل بدأت الزوجة بتنفيذ قرارها، وبدأت تضع قطرات من السم
الذي أعطته لها صديقتها في طعام حماتها وشرابها، وفي الوقت نفسه
بدأت تتوعد إلى حماتها بكلمات المديح والمجاملة، فإذا استيقظت
من نومها قالت لها: إنك يا عمتي تزدادين جمالاً رغم سنوات
عمرك، وأجمل ما تكونين في الصباح، وإن ارتدت ثوباً جديداً أثنت
على ذوقها في اللبس، وإن قامت إلى المطبخ ركضت وراءها حالفة
عليها الأيمان أن ترتاح، وتقوم هي بالعمل الذي تريده الحماة، وبعد
يومين من هذه المعاملة التي تغطي المجاملة عليها، ويلفها المديح
بدأت الحماة تراجع ذاتها وتلوم نفسها على سوء معاملة زوجة
ابنها، ولم يمر أسبوع إلا وكانت الحماة قد تحولت إلى أم للزوجة
ترعاها وتخاف عليها، وتبتسم في وجهها وتجاملها بكلمات المديح
والإطراء، وبعد عشرة أيام وبينما كانت الزوجة تحمل إبريق الشاي
إلى طاولة الطعام تعثرت وسقطت وانقلب الإبريق على الأرض، هنا
هبت الحماة بخوف نحو زوجة ابنها وفي عينيها دموع القلق تسألها
كأم حنون إن كان أصابها مكروه، هذا الموقف غيّر قلب زوجة الابن،
وامتنعت عن وضع السم لحماتها في ذلك اليوم، بل على العكس
ذهبت لصديقتها تطلب منها ترياقاً يبطل مفعول هذا السم، وهنا
اعترفت الصديقة بالسر قائلة إنها لم تعطيها سمّاً بل قطرات من الماء
وضعتها في زجاجة، وطلبت منها تغيير معاملتها لحماتها، لأن حسن
المعاملة والكلام الطيب يغير النفوس يقول تعالى: (ادفع بالتي هي
أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).

ولذلك فإن كلمات المدح يمكن أن تثير في النفس مشاعر الرضا والقبول في نفس الممدوح، بل تجعله أكثر حباً لمادحه، فالكلمة الطيبة لها فعل السحر في النفوس.

الكلمة الطيبة ليست سهماً...

لكنها تخترق القلب

الكلمة الطيبة جواز مرور إلى كل القلوب

الابتسامة

كانت الفتاة الصغيرة التي لا يتجاوز عمرها الست سنوات بائعة
المناديل الورقية

تسير حاملة بضاعتها على ذراعها الصغير ..

فمرت على سيدة تبكي توقفت أمامها لحظة تتأملها ..

فرفعت السيدة بصرها للفتاة والدموع تغرق وجهها ..

فما كان من هذه الطفلة إلا أن أعطت للسيدة مناديل من بضاعتها ..

ومعها ابتسامة من أعماق قلبها المفعم بالبراءة وانصرفت عنها ..

حتى قبل أن تتمكن السيدة من إعطائها ثمن علبة المناديل ..

وبعد خطوات استدارت الصغيرة ملوحة للسيدة بيدها الصغيرة

ومازالت ابتسامتها الرائعة تتجلى على محياها .

عادت السيدة الباكية إلى إطراقها ثم أخرجت هاتفها الجوال وأرسلت

رسالة

(((آسفة ... حقك علي !!!)) ())

وصلت هذه الرسالة إلى زوجها الجالس في المطعم مهموم حزين !!!

فلما قرأها ابتسم ..

وما كان منه إلا أنه أعطى (الجرسون) ٥٠ جنيهاً

مع أن حساب فاتورته لا يتجاوز ٥ جنيهاً !!!

عندها فرح هذا العامل البسيط بهذا الرزق الذي لم يكن ينتظره

فخرج من المطعم

ذهب إلى سيدة فقيرة تفتersh ناصية الشارع تبيع حلوى فاشترى
منها بجنيه

وترك لها ٢٠ جنيه صدقة وانصرف عنها سعيداً مبتسماً !!!

تجمدت نظرات العجوز على الجنيهاات... فقامت بوجه مشرق وقلب
يرقص فرحاً ... ولملمت فرشتها وبضاعتها المتواضعة

وذهبت للجزار تشتري منه قطعاً من اللحم ..

ورجعت إلى بيتها لكي تطبخ طعاماً شهياً وتنتظر عودة حفيدتها وكل
ما لها من الدنيا ..

جهزت الطعام و على وجهها نفس الابتسامة التي كانت السبب في
أنها ستتناول (لحم) ...

لحظات وانفتح الباب ودخلت البيت الصغيرة بائعة المناديل ...

متلهلة الوجه...

وابتسامة رائعة..

تنير وجهها الجميل الطفولي البريء !!!

الابتسامة هي الغلاف الجميل الرائع لحسن الأخلاق ، وعنوان
لدماسة الطباع ، وهي أقصر طريق لامتلاك القلوب. والابتسامة هي
لغة رقيقة ، تصبغ كل ما حولها بألوان زاهية ورائعة الجمال، وتبعث
على الأمل والتفاؤل

عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ : « **إنكم لن تسعوا الناس
بأموالكم ، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق** ». الألباني

وقال أيضاً ﷺ : « **لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى
أخاك بوجه طليق** ». رواه الحاكم والبيهقي

وقد ملك النبي ﷺ قلوب أصحابه ، وقلوب من لقيه وعرفه وتعامل
معه بالابتسامة، فأزال الوحشة منها ، وبث الأمل فيها .

فقد كان وصف أصحابه له بأنه كان (هاشاً .. باشاً)

فعن جرير بن عبدالله قال : (**ما حببني النبي ﷺ ، ولا رأيتني إلا
تبسم في وجهي**) البخاري

ولقد سن النبي ﷺ هذا الخلق الجميل لأمته ، وجعله ميدان
للتنافس فقال ﷺ : « **تبسمك في وجه أخيك صدقة** » رواه الترمذي
وصححه ابن حبان

وعندما سئل عبدالله بن المبارك عن حسن الخلق أوجزه في ثلاث
جمل فقال : حسن الخلق بسط الوجه و بذل المعروف و كف الأذى.
والابتسامة لحظة ولكن يبقى أثرها العمر كله ، والابتسامة كالمياه
العذبة تلين القلوب القاسية وتذيب العقول المتجمدة، وهي كالعصا
السحرية يتلاشى معها الغضب و ينفرج معها القلب.. ويتغير معها

معنى الحياة وتتلون بألوان مبهجة.

الابتسامات :

هي انحناء بسيطة تستقيم بها أمور كثيرة.

أسلم بسبب ابتسامات :

هذه قصة يرويها الشيخ نبيل العوزي في محاضرة له بعنوان قصص من الواقع.

يقول الشيخ نبيل العوزي أن أحد الدعاة كان يتحدث بنفسه.

فيقول : كنت في أمريكا ألقى أحد المحاضرات وفي منتصفها قام أحد الناس وقطع علي حديثي

وقال : يا شيخ لقن فلانا الشهادة ويشير لشخص أمريكي بجواره فقلت : الله اكبر .

فاقترب الأمريكي مني أمام الناس فقلت له : ما الذي حبيبك في الاسلام؟

ولماذا أردت أن تدخله؟

فقال:أنا أملك ثروة هائلة ، وعندي شركات وأموال ولكني لم أشعر بالسعادة يوماً من الأيام ،وكان عندي موظف هندي مسلم يعمل في شركتي ،وكان راتبه قليلاً ، وكلما دخلت عليه رأيته مبتسماً، وأنا صاحب الملايين لم أبتسم يوماً

فقلت في نفسي أنا عندي الأموال وصاحب شركة ،والموظف الصغير يبتسم وأنا لاأبتسم!

فجئته يوماً من الأيام فقلت له :أريد الجلوس معك ..وسألته عن ابتسامته الدائمة .

فقال لي : لأنني مسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً النبي ﷺ .

قلت له :هل يعني أن المسلم طوال أيامه سعيداً؟

قال: نعم .

قلت: كيف ذلك؟

قال: لأننا سمعنا حديثاً عن النبي ﷺ يقول فيه : «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له». وأمورنا كلها بين السراء والضراء، أما الضراء فهي صبر لله، وأما السراء فهي شكر لله، حياتنا كلها سعادة في سعادة.

قلت له: أريد أن أدخل في هذا الدين.

قال: إشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً النبي ﷺ.

ويعود العوضي لحديث الشيخ الداعية قائلاً على لسانه:

يقول الشيخ: قلت لهذا الأمريكي أمام الناس : إشهد الشهادتين.

فلقنته وقال أمام الملاء: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً النبي ﷺ ثم انفجر يبكي أمام الناس، فجاء من يريدون التخفيف عنه. فقلت لهم: دعوه يبكي..

ولما انتهى من البكاء، قلت له: ما الذي أبكاك؟

قال: والله دخل في صدري فرح لم أشعر به منذ سنوات ...

والإنسان البشوش هو:

- قائد مؤثر - أب صديق - أم مثالية - صديق رائع

- شخص ناجح في عمله - مدير محبوب

طلب عمال إحدى المحلات التجارية الكبرى في باريس رفع أجورهم فرفض ذلك صاحب العمل فما كان من عماله إلا أن اتفقوا على ألا يبتسموا للزبائن كرد فعل على صاحب المحل، فكانت النتيجة أن انخفض دخل المحل في الأسبوع الأول حوالى ٦٠٪ عن متوسط دخله في الأسابيع السابقة

قراءة في كتاب :

عن سلسلة عالم المعرفة صدر كتاب (الذكاء الوجداني) للكاتب (دانييل جولمان)، محتويًا على ثلاثة أقسام مع مقدمة يقدم المؤلف في هذا الكتاب طريقاً جديداً للنظر في جذور أسباب أمراض الأسر والمجتمعات، ويدعو فيه إلى ثقافة العقل والقلب معاً.

قام المؤلف في هذا الكتاب برحلة تأمل علمي ثاقب في عواطف الإنسان، نفهم منها معنى الذكاء، وكيفية ارتباطه بالعاطفة، ونطلع عبر صفحاته على مملكة المشاعر وتأثيرها في مسار حياتنا.

اعتمد المؤلف على الأبحاث الطبية والدراسات التي أجريت على الدماغ البشري خلال العقدين الماضيين، ليخرج بآخر اكتشافات تركيبة المخ الوجدانية التي تفسر كيف تهيمن قبضة العاطفة القوية على العقل المفكر، وكيف تكشف تراكيب المخ المتداخلة المتحكممة في لحظات الغضب والخوف أو الحب عن كثير من الحقائق، وأن النقص في الذكاء الوجداني أساس الكثير من مشاكل كل فرد منا، لأنه يدمر الذهن ويهدد الصحة الجسمية بأخطار جسيمة.

ويجب المؤلف عن السؤال المهم: ما هذه المشاعر الإنسانية؟ وما مكانها في المخ؟ وهل ما ورثناه من طباع قدر محتوم، أم أن دوائر المخ العصبية دوائر مرنة يمكن أن تتعلم وتتغذى، وتقوى وفقاً للبيئة التي يتأسس عليها ذكاؤنا الوجداني منذ الطفولة؟.

أما أكثر الحقائق إثارة للقلق في هذا الكتاب فهي ذلك المسح البحثي الشامل الذي يكشف كيف بات جيل الأطفال الحالي في العالم كله أكثر غضباً وجنوحاً وقلقاً واندفاعاً وعنفاً.. فهل الذكاء الوجداني يقدم علاجاً؟ .
الجواب في صفحات هذا الكتاب الشيق.

في المقدمة يستشهد المؤلف بقول لأرسطو في كتابه (الأخلاق إلى نيقوماخوس): (أن يغضب أي إنسان، فهذا أمر سهل.. لكن أن تغضب من الشخص المناسب، وفي الوقت المناسب، وبالأسلوب المناسب.. فليس هذا بالأمر السهل).

ثم يذكر المؤلف حادثة كان شاهداً عليها قبل عشرين عاماً والتي انحرفت في ذهنه ودعته إلى تأليف هذا الكتاب..

تتلخص تلك الحادثة بصعود المؤلف إلى إحدى الحافلات حيث شد انتباهه سائقها وهو يرحب به وترتسم على وجهه ابتسامة دافئة حيث حيّاه بود، وقد انتبه المؤلف إلى أن السائق كان يرحب بكل راكب حين صعوده.. بينما ارتسم على وجوه الركاب المزاج الكئيب فلم تكن تلقى تحيته ودّاً إلا من قليل منهم.

ولكن مع تقدم الحافلة ببطء في مسيرها واستمرار السائق بتحية الركاب والتعليق على ما تمر عليه الحافلة من أسواق، ودور سينما.. حدث تحول بطيء وسحري داخل الحافلة، ومع الوقت

انتقلت عدوى ابتهاجه بما يتمتع به من إمكانيات ثرية إلى الركاب.. ونزل كل فرد في محطته وقد خلع عن وجهه ذلك القناع المتجهم الذي سعد به. وعندما كان السائق يودع كلاً منهم بقوله: إلى اللقاء.. يوماً سعيداً.. كان الرد يأتيه بابتسامة جميلة على وجوهه.

ويعلق المؤلف على هذه الحادثة بقوله:

لقد انطبع هذا الموقف في ذاكرتي قرابة عشرين عاماً، وكنت وقتها قد انتهيت رأساً من إعداد رسالتين لنيل الدكتوراه في علم النفس.. لكن الدراسات السيكلوجية في تلك الأيام لم تكن تبدي اهتماماً يذكر بالكيفية التي يمكن أن يحدث بها مثل هذا التحول..

إذ لم يكن العلم السيكلوجي يعرف سوى القليل، وربما لم يكن يعرف شيئاً أصلاً، عن آليات العاطفة.. ومع ذلك فكلما تخيلت انتشار (فيروس) المشاعر الطيبة بين ركاب الحافلة الذي لا بد أنه سرى عبر المدينة، بدءاً من ركاب تلك الحافلة، اعتبرت ذلك السائق مصلحاً يجوب المدينة (أو باعث السلام في مجموعة من البشر) بمقدرته السحرية على التخفيف من حالة التجهم الشديد البادي على وجوه الركاب، فإذا بقلوبهم تتفتح قليلاً، ويتحول التجهم المرسوم على الوجوه إلى ابتسامة.

الابتسامة ترجمة لأخلاق عديدة بدون كلمات، فهي تعبير عن السماحة والحلم والصبر والرفق والرحمة والقناعة و الرضا والعفو، وتبعث في النفس مشاعر جميلة فتبعث على الأمل والحب والود والفرح والسرور والسعادة والبهجة، وآثارها أكثر من أن تحصى، فتجني ترابط وتآلف ومحبة وكسب أصدقاء وسعادة و صحة نفسية وقدرة

على التحمل ومواجهة الصعاب وتحديات الحياة والتوازن النفسي .

الابتسام...

- فالابتسامة تدخل السرور على قلوب الآخرين.
- فالابتسام يجعل من الإنسان شخصية ودودة . وذو كريزما محبوبة .
- الابتسام يكسبك حب الناس ، وكسب الأصدقاء.
- من خلال الابتسامة تتمكن من إيصال معلومة أو فكرة بسهولة.
- الابتسامة تخفف التوتر والاضطراب.
- الابتسامة تشفي كثير من الأمراض ، وتعطي مناعة قوية ضد الأمراض.
- الابتسامة تنشط الذهن ، وتنعش الذاكرة ، وتساعد على الانتباه .
- الابتسامة تعطي الوجه إشراقاً ، وتبعث على الحيوية والنشاط.
- الابتسامة دواء للجروح العميقة.
- الابتسامة توسع الشرايين ، وتنشط الدورة الدموية ، وتحسن من التنفس ، وتنقل الأكسجين لأبعد أطراف الجسم.
- الابتسام سر من أسرار السعادة.

يقول ديل كارنيجي في كتابه المشهور (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس): «إن قسمة الوجه خير معبر عن مشاعر صاحبه، فالوجه الصبوح ذو الابتسامة الطبيعية الصادقة خير وسيلة لكسب الصداقة والتعاون مع الآخرين، إنها أفضل من منحة يقدمها الرجل، ومن أربطال كثيرة من المساحيق على وجه المرأة، فهي رمز المحبة الخالصة والوداد الصافي.

ويقول: «لقد طلبت من تلاميذي أن يبتسم كل منهم لشخص معين كل يوم في أسبوع واحد؛ فجاءه أحد التلاميذ من التجار، وقال له:

اخترت زوجتي للابتسامة، ولم تكن تعرفها مني قط، فكانت النتيجة أنني اكتشفت سعادة جديدة لم أذق مثلها طوال الأعوام الأخيرة! فحفزني ذلك إلى الابتسام لكل من يتصل بي، فصار الناس يبادلونني التحية ويسارعون إلى خدمتي، وشعرت بأن الحياة صارت أكثر إشراقاً وأيسر منالاً، وقد زادت أرباحي الحقيقية بفضل تلك الابتسامة». إلى أن قال ديل كارنيجي: تذكر أن الابتسامة لا تكلف شيئاً، ولكنها تعود بخير كثير، وهي لا تفقر من يمنحها مع أنها تغني آذيها، ولا تنس أنها لا تستغرق لحظة، ولكنها تبقى ذكرى حلوة إلى آخر العمر. وليس أحد فقير لا يملكها، ولا أحد غني مستغن عنها.

أبحاث عن تأثير الضحك والابتسام.

قام فريق من العلماء بدراسة تأثير الابتسامة على الآخرين فوجدوا أن الابتسامة تحمل معلومات قوية تستطيع التأثير على العقل الباطن للآخرين، وقد وجدوا أن لكل إنسان ابتسامته الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد، وأن كل ابتسامة تحمل تأثيرات مختلفة عن غيرها من الابتسامات.

وقد أجريت أبحاث كثيرة عن تأثير الضحك، وتأثيراته المفيدة على القلب، فالضحك يحرك عضلات البطن والصدر والكتفين، وكذلك ينشط الدورة الدموية بصورة عامة، والضحكة الواحدة تعادل ممارسة الرياضة لمدة عشر دقائق، ولقد شبّه أحد العلماء الضحك بالهرولة وأنت جالس.

ويقول علماء النفس، إن الأشخاص الذين يضحكون عادة مسالمون طيبو القلب لأنهم يفرجون عن طاقتهم العدوانية بالضحك.

فالحياة مليئة بالجد والجهد والتعب والمشاكل المعقدة، والآلام والآمال والمآسي، ولا بد من منقذ للشد وللضغوط النفسية والعصبية، وللناس أن يستريحوا للتغلب على مآسي الحياة بالضحك البريء كي يستعيدوا توازنهم.

وقد اكتشف عالم آخر أن الضحك يزيد بصورة خاصة من إفراز مادة البيتا إندورفين، وهي الهرمون الذي يصل إلى خلايا الدماغ، ويعطي أثراً مخدراً شبيهاً بآثر المورفين، ومن نتائج ذلك خلود الإنسان إلى النوم الرغيد. وهذه نقطة مهمة لأصحاب الكآبة الذين يعانون بصورة خاصة من الأرق والقلق والنوم الممتلئ بالكوابيس. ابتسام الأطباء والممرضين في وجه المريض يجعل بشفائهم، والعكس صحيح.

وجد أن يحيي أن بعض الأطباء لاحظوا وفاة الكثير من الأطفال في حجرة معينة بإحدى المستشفيات .. واحтарوا في هذا الأمر وتساءلوا: لماذا يموت معظم أطفال هذه الحجرة بالذات وبعد البحث والتنقيب والكشف لاحظ أحد الأطباء النبهاء أن الممرضة المشرفة علي تلك الحجرة دائمة العبوس والغضب ، فأمر بإجراء الكشف عليها .. وبتحليل الزفير .. اتضح أن زفيرها يحتوي علي مادة سامة تقضي علي الأطفال الذين تشرف عليهم وبالفحص والدراسة أثبت الأطباء أن شدة كراهيتها لعملها ولحياتها تجعلها متذمرة دائماً مما جعل كيمياء جسدها تتغير حتى أصبحت تنفث السموم فتؤثر فيمن حولها ... تؤذيهم بلهيب الكراهية والعبوس..

فكما أن الابتسامة لها وقعها اللطيف علي المحيطين فالعبوس أيضاً له وقع السيئ عليهم.

ولقد أُثبت علمياً وعملياً كما أشرت سابقاً بأن الضحك هو عملية رياضية لكثير من أعضاء الجسم، ولاسيما القلب وعضلات الوجه وبشرته على وجه الخصوص، فلكي تعبس يلزمك تحريك أكثر من أربعين عضلة في وجهك، أما لكي تبسم وترتاح فلا تحتاج إلا لتحريك أقل من خمس عضلات من عضلات الوجه.

ابتسامته بيضاء أم ابتسامته صفراء أم...؟ ابتسم... ولكن بشروط!!

- أن تكون ابتسامته من القلب ، والتي تعبر عن المحبة والود.
- أن لا يكون ضحك مبتذل ملئ بالقهقهة.
- وفي القول المأثور : «أحيوا قلوبكم بقله الضحك وقلة الشبع وقلة الحسد».
- أن نتجنب الضحكة الصفراء ، والتي تكون فيها نظرة التشفي أو الغل ، أو التعالي على أحد.
- أن لا يكون ضحكاً يذهب الهيبة ، أو يكون مهنة لصاحبه ، فالإنسان يجب أن يكون ذو شخصية متزنة وليس المطلوب منه أن يصبح مهرجاً.
- أن لا يكون الضحك بلا سبب ، فالضحك عندما يزيد عن الحد يمت القلب ويقسيه.

الابتسامته كلمة طيبة بغير حروف..

قال رجل ينصح ابنه :

تستطيع يا بني أن تغير قناعات الناس، وأن تستحوذ على قلوب الناس وهي لا تشعر!.. ليس بالسحر ولا بالشعوذة، فبابتسامتك،

وعذوبة لفظك، تستطيع بهما أن تسحر!..

ابتسم!.. فسبحان من جعل الابتسامة في ديننا (عبادة)، وعليها
نؤجر!.. إن لم تجد من يبتسم لك، ابتسم له أنت!.. فإذا كان ثغرك
بالبسمة يفتّر بسرعة، تتفتح لك القلوب لتعبر!..

قال بعضهم : عندما تهزم أبتسم لأنها تفقد المنتصر لذة الفوز.

خاتمة

إن الكون كله وحدة واحدة تدور في فلك واحد، له خالق واحد، وله قوانين واحدة، ولا عجب أن يكون أقوى مخلوقاته هو الإنسان، فقد خلق الله الإنسان وجعله محور هذا الكون، و سخره له، فالأرض والسماء والجبال والبحار والمحيطات والنجوم والكواكب، حتى أصغر المخلوقات مسخرة لأجل الإنسان .
فقد قال :

{وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك
آيات لقوم يتفكرون}. الجاثية

لقد جعل الله قوة الإنسان في عقله وقلبه، ورسم له خارطة الطريق حتى لا يضل ولا يهوى، ولذا فإذا استطاع أن يملك عقله وقلبه وأحكم السيطرة عليهما فقد امتلك العالم أجمع .
فالإنسان يستطيع أن يسلك أسهل الطرق ، ويترك الطفل الذي بداخله دون أن يتعهد به الرعاية والتهذيب ، ويترك النفس لتتحكم فيها الأهواء فتميل بها عن جادة الصواب وهو مستسلم لها كل الاستسلام ، فيغضب ويكره ويحسد ويحقد ويكذب ويخون دون أن يجد في نفسه الحماسة للسيطرة على هذه المشاعر التي بدورها تودي به في قاع بئرٍ سحيق لا يستطيع النجاة منه ، فهو لا يدري أن هذه الأخلاقيات تهوى به لأسفل المنحدر ، وفي أسفل المنحدر لا يرى إلا الدنيء والسافل من الأشياء .

أو أن يختار أن يستخدم أسباب قوته التي وهبها الله إياه لأنه أيقن أنه من خلالها يستطيع أن يملك العالم كله ، فأخذ يتعاهد

نفسه بالتأديب والتهذيب والتربية حتى استطاع أن يحكم قبضته عليها بعد أن استطاع أن يتحكم في مشاعره وبالتالي يتحكم في سلوكياته وأخلاقه ، وبذلك استطاع أن يرقى من نجاح إلى نجاح ، ومن صعود إلى صعود حتى استطاع أن يرتقي بنفسه إلى أعلى القمم ، وهناك فقط استطاع أن يرى كل ما هو جميل وكل ما هو رائع .

(وخلاصة القول أن كل من تمسك بالأخلاق علا، وكل من تنازل عن الأخلاق سقط).

وكأني أتخيل الإسلام في صورة شيخٍ سمح بشوش ماداً كلتا يديه بالخير للناس جميعاً، فيأخذ بأيديهم برفق ، فيخرجهم من التيه والظلمات ويسير بهم في طريق مليء بالنور ويوصلهم للسعادة والهناء، وتخيل نفسك وأنت تسير معه وأنت تشعر طيلة الرحلة بالسكينة والطمأنينة والسكون .

قبل أن أشرع في تأليف هذا الكتاب كنت أعتقد أنني سألم فيه بكل الأخلاق والفضائل التي حث عليها ديننا العظيم ، وكل ما يتعلق بها ، و المواقف التي تجلت فيها أخلاق الصحابة والتابعين ، وممن ساروا على نهجهم وكأني سأحصرها في كتاب ، ولكن وجدني أسبح في بحر بل بحارٍ من أخلاقيات وسلوكيات غاية في الروعة لا تنحصر في كتاب واحد ، ولا تحدها كتب ولا موسوعات ، ففي كل كلمة خلق ، وفي كل سلوك خلق ، وفي كل نظرة خلق ، وفي كل لمسة خلق ، وفي كل حركة خلق. ومن وراء كل ذلك منهج وابتلاء.

فأما المنهج فحياة وطريقة عيش ، من أخذ بها وسار عليها نال السعادة والنجاح والفلاح في الدنيا .

وأما الابتلاء فاختبارات يمتحنك الله بها ويختبر إيمانك، فإذا نجحت

نلت سعادة الدارين

وكفى بالمؤمن أكبر جائزة بشر بها النبي ﷺ المؤمن الخلق عندما

قال ﷺ:

« وأنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه »

وقد قال تعالى :

{ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون }.

كلمة أخيرة ..

لا أزعج أننا من خلال كتاب أو موسوعة من الكتب والمحاضرات نستطيع أن نصل للكمال الإنساني بل إن ذلك ليس الهدف ، فالكمال الإنساني تمثل فقط في الأنبياء والرسل ، وتجسد في قمته في شخص النبي ﷺ ، ولكن المقصود أن نظل في سعي دائم وتطلع مستمر لتحقيق هذه الغاية، فما وفقنا الله لتحقيقه فهو فضل من الله علينا ومنه ، وما لم نستطع أن نصل إليه فسنظل نسعى ونجتهد في السعي حتى نرى الله منا الصدق في النية والعمل فيجازينا بالسعي وليس بالنتيجة .

فقد قال ﷺ :

« إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا خلبه ، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » .
متفق عليه

وفي رواية للبخاري قال ﷺ: « لن ينجي أحدكم عمله » قالوا: ولا أنت يا رسول الله ﷺ؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ، سدّدوا وقاربوا وانحدوا وروحوا وشيء من الدلجة » . وفي لفظ « والقصد القصد تبلغوا »

وفي رواية لمسلم: « سدّدوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل الجنة أحدًا عمله » قالوا: ولا أنت يا رسول الله ﷺ؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته ، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل » .

قال الشاعر :

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته
أقبل على النفس واستكمل فضائلها

أتطلب الريح مما فيه خسران
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

المراجع:

- ١- تهذيب مدارج السالكين
- للإمام ابن قيم الجوزية-دار التوزيع والنشر الإسلامية
- ٢- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي- مكتبة الصفا
- ٣- مكاشفة القلوب للإمام أبي حامد الغزالي - دار الفجر
- ٤- الأخلاق الإسلامية د. رزق عبد الحكيم عامر
- ٥- مختصر منهاج القاصدين
- للإمام أحمد بن عبد الرحمن المقدسي- مكتبة الإيمان
- ٦- الصدق منجاة- سعيد عبد العظيم - دار بن خلدون
- ٧- الظلم وأثره السيئ على الفرد والمجتمع
- محمد بن عبدالله علي الحكمي- دار المجتمع للنشر والتوزيع
- ٨-جامع العلوم والحكم - ابن رجب البغدادي الدمشقي -دار الحديث
- ٩- تنبيه الغافلين
- أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي- دار الفجر للتراث
- ١٠- من أخلاقيات الإسلام - ياسين رشدي - نهضة مصر
- ١١-خلق المسلم - الشيخ محمد الغزالي - دار الريان للتراث
- ١٢- الجانب العاطفي من الإسلام -الشيخ محمد الغزالي - دار الكتب الحديثة
- ١٣- صيد الخاطر -الإمام جمال الدين بن الجوزي- دار الحديث القاهرة
- ١٤- رياض الصالحين- الإمام يحيى بن شرف الدين النووي- دار التقوى
- ١٥- واقعنا المعاصر -محمد قطب - دار الشروق
- ١٦- قضية التنوير في العالم الإسلامي- محمد قطب -دار الشروق
- ١٧- منار الشباب - بدوى الشيخ- دار البشير للثقافة والعلوم
- ١٨- الرسول - سعيد حوي-دار السلام
- ١٩- الكبائر-محمد عبد القادر عطا- دار التقوى

- ٢٠- هذا حلال .. وهذا حرام- عبدالقادر أحمد عطا - دار الفضيلة
- ٢١- له الأسماء الحسنی ١ -د.أحمد الشرباصي - دار الجيل - بيروت
- ٢٢- له الأسماء الحسنی ٢ -د. أحمد الشرباصي - دار الجيل - بيروت
- ٢٣- قوة الحب والتسامح - د. إبراهيم الفقي - بداية للإنتاج الإعلامي
- ٢٤- منهج التربية النبوية - محمد نور بن عبد الحفيظ سويد - دار طيبة
- ٢٥- فن تربية الأولاد في الإسلام - محمد سعيد مرسي- دار التوزيع والنشر الإسلامية
- ٢٦- الحدود في الإسلام بين الوقاية والعلاج
- د.محمود محمد عمارة- مكتبة الإيمان بالمنصورة
- ٢٧- الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها
- أ.د عبد الله بن ضيف الله الرحيلي / وكالة الوزارة لشئون المطبوعات والبحث العلمي بالمملكة العربية السعودية

كتب إلكترونية ..

- ١- الذكاء الوجداني د. مصطفى أبو سعد
- ٢- العنف في عالم متغير د. زكريا يحي لال
- ٣- صناعة النجاح د. طارق سويدان
- ٤- أدب الدنيا والدين الإمام علي بن محمد الماوردي الشافعي
- ٥- التنازع والتوازن في حياة المسلم -محمد بن حسن بن عقيل موسى
- ٦- الغيبة - ابن تيمية- مكتبة الصحابة
- الرفق في المنظور الإسلامي

مواقع إلكترونية ..»

- موقع ويكيبيديا - موقع إسلام ويب - صيد الفوائد
- <http://www.bezaat.com> +

مقالات..

- الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها
- حكم وكلمات
- من حكم لقمان
- كيف نضع الحدود الأخلاقية للطفل
- كيف نعلم أولادنا مكارم الأخلاق
- التواضع
- قليلاً من التواضع يا سادة
- الفرق بين الحياء والخجل
- خلق الحياء وأهميته في حياة المسلم
- ماذا فعلت الثقافة المعاصرة وإعلام الغرب والشرق بخلق الحياء
- ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
- الرحمة - أخلاق المسلم
- الرفق أفاقه وفلسفته - شبكة البتول -
- تقنيات فعالة للتسامح والعفو - د. يوسف البدر / شبكة الفن والإعلام الكويتية والخليجية
- العفو في القرآن / باسم البحريني
- العفو والتسامح وعلاقته بالحمة النفسية / منتديات الإسلام اليوم
- قصص أخلاقية من حياة النبي ﷺ
- سحر الابتسامة / نبيلة غنيم / مدونة
- داوو مرضاكم بالصدقة
- كظم الغيظ / موقع إسلام ويب
- الأسرار الستة للسيطرة على الغضب / أكاديمية القمة
- الإعجاز العلمي في النهي عن الغضب

- الهدي النبوي في منع وعلاج الغضب سبق طبي وإعجاز علمي /
د. محمد عبد اللطيف العجرودي
- كيمياء الغضب للـ أ. د. محمد سعد عبد اللطيف أستاذ الكيمياء
الحيوية جامعة القاهرة
- الحكمة والشجاعة والتهور / موقع أنصار السنة
- صورة لجزيئات الماء بعد قراءة الفاتحة عليها / منتديات حلول
- منظومة الكلمة الطيبة / ذياب عبد الكريم
- من أعطر ما قيل عن الكلمة الطيبة / <http://www.bezaat.com>
- إبراهيم علاء الدين (مقال الكذاب إذا خاصم فجر) موقع الحوار
المتمدن
- محاضرات - الشيخ محمد راتب النابلسي



فهرس الكتاب

The Index

5 المقدمة

9 تمهيد

.....

الباب الأول:

16 نظرة علي واقعنا المعاصر

19 أسباب انهيار حضارات ماضية وتقدم حضارات قائمة

27 الدين والأخلاق

41 الأخلاق فطرة وعقل وبصيرة

45 البشري أننا الأقدر

47 فلنجعل الهموم همماً واحداً

51 إزرع قيمة

63 حلم سيتحقق - إن شاء الله -

الباب الثاني:

..... الفصل الأول:

66 ما هو الخلق

68 حسن الخلق

70 مكانة حسن الخلق

.....- الفصل الثاني:

73- ماهية الأخلاق

74- هل الأخلاق غاية أم وسيلة

الباب الثالث:

.....- الفصل الأول: كيفية التعامل مع الأخلاق

92- ترويض الأخلاق

96- نسبية الأخلاق

.....- الفصل الثاني: منظومة تربية القيم والأخلاق

101- كيف تتعلم الأخلاق

111- كيف نعلم أولادنا الأخلاق

119- كيف نقيم صرح الأخلاق

الباب الرابع:

131- الأمانة

145- الصدق

164- الرحمة والتراحم

181- الحلم

210- الرفق

231- العفو والصفح

244- التواضع

267- الحياء

- 282 - القوة والشجاعة
- 299 - الجود والكرم

الباب الخامس:

- - الفصل الأول: صفات يجب أن نتجنبها
- 329 - الغيبة
- 342 - النميمة
- 345 - بذاءة اللسان
- - الفصل الثاني: صفات يجب أن نحرص عليها
- 352 - الإتيقان
- 362 - الكلمة الطيبة
- 379 - الإبتسامه

خاتمة الكتاب

- 395 - كلمة أخيرة
- 397 - المراجع